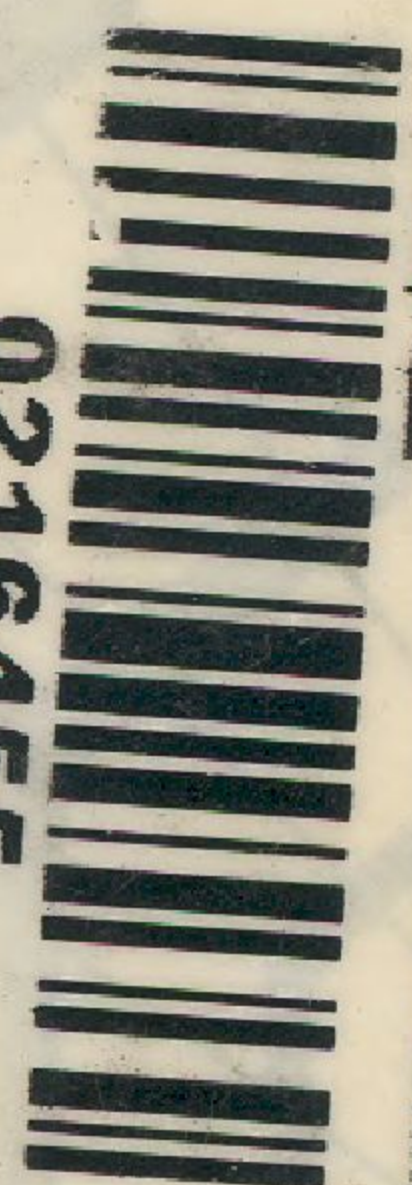


# عوار وراة الاسوار

جلال الدين الحمامصي

0216455



Bibliotheca Alexandrina

المكتبة المصرية الحديث





## حوار وراء الأسوار

الناشر : المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر  
٢ شارع شريف تليفون ٥٣١٢٧ القاهرة  
٧ شارع نوبار تليفون ٢٦٦٠٢ الاسكندرية



جلال الدين الحمامصي

# حوار وراء الأسوار

المكتب المصري الحديث







إهداء  
إلى الضابط الأسير في المعتقل







## مقدمة الكتاب

هذا الكتاب ليس تاريخاً . ولا أحب أن يقرأ على أنه استعراض تاريخي لفترة طويلة من حياتنا . ولكن يمكن القول بأنه عرض سريع — وأكرر كلمة سريع — لزاوية تاريخية هامة عشتها بنفسى ، وساهمت فى بعض جوانبها بجهد صحفى أحياناً وسياسى أحياناً أخرى ، أو بهما معا . وكل الوقائع التى وردت فى هذا الكتاب مؤكدة ، أما لأنى ساهمت فيها . وأما لأنى حققها تحقيقاً دقيقاً التزمت فيه بالواقعية والأمانة .

والزاوية التى ركزت عليها فى هذا الكتاب بصفة عامة هى نزاهة الحكم . وحرية الرأى ، وفعاليتهما فى نجاح النظام أو فشله . وإذا كان بعض الناس يعتبرون هذه الزاوية جانبية ، ويرون أنها لا تؤثر على تكوين الهيكل الهندسى لنظام الحكم ، فانى أختلف معهم فى هذا الرأى ، وأومن بأنه لا بقاء لنظام لا تكون نزاهة الحكم ومحاسبة المخطئين أو المنحرفين من أكبر الأسس التى يقوم عليها . وكل الثورات العسكرية التى قامت فى القرن العشرين — وما قبل هذا القرن — كانت لمحاربة الفساد أو الرشوة أو الانحراف . . ثم لم تلبث أن انغمست فى نفس الأخطاء لتجد نفسها تواجه بثورة أخرى . .

وإذا كانت كل هذه الثورات قد حاولت تغطية فشلها فى تحقيق أهدافها بالالتجاء الى الأساليب البوليسية وأجهزة المخابرات ، وتعذيب خصومها ، فإن هذه المحاولات الإرهابية لم تنقذها من مصيرها المحتوم . خاصة بعد اتساع رقعة خصومها بحيث يصبح تغييرها أمراً لا مفر منه . والتاريخ الحديث القريب ملئ بما يؤيد كل هذا الذى أقوله .



ومما يؤسف له ان مواجهة أخطاء ثورة ما بثورة عسكرية أخرى  
يؤدى الى نفس النتائج ونفس المصير .. ومن هنا كان لابد من  
بحث عن بديل لهذا يجنب الشعوب الاستسلام لنظم لا خبرة  
للقائمين عليها بالحكم لأن مقومات ذلك غير متوافرة فيهم ، كما  
يجنب الصغيرة منها من الدخول في تجارب ومغامرات ومناورات  
تجعلها عرضة للدمار والخراب والضعف والتخلف .

وهذا الكتاب محاولة للبحث عن هذا البديل .. وقد تكون هذه  
المحاولة غير مستكملة الجوانب . ولكنها من المحاولات التى تدعو  
الى السعى وراءها ، لنستكمل بها دراسة واجبة تقودنا الى  
مستقبل مأمول .

ولست ادعى انى وضعت يدي فى مضمون هذا الكتاب على كل  
عيوبنا وأخطائنا أو إنجازاتنا أو وضعها على الحلول السليمة التى  
تصلح للتغلب عليها . وإنما أحسن أنى ساهمت فى محاولة فتح الأبواب  
المغلقة ، والدعوة الى عمل موحد يخرجنا من الظلام الذى عشنا  
فيه طويلا ، الى النور الذى نتعرف به على أعمالنا ، ونتحسس  
طريقنا الى الطهارة والحرية والعدل والمساواة .

ولعلنى أنجح بهذا الكتاب فى تجميع الشباب حول أهداف كبيرة ،  
وان أساهم مع الآخرين فى إزالة القلق الكبير الذى عاشه هذا  
الشباب وما زال يعيشه حتى الآن .

ان الكتاب يؤكد ما لمصر من تاريخ كفاح عريق .. كما يؤكد أن  
على الشباب أن يربطوا بين ماضيهم البعيد .. وبين حاضرهم الذى  
يعيشونه ، ومستقبلهم القريب .

يناير ١٩٧٦

عبدالله الدين الحرامى



## هذا الكتاب .. وهذا الكاتب

لا أريد بهذه الكلمة تقديم الكتاب أو الكاتب الى القراء ، فكلهما غنى عن التقديم بما اشتمل عليه الكتاب من موضوعات كثيرة يدور حولها الحوار . ويرتفع في جوها اللفظ ، وبها عرف عن الكاتب من مواقف وطنية كثيرة . وجهود صحفية مقدورة ..

وانما أريد بهذه الكلمة لفت أنظار القراء الى امر له شأنه ووزنه في تقدير ما يكتب أو يقال ، وهو طبيعة الكاتب أو المتحدث التي تملئ عليه ما يكتبه أو يتحدث به ، فانها تبدو في الكتاب كما تبدو الصورة في المرآة اذا كان خلقه الصدق وهدفه الحق . وأمله الاصلاح . ومن ثم يدخل الكاتب عنصرا رئيسيا أو أساسيا مع العناصر والعوامل التي يقوم عليها تقدير الكتاب .. وقد يكون بين الكتاب والكاتب ما بين الصدى والصوت . فيجد القارى فيهما تفسيراً ل كليهما ، كما يبدو ذلك واضحا في هذا الكتاب الذي يدور الحوار فيه حول حرية الرأي ونزاهة الحكم .

لقد عرفت الكاتب أول ما عرفته في معتقل الزيتون سنة ١٩٤٣ وكنت قد سبقته اليه ، فكان أول ما أثار اهتمامي به وتقديرى له تضحيته بمقعده في مجلس النواب . ومنصبه في جريدة المصرى من أجل نزاهة الحكم وحرية الرأي وهو لم يكن قد جاوز الثلاثين من عمره .

ولما خرجنا من المعتقل .. وتغير جهاز الحكم .. حملنى — بأخلاقه — على أن أعمل معه في جريدة الكتلة مع شعورى بالخرج من ذلك ، اذ كان ماضى مع حزب الوفد ومع سكرتيه « مكرم عبيد » لا يطوع لى العمل فى هذه الصحيفة ، ثم حدث أن رشح حزب الكتلة الأستاذ زهير صيرى المحامى منافسا لصديقى الأستاذ أحمد حسن الباقورى فى دائرة الخليفة ، فصارحت الأستاذ جلال الحمامى



بالرغبة في الاستقالة من العمل معه حتى لا أشعر بالتناقض مع نفسي ، اذ كيف أعمل بالكتلة وأحارب بالدعاية مرشح الكتلة ، ولكنه رفض قبول ذلك . وقال : أخطب ضد مرشح الكتلة في اليوم عشرين خطبة . فانت لاتعمل هنا حزبيا ، وانما تعمل صحفيا ولك مطلق الحرية في أن تقول ما تشاء وتفعل ما تشاء . .

ولم يطل عملي معه في هذه الصحيفة . . وقد تركها — هو الآخر — وترك الحزب الذي كانت تصدر عنه وتنطق باسمه ، اذ سمع — وهو في رحلته بأمریکا — أن « مكرم عبيد باشا . . قبل النحاس باشا » في مناسبة جمعت بينهما ، فقطع رحلته . وعاد الى مصر ليستقيل من الجريدة — وكان عضو مجلس إدارتها المنتدب ، ويستقيل من الحزب وكان أمين صندوقه ، لأن موقف رئيس الحزب مع رئيس الوفد يهدم كل ما بناه بالكتاب الأسود ، ويهدم كل ما قيل فيه عن الشرف ونزاهة الحكم .

وجمعت العمل الصحفي من جديد في مجلة الأسبوع التي أصدرها ثم فوجئت به يغلقها ، لأن الحكومة القائمة — وكان فيها أو على رأسها أحد أقربائه قرابة بعيدة — عرضت عليه معونة من « المصاريف السرية » فوجد في ذلك ما يمس كرامته ونزاهته ، ولم يجد أبلغ في الرد على هذه المحاولة من إغلاق المجلة .

ثم دعاني الى العمل معه في جريدة جديدة وكل اليه رئاسة تحريرها والإشراف عليها — وهي الزمان — فلم يمض على صدورها أربعة أيام حتى وجدته يجمع أوراقه الخاصة في صمت ، ليترك الجريدة الجديدة لصاحبها . لأنه تدخل أو يريد أن يتدخل في شئون تحريرها وذلك يمس كرامته . ويخل بوظيفته كرئيس تحرير مسئول ، ولما شعر صاحب المؤسسة « ادجار جلاد » بالخرج . قال كالمعتذر : ألسنت في سن أبيه . فأجاب جلال الحماصي : ان الكرامة لا تقاس بالسن ولاندخل لها بالكبر والصغر . .

وكانت له مواقف أخرى قبل الثورة وبعد قيامها لا يتسع المقام لعرضها ، اذ وكلت اليه أعمال صحفية كبرى كانشاء وكالة أنباء الشرق الأوسط ورئاسة تحرير الجمهورية . ورئاسة تحرير



الأخبار . فلم تضعف شكيمته ولم تلن قنانه . مع كثرة ما قاساه وعائاه . وتعرض له . بسبب الحرص على الشرف والاعتزاز بالكرامة . والايمان بحرية الرأي ونزاهة الحكم ..

وقد يؤخذ عليه الغلو في ذلك أو الاسراف فيه ، ولكنه هكذا خلق .. وهكذا شاء الله أن يكون ، ولعل مما يعتذر به عنه أن الأخلاق — في نظره — هي القاعدة القوية الأساسية التي يجب أن تقوم عليها السياسة .. وهي كذلك . أو يجب أن تكون ذلك .. ورحم الله شوقي إذ يقول :

وليس بعامر بنيان قوم      إذا أخلاقهم كانت خرابا

ولا أقل أن هذا الكتاب امتداد لعمله في الكتاب الأسود . وانما ادع للقراء أن يحكموا عليه بما يرون . ويزنوه بالمقياس الذي لا يغفل قدر الكاتب عند تقدير الكتاب .. وقد عرفوا من هذا القدر قليلا من كثير ..

**عبد الرحيم فوده**

---

● الأستاذ الشيخ عبد الرحيم فوده أحد زملاء المؤلف في معتقل الزيتون في فترة ما قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢





## القسم الأول





## الجزء الأول مع مطلع الثورة الكبرى

لم يكن من طباعه أن يتكلم كثيرا . أو أن يقحم نفسه في مناقشات  
يشعر من بدايتها أنها عقيمة لا تقود الى نتائج سليمة ، وخاصة

إذا كان المشتركون فيها جماعة من أصحاب التفكير السطحى ،  
أو تسيطر على تفكيرهم واتجاهاتهم الأغراض الذاتية .

وكان البعض يرى في طباعه هذه بعض الغرابة . فالإنسان  
بطبعه شغوف بالاشاعات والأقاويل والنفاهات التى تروح عن  
النفوس . وتخلق النكتة المصرية اللاذعة ، بل كان الكثيرون من  
المقربين اليه يرونه معطلا لنشاطه الذهنى والفكرى . وغير مسير  
لطبيعة المجتمع . بينما هو نفسه كان يرى عكس ذلك . فهو لم  
يكن يتفر أو يهرب من المجالس التى تتحكم فيها هذه المناقشات  
الخفيفة الوزن ، بل كان يفضل الاستماع اليها ومتابعتها . والحكم  
على الناس من مضمون التفاهات التى تسيطر على جو بعض  
قاعات الحوار وان لم تكن تتركز على واقع ملموس أو حقائق  
تناقش . بل تتركز على الاشاعات والأقاويل ، وهو لم يكن ممن  
يحيون الانطلاق وراء الاشاعات وجعلها مادة أساسية للمناقشات  
مع التسليم بأنها صحيحة وأن مصادرها لا يشك فى صحتها ، بل  
كان يحب أن تكون مساهمته فى المناقشة قائمة على أساس  
« الشئ المؤكد » لأن التسليم بصحة الاشاعات دون محاولة  
تحليلها أو تفهم أهدافها لا جدوى منه الا اضاعة الوقت . .  
أو التعلق بآمال كاذبة حرصت الاشاعات على الباسها ثوب  
الحقيقة التى يصح أن تناقش وتحلل .

وقد عاش المجتمع المصرى فى الفترة التالية لقيام ثورة ٢٣ يوليو  
١٩٥٢ فى جو تسيطر عليه الاشاعات والتكهنات لأن الصحافة كانت  
غائبة بالتزامها الضمت مرفعة ، ولم تكن الرقابة لتسمح لها

بمتابعة الوقائع أو الاقتراب منها . ومن هذا الواقع انطلقت  
الاشاعات لتعبت بعقول الناس وتفكيرهم ومنطقهم وربما كان  
مصدر هذه الاشاعات في بعض الاحايين هو جهاز المخابرات الذي  
يريد اغراق الناس أو الجماهير في مقاهات وأحلام ..

ومجمل القول ان صاحبنا كان يحلم بما يسميه المثالية في كل  
شيء . وقد عاش معظم حياته في جو أقرب الى الخيال منه الى  
الواقع . فكان يستمع الى مناقشات الناس وتكهناتهم ،  
وتحليلاتهم ، .. ثم يحاور نفسه — في هدوء أحياناً ، وفي غضب  
وثورة أحياناً أخرى ، ولكنه في كلا الحالين كان يبدو دائماً الشخص  
الذي يفضل ان يسمع ويراقب ولا تفلت أعصابه لئلا يفقد توازنه .

وكثيراً ما كان يعود بالذاكرة الى السنوات الأولى من حياته ،  
عندما نشأ في بيت تسيطر عليه النزعة السياسية وتنقاسمه  
الأحزاب المختلفة . وهو يذكر ثورة ١٩١٩ التي قام بها الشعب  
ضد القوات البريطانية المحتلة ، وسمع اسم سعد زغلول يتردد ،  
وكانت الروايات تروى أمامه عن اعتقاله ، وابعاده عن البلاد ،  
وما تبع ذلك من ثورة الشعب الغاضبة ، الثورة التي تعذر من  
علامات حيوية الشعب لأنها عمت كل البلاد .. ولم يشترك في  
المناقشات الدائرة قبل اندلاع الثورة فلم تكن سنه تسمح بذلك .  
ولكنه تابعها بفكره الصغير ، ووجد بين أفراد أسرته من يؤيد  
سعداً ، ومن يعارضه ويتهمة بالعبث وقيادة البلاد الى أسوأ  
الأوضاع . وكان لكل فريق حججه ، ولكل قسم من أقسام الأسرة  
المبررات التي تجعله يهاجم أو يؤيد أو يتحامل ..

وحاور نفسه . ووازن بين هذه الآراء جميعاً واستخدم هذا  
المنطق — في التحليل : ما دام الزعيم الذي اسمه « سعد » قد  
اعتقل ، وأن سجنائه هو المحتل فلماذا أن يكون قوة شعبية يخافها  
الانجليز ، وما دام قد ارتضى الاعتقاد عن منزله وبلاده اذن فهو  
رجل يقبل التضحية ويقدم عليها من أجل تحقيق هدف . وما دام  
.. وما دام .. فهو اذن صادق جدير بأن يؤيد .

وأعلن الطفل الصغير — فيما بينه وبين نفسه — أنه « سعدى » .



بل تجرأ ذات يوم وقال للمعارضين في أسرته أن يسعدا هو الزعيم الذي يجب أن يؤيد ، ويكفى تأييد الشعب وثورته ..

واستهزا به المعارضون في كلمات قليلة فزاده هذا الاستهزاء اصرارا على رأيه .. وكان يتطلع من وراء نافذة منزله بدمياط فيرى بسالة رجل الشارع في مواجهة السلطة التي كانت تحتاول قمع ثورة الشعب التائرة ، ويجد الدموع تنهمر من عينيهِ ، لما كان يتعرض له الشعب المكافح من جهة .. ولأن نفسه لم تكن تقبل أن يستهزا بآرائها وان كانت صادرة من طفل صغير .

وكان يقول لنفسه وهو يبكي في صمت والدموع تنهمر منه — لماذا البكاء ، وأنت على حق ؟ — وكان يجيب نفسه — « بأن البكاء يمسح الألم ويزيجه ويفسح المجال للألم مقبلة . وتراكم الألم يتسبب انفجارا نفسيا ، وليس من الخير أن يعرض الانسان نفسه لهذا كله » . ولكن هل كان الطفل قادرا على أن يتجه بتفكيره صوب هذا الاتجاه ؟ وهل كان من الممكن أن يفهم المعنى الكامن للبكاء ، ومعنى الألم وتراكمه ؟

ربما ، ولكن من المؤكد أنه يبكي . ويبكي أكثر من مرة حين كان يرى نفسه غير مرغوب فيه من المعارضين في أسرته للزعيم الذي أسماه « سعد » . وكان يحس أن اتجاهاته السياسية — أن صحت هذه التسمية بالنسبة له — قد حرمته أن يشهد بعض المناسبات العائلية السارة .. وهو لا يستطيع أن يؤكد أن ذلك كان مقصودا ، ولكن الحرمان قد حدث . وابعساده عن الكثير من أمثال هذه المناسبات ما زال عالقا بفكره حتى الآن . وهو أمر قد جعله شخصية تقبل التحدي — في صمت — وتمضي في تحديها الى الحد الذي يعرضه لكل الأخطار الممكنة ، حتى ولو أدى هذا التحدي الى أن يفقد الكثير مما يعشقه الطفل .

وكانت هذه هي البداية الى طريقه السياسي المليء بالاشواك والمتاعب والتحديات ، وقد أدرك وقتذاك أنه لكي يحقق أهدافه « المثالية » يجب أن يطرق أبواب « الصحافة » وأن يدخل منها

الى مجال يخدم فيه الشعب الذى يبكى ولا يجد من يدفع عنه الالام  
التي سببت له البكاء .

والخطوة الاولى لم تكن سهلة او ميسرة لأسباب كثيرة ، أهمها  
انه بدأ طرق أبوابها فى سن مبكرة ، وهو تلميذ فى المدارس الثانوية ،  
ولم تكن مهنة الصحافة ، وقتذاك هى المهنة التى تليق بمن كان  
يفتسب الى أسرته — وهكذا كان تفكير المجتمع فى ذلك الوقت —  
وقد اعترضت الأسرة بشدة على هذا الاتجاه ولكن والده كان متفتح  
الافق فسمح له بذلك — رغم أنه لم يستكمل دراسه — بشرط  
أن يحصل على شهادة جامعية ، حتى ولو لم تكن هذه الشهادة  
ذات ارتباط بالعمل الصحفى . وأحس الشاب أن وراءه قوة  
مثلة فى والده كما استفاد من غريزة التحدى التى ولدت فيه من  
الصغر ، فصبر واجتاز كل الصعاب التى اصطدم بها للتوفيق بين  
هوايته وبين دراسته ، وليحقق الوعد الذى قطعه على نفسه  
بأن ينهى دراسته الجامعية . وأصبح فى النهاية ، وبعد فترة  
طويلة ، حاملا للشهادة الجامعية ، وصحفيا على أبواب مستقبل  
مرموق ..

وفى كل هذه المراحل ، فقد كان الحوار بينه وبين نفسه مستمرا  
لا يتوقف .. يسبح به فى آفاق بعيدة ويستعجل الأيام كما لو كان  
على موعد مع مقامب لا غنى له عنها ، ومنها على سبيل المثال  
أن يكون لنفسه أسرة صغيرة تهيب له السبيل الى كفاح شريف .  
ولعل التحدى الذى ملأ عقله وقلبه قد دفعه الى أن يخالف الذين  
سبقوه الى العمل الصحفى وقالوا ان الصحافة لا تقبل «المشاركة»  
فاما أن يتفرغ لها أو يتركها ليكون أسرة وعائلة . وأراد أن يهدم  
هذه النظرية ، وأن يقول للشباب ان الصحافة والزواج يدهم  
بعضهما البعض .

وقد كان فى سنواته الأخيرة بالدراسة الجامعية يفكر جديا فى  
الزواج بعد أن يضع يده على الشهادة النهائية ، بل لعله أختار  
شريكة حياته وأطمأن الى أن اختياره الشخصى كان سليما . ولكنه  
فى لحظات حوار مع نفسه — شعر بمشقة قبل أن يصدر قراره  
اذ وجد نفسه مترددا فيما اذا كان يتقدم لخطبة من اختارها



أو لا يتقدم » . لقد كانت الفترة الأولى في عمله الصحفي فترة صعبة مليئة بالعقبات ، مزدحمة بالخلافات تحمل في ثناياها الكثير من الدلائل على أن عمله الجديد يفرض عليه اتجاهات معينة قد يرفضها ويترك العمل ويواجه بطلاة يراها أفضل من الخضوع لمخالف رأيه .

وكان الحوار بينه وبين نفسه في هذا اليوم عنيفا وقاسيا . فهو بين نارين . أو بمعنى أصح بين غرامين متصارعين : في الجمع بينهما قسوة على نفسه وقسوة على من اختارها لتكون شريكة حياته ، ذلك لأن حرية تصرفه في عمله الصحفي ستقيده بقيود شديدة لا يرضاها لنفسه ، فتكوين الأسرة مسئولية كبرى . وهذه المسئولية ستفرض عليه حتما أن يطأطأ رأسه في بعض الأحوال ويقبل ما لا تحتمله نفسه المنطلقة إذا وضع في اعتباره الأسرة ولقمة العيش .

لم يكن يريد أن يحمل شريكة حياته ما لا يكون في طاقتها احتمالاً من تشرد وجوع وحرمان ، لقد كان يشعر أن حياته ستكون قاسية فيها المخاطر وفيها التشرد . وفيها الحرمان . وهذا ما حدث فعلا . . وقد يكون من أخطائه أنه لم يسألها أو يشركها معه في الحوار حول هذا المستقبل ، لقد كان يميل دائما أن يكون اختياره أولا مع نفسه كما أنه لم يكن في الوقت فسحة تسمح له بنقل الحوار إلى من اختارها لمشاركته الحياة ، إذا كان هناك من تقدم لخطبتها وكان عليها أن تعطي قرارها في نفس هذا اليوم .

ربما كان تردده راجعا إلى أنه في حوار مع نفسه المتراض أنها ستقف إلى جانبه وستؤكد عزمها على المكافحة معه . افترض أسوأ الاحتمالات ، وهو أن هذا العزم من جانبها قد يكون وليد تفكير سريع لا يعيش طويلا ، وأنها قد تتخلف في الطريق أو تخلق له المتاعب عندما يواجه بحالات تحد لا مفر منها قد تؤدي به إلى التعطل .

وفي لحظة أليمة وبعد حوار قاس قال كلمته : ان الوقت لا يسمح . والظروف لا تمكنه حاليا من أن يتقدم لخطبتها . وانتهى الحديث أو

.. انتهى الصراع . وفي ذلك اليوم طفرت دمعة من عينه ، وان كان قد أحس أنه بقراره هذا قد أسعد من أحبها لأنه أنقذها من طريق طويل وثقاق ..

ولم يكن في قراره هذا متسرعا ، فان ما توقعه قد تحقق . بل لعل ما حدث له فيها بعد لم يكن يتوقعه أو أدخله في حسابه السريع ، إذ دخل المعتقل بعد فترة قصيرة من قراره ليبقى فيه ثمانية عشر شهرا سجينا مبعدا عن والديه وأخوته . وهو يذكر أنه تذكرها في أولى لياليه داخل المعتقل بل لعله خصص هذه الليلة كلها لاستعراض شريط علاقته البريئة الطاهرة بها .. واستراح من الحوار الذي دار بينه وبين نفسه ، ومن القرار الذي اتخذته بإخلاء طريق الحياة السهلة أمامها ولو أنها كانت شريكة حياته ، لكانت هذه الليلة الأولى — وما بعدها من ليال طوال — من أشق الفترات على نفسها .. فهو إذن قد جنبها بقراره مرارة البعد ، ومرارة الحرمان ومرارة الرحلة الطويلة التي بدأها وما زال سائرا في طريقها .

وهو يذكر أنه نام في تلك الليلة نوما عميقا على خلاف ما توقع . وأحس في الصباح أنه مازال يملك في يديه أعز ما يجب أن يكون زاده في كل لحظة : حريته . صحيح أنه يعيش داخل أسوار معتقل يحيط به الحرس في كل مكان ، ولكنه داخل نفسه أحس أنه الرجل الحر الذي لا ارتباط له بأحد ولا سلطان لأحد عليه ، حتى من هؤلاء الحراس المسلحين الذين يراقبون حركاته ويقفون حائلا بينه وبين الانطلاق الى خارج الأسوار .

ومع أول نهار في المعتقل بدأ يمارس حياة جديدة . فهو لم يكن وحده في المعتقل . بل كان هناك الكثيرون من مختلف القطاعات الشعبية ومن مختلف الأعمار ، لقد كانت مصر تعيش في ظل الأحكام العرفية بسبب الحرب العالمية الثانية . وكانت الحكومة تمارس حرياتهما في اعتقال من تشاء من خصومها استنادا الى أن نشاطهم السياسي وغير السياسي يضر « بالصالح العام » .

وهو قد دخل المعتقل لأنه ساهم في عملية نشر سرية هدفها



محاربة الفساد والرشوة اللذين تفشيا في الادارة الحكومية ، ولم يمنع وقوع مصر تحت الحكم العرفي وسلطة الحكم العسكري من التفكير في ضرورة مواجهة الشعب بالحقائق ، ولم تحل الرقابة دون وضع خطة لتنفيذ هذا العمل السري الكبير بحيث تصل الحقائق الى الشعب بطريقة او باخرى ، ذلك لان المشعور بالمسئولية ازاء الشعب كان أضخم من أن يقابل بهز الاكتشاف أو الاحتماء وراء قيام الرقابة والحكم العسكري تهريبا من تحمل هذه المسئولية بكافة تبعاتها . وقد كان في الامكان اثاره بعض جوانب هذا الموضوع في مجلس النواب أو في مجلس الشيوخ . ولكن الحكومة كانت تملك الاغلبية ، وكانت قادرة على اغلاق باب موضوع المناقشة ، من هنا كان لابد وقبل أن يطرح الاتهام داخل البرلمان من أن يعرفه الشعب أولا بطريق النشر السري ، وان تتحرك كل قوى المعارضة — رغم ضالتها داخل البرلمان — لاثارة الموضوع على اوسع نطاق .

وقد توقع القائلون بهذا العمل أن يعتقلوا ، وان تتخذ ضدهم اعنف الاجراءات . ولكنهم لم يترددوا في الإقدام عليه أداء لمهمتهم السياسية الكبرى وهي محاربة الفساد أينما وجد . ذلك هو ما كان عليه التفكير السياسي في ذلك الوقت . تفكير يرتكز على تقدير المسئولية وتحمل تبعاتها، ثم لأنه رغم كل الظروف التي أحاطت بالبلاد . كانت كرامة الفرد مصونة ومحسوبا حسابها .

في هذه الأثناء لم يكن من أصحابنا أصلا من أعضاء حزب الحكومة في مجلس النواب ، وقد دخل المجلس عن طريق التحدى لحزبه ورئيسه الذي لم يشأ في البداية الموافقة على ترشيحه . فلما أصر وتحدى . قبل اصراره وتحديه ثم أخرج من الحزب والمجلس فيما بعد لأنه وأصل عملية التحدى في قوة وإصرار ووقف الى جانب مكرم عبيد عندما عارض رئيس الحكومة بسبب خلافات تتصل بالنزاهة . ولم يشأ أن يبقى بعد ذلك أداة سياسية عاطلة ، بل اقترح على رئيس المجموعة الحزبية المنشقة عن الوفد أن تجمع المخالفات الحكومية وتصدر بها « كتابا أسود » يطبع سرا ويوزع سرا ويكشف مساوئ الحكومة واتجاهاتها الهدامة ، تحديا لها وتحديا لكل

التوانين العرفية التعسفية التي فرضت على الصحفي رقابة قاسية وحجبت الحقائق عن الشعب .

ومن تلك الفترة بدأ ايمانه يتزعزع في أمانة « السياسي » المصري ، وتقديره للمسئولية قبل الشعب . وكان دخوله الى المعتقل بداية عمليات اتصال بعقول وأفكار مختلفة تمثلت في أفواج المعتقلين التي كانت تقف على معتقل الزيتون بين وقت وآخر لتحل محل المفرج عنهم . . فقد كان المعتقل دائما مليئا بنوعين . نوع فرض عليه البقاء لفترة طويلة ، ونوع يأتي ويذهب ليحل محله من يبقى بعض الوقت .

وقد كان هو أحد الذين ظلوا في المعتقل فترة أكبر ومن هنا فقد كانت دائرة معرفته بالمعتقلين تتسع يوما بعد يوم وأسبوعا بعد أسبوع وشهرا بعد شهر .

وفي هذا المعتقل بدأت جلسات الحوار المفتوح تعقد كل ليلة ، وتشترك فيها جماعات لا رابط بينها في التفكير أو في الثقافة . وانما رابط بينها هذا القيد الذي فرض عليها والزمها البقاء داخل جدران أربعة . . ومن هذا الواقع كان الحوار مفيدا .

وقد كانت هذه الجلسات بداية لمزيد من الدعم لتحديه . ومزيدا من الاصرار على الانتصار على الحكم الذي قيده .

والاعتقال في حد ذاته أشق من السجن . ذلك لأن المحكوم عليه بحكم قضائي يدخل الزنزانة وهو يعرف كم قدر القاضي لفترة بقائه مسجينا . أما في المعتقل فلم يكن الفرد ليعرف كم يبقى ومتى « يتفضل » الحاكم فيصدر أمره بالافراج عنه .

وكم من صديق زائر جاءه سرا الى المعتقل ليقول له ان الافراج عنه ممكن لو أنه كتب مستعظما رئيس الوزراء أو لو أنه أعلن اعتزاله للعمل السياسي . وكان يستمع الى هذه العروض ويبتسم ولا يتكلم الا بالرفض أو الاعتذار . . على أساس أنه سعيد في هذا المكان الذي يسمح له بأن يقول ما يشاء ويصرخ برأيه كيفما يشاء .

اذ ماذا يمكن أن يفعل أكثر مما فعل . ثم اذا خرج من المعتقل لأنه استجدى الحاكم الافراج عنه ، فكم سيساوى خارج المعتقل . صفراً . أو أقل من الصفر . . وما قيمة الصفر في حياة الفرد ؟ وما قيمة الانسان الذى يستجدى الحاكم حرية هي ملك له ؟ اليس هذا تسليمًا للحاكم بحقه في أن يوزع نسمات الحرية ، فيعطىها لمن يشاء ويحبسها من يشاء ؟ وهل تسمى هذه حرية ؟

كان اصزاره على رفض « الحرية الممنوحة » أقوى سلاح واجه به حياته الجديدة . وهو قد افترض منذ بداية اليوم الأول أنه باق في المعتقل ما بقيت حكومة الوفد في الحكم ، وأنه لن يعرض أعصابه لهزات تسببها الآمال الكاذبة في أن الافراج قريب . ولقد أحس بقسوة هذه الهزات على بعض زملائه في المعتقل الذين ضعفوا بعد أيام من دخولهم الى هذا المكان . وأحس بشدتها وهم يتلقون من أقاربهم الأمانى والوعود — ولعلها كانت كاذبة — بأن البقاء في المعتقل لن يتعدى أسبوعاً واحداً . فقد كانوا اذ ذاك يعيشون على الأمل . فاذا لم يتحقق انهارت أعصابهم وضعفت مقاومتهم . . وتساقطوا كما تتساقط الفاكهة الفاسدة .

وهو لم يكن يريد لنفسه هذه النهاية المبكرة . بل كان يحس بأن استمرار بقاءه في المعتقل لن يضره في شيء بل ان هذا البقاء — قصر أو طال — سيزيد من صلابته السياسية ويقوى من غريزة التحدى الراسخة في نفسه ، ويحقق أمنيته في ألا يكون مدينًا لأحد ، ولا معتمداً على أحد .

وقد كانت فترة المعتقل هي بداية الالتحاق بمدرسة من مدارس الحياة . مدرسة علمته الكثير ، ودرس فيها ما لم يكن يدرسه لو أنه ظل محتفظاً بعلاقاته مع المدرسة السياسية المصرية التى كانت أركانها قد بدأت تتداعى ويمشى الفساد في طرقاتها ومسالكتها ، ملتئمتا كل القيم الأخلاقية والخلقية . .

وقد قرأ كثيراً خلال فترة السنة والنصف التى قضاهما في المعتقل . قرأ في الأدب . وقرأ في السياسة وتعمق في دراسة ما لم يكن قد تعمق فيه ، وخرج من قراءاته السياسية باتجاهات جديدة على



تفكيره الحزبي . فان الذين خدموا القضية المصرية على اختلاف  
سبلهم ووسائلهم لم يكونوا « خونة » يقبلون التسليم للاستعمار  
بمطالبه ، بل كانت تجمعهم الجبهة الواحدة وقت الشدة ، والمواجهة  
الفعلية مع الانجليز المستعمرين ، وكانت الارادة الشعبية الاجماعية  
تقف وراءهم في هذه المواقف الوطنية التي امتلأ بها تاريخنا ، ومع  
هذا كانت عيوبنا في نظمتنا الحزبية لأنها تتسابق الى الحكم دون أن  
تكون لها برامج داخلية محددة .. ومن المؤكد أن هذا التسابق  
نحو الحكم قد أوقعها في أخطاء كثيرة كانت من صنع ديكتاتورية القصر  
الملكي ، والأعيب دار المندوب السامي — السفارة البريطانية فيما  
بعد — لقد وقعت الأحزاب ضحية لبدا « مرق تسد » . وقد كان  
المبدأ أساس عمل السراي وأساس عمل المعتمد البريطاني . ومع  
هذا لم يخل تاريخ الأحزاب السياسية المصرية من مواقف تاريخية  
مجيدة واتجاهات وطنية رائعة ، وقد ظل حزب الوفد محتفظا  
بشعبيته الجارفة الى أن تزوج زعيمه مصطفى النحاس باشا  
في سن متأخرة ، وكانت عروسه شابة صغيرة جميلة تتطلع الى  
الثراء والجاه والسلطة .. واستطاعت بما توفر لديها من براعة  
ريعية أن تستأثر بالزوج الزعيم ، وأن تقلب أوضاع البلاد رأسا  
على عقب ، وعدت الأخطاء التي ارتكبتها آخر حكومة للوفد قبل  
الثورة ، من الأخطاء الجسيمة التي تستحق أن يتضمنها كتاب  
أسود ..

وفي مدرسة معتقل « الزيتون » أيضا ، ومع استمرار الضيف  
الجديد مع زملائه بدأت في ليلة من ليالى أبريل ١٩٤٣ حركة نشاط ،  
وتجمع ، ولقاءات .. والحوار المفتوح المتصل .

## حوار .. الجيل القديم

جلسة هادئة ضمت مجموعة مختلفة من المعتقلين . منهم الأزهرى وضابط الجيش والطالب والعامل .. ومن لا عمل له ولكن الحكم العسكرى اعتبره خطرا على الأمن ، فان الكلمة المطاطة كانت تحشر بها وبأمثالها القوانين الاستثنائية ويجد الحاكم من خلال معناها الواسع الثغرات التى يتسلل منها الى جنونه .

كان الوقت بعد العصر .. وهم جلوس تحت ظل شجرة ضخمة لها تاريخ ، ولها بالقطع ذكريات عند أصحاب هذا البيت القديم .. الذين سكنوه فترة ما وهم أحرار ثم تركوه أو باعوه ليصبح مكانا له رهبته ، وله قيوده وله حراسه الذين يحيطون به طوال الليل والنهار لحماية الدولة من هذه القلة التى سكنت القصر بأمر الحاكم . وساد الصمت بعض الوقت .. ثم قطعه الشيخ الأزهرى بضحكته العالية التى اعتاد إطلاقها وهو يوشك أن يتكلم .. وكان صديقنا الأزهرى قد اعتقل بعد أن قاد أو اشترك فى مظاهرات تعبر عن سخطها وتبرمها من الطريقة التى تحكم بها البلاد وبخاصة بعد حادث ٤ فبراير وحصار قصر عابدين بالدبابات الانجليزية لفرض حاكم بعينه رئيسا للوزارة . والأزهرى دائما وأبدا وعلى المدى الطويل من تاريخ مصر كان سباقا الى ابتداء رايه فيما يواجه البلاد من مشكلات . وكانت تجمعات الأزهريين داخل المساجد وخطبهم النارية البليغة ومساهماتهم فى مظاهرات الاحتجاج ودعوة الناس الى الكفاح والجهاد ضد المستعمر وغير المستعمر تنقسم فى كل المناسبات بالعنف والاقدام على مواجهة المخاطر ، ذلك لأنه يمثل الريف المصرى والقرية المصرية بكل ما فى هذا التمثيل من معانى الوطنية والتفانى فى خدمة الوطن . بل لقد كان كفاح الأزهر على طول تاريخه وعرضه امدادا وامتدادا لكل الثورات الشعبية التى اشتعلت قبل ثورة ١٩١٩ وبعدها ، كما كان دليلا على أن الشعب لا يتردد فى تحمل مسؤولياته . وان قادة الأمة وزعماءها

رغم اختلاف اتجاهاتهم السياسية ووسائلهم في علاج القضية الوطنية كانوا يحرصون على أن يظل الشعب جاهزا للتجمع والتصدي لمواجهة المستعمر أما الخلافات الداخلية فلا ضرر منها إذا كانت حول الآراء تتصارع ، ومظاهرات تتعدد .

ولم يتغير شعب مصر على المدى الطويل . ولكنه كان عاطفيا ووفيا إذا أحب زعيما وتفانى في تأييده بعد اقتناع كان من الصعب تغيير عاطفته مهما تتغير الظروف . وأوضح صورة لذلك موقفه مع سعد زغلول ، فقد كانت الجموع تردد في كل انتخابات برلمانية « لو أن سعدا رشح حجرا لانتخبناه » وكذلك كان هذا وضعه مع خليفته مصطفى النحاس . فانه عندما اتهم بأن حزبه انحدر الى أدنى مراحل الفساد والرشوة — بمقياس ذلك الوقت — خرجت المظاهرات في الشوارع تردد « حرامى . حرامى . ولكن نحبه » . . .

ومن ثم كانت عاطفة الشعب تلعب دورها في كثير من الأزمات لمبدو تصرفه متناقضا مع طبيعة الموقف ، وقد نفسر ذلك بأن روح التحدى التى سيطرت على تفكيره ومشاعره هى التى جعلته ينطلق في حماسة للأشخاص قبل أن يفكر أو يزن الأمور بميزانها السليم . ولعل فيما حدث بعد ٤ فبراير ما يدل على أن العاطفة أحيانا قد تنحرف بالوطنى وتطعنه في صميم وطنيته ، فعندما نجح النحاس باشا في تشكيل وزارته الوفدية وذهب السفير البريطانى لزيارته عقب ذلك بمكتبه برئاسة الوزارة القهبت الجماهير المحتشدة في فناء الرئاسة حماسا وحملت السفير على الأعناق . . . اعترافا بحميله . . . ولست أشك في أن الذين فعلوا ذلك أحسوا بالألم فيما بعد لانهم بعملهم هذا جرحوا الكرامة الوطنية في صميمها . . . وغاب عنهم ما قاله النحاس في خطابه للسفير وليكن معلوما أنه لا المعاهدة المصرية البريطانية ولا مركز مصر كدولة مستقلة يسمحان للإنجليز بالتدخل في شئوننا الداخلية وبخاصة في تشكيل الوزارات أو تغييرها

ونعود الى هذه الجلسة نذكر الحوار الذى دار في ليلة من ليالى ربيع ١٩٤٣ .



**الأزهري :** لقد سمعنا ونحن في المعتقل عن « كتاب أسود » أصدرته الكتلة المستقلة . فما الذي تضمنه هذا الكتاب ؟ وما قصته ؟ ؟ .

واعتدل الضيف الجديد في مكانه . . ونظر الى الوجوه المتطلعة اليه . . وابتسم ابتسامة هادئة ثم قال :

**الضيف :** من المؤكد ان هذا الكتاب الاسود قد احدث دويا في مصر ، وخارج مصر . . لان الوقائع التي تضمنها كانت صارخة وناطقة بالفساد الذي ساد الحكم في مصر من جهة . . ولانه امكن اعداده وطبعه وتوزيعه في ظل الاحكام العرفية ، وعلى الرغم من كل العيون التي انطلقت في كل مكان تراقب تحركات المعارضة وتحسب خطواتها حسابا مدروسا .

**الأزهري :** وهل هذا هو السبب الذي من أجله اعتقلت ؟

**الضيف :** اعتقد ذلك . وان كنت اعرف ان الحاكم العسكري يستطيع ان يعتقل دون ان يطلب منه بيان الاسباب او الحيثيات . . لانه يتصرف في ظل قانون استثنائي هو وحده الذي يفسره كيفما يشاء ، وعلى ما يهوى وليس مطلوبا منه ان يقدم حسابا للآخرين .

وهنا اعتدل الضابط الشاب استعدادا للمساهمة في الحوار وتأهبا لالتقاط الخيط من صديقنا الأزهري . كان وجهه الباسم — يتسم بالهدوء ولكن كلماته وحسن اختياره لها كانا ينطقان بالحيوية والوطنية . . والانسانية . . وقد اتاحت الايام الاولى في المعتقل للضيف ان يدرس هذا الضابط ويتعمق دراسته . لا يعرف شخصيته فقط ، وانما يعرف كيف يفكر شباب الضباط في هذه الظروف التي تمر بها البلاد . وقد اكتشف من معرفته ان الصنف الجديد من ضباط الجيش يختلف اختلافا كبيرا من الصنف القديم الذي أعده المستعمر ليكون زينة في الحفلات والمواكب لا ليكون جيشا قادرا على احتمال عبء الدفاع

عن مصر . وقد كانت أحداث ٤ فبراير ١٩٤٢ . التي  
احاطت فيها وحدات من الجيش البريطاني بقصر عابدين  
لتفرض على الملك تكليف مصطفى النحاس بتشكيل وزارة  
جديدة حافزا لتحريك العاطفة الوطنية في نفوس الصنف  
الجديد وقد بلغ بهم التحدى لقوات الاستعمار أن يحتفلوا  
بلقاء الملك فاروق في ذكرى ٤ فبراير بناديهم بالزمالك  
لأنفانيا في حبه فانهم الذين خلعوه فيها بعد ، ولكن اشعارا  
للمستعمر بأن الجيش لن ينسى هذه الاساءة التي مست  
كرامة مصر .

وقد ادخل الضابط المعتقل ، بعد أن طرد من الجيش ،  
لأنه كان قد بدأ سلسلة متصلة من المغامرات ضد  
المستعمر ، وهي مغامرات اتسمت ، الى جانب وطنيتها ،  
بالشجاعة والصبر والاقدام ، وهذه صفاته دون شك ،  
وان كنت تنظر الى وجهه الأسمر ، والى أناقته وعنايته  
الفائقة بمظهره وشاربه وهندامه ، فلا يخطر ببالك أن هذا  
كله يخفى وراءه حماسا واقداما واصراراً على أن يكون  
لمصر مكانها تحت الشمس . . وكان الضيف يسأل نفسه  
دائماً : هل كل الصنف الجديد داخل الجيش من هذا  
النوع ؟ ولم يدر بخلده وهو يطرح على نفسه هذا السؤال  
ان هذا الصنف الجديد من الضباط سيكون على رأس حركة  
عسكرية تطيح بالملك فاروق . . وتدخل مصر في سلسلة من  
الاحداث الكبيرة والتغيرات الخطيرة بما فيها من سلبيات  
كثيرة وايجابيات محدودة .

وتحدث الضابط الاسمر فسأل الضيف :

**الضابط الاسمر :** هل لديك نسخة من هذا الكتاب ؟

**الضيف :** كانت لدى نسخة واحدة احتفظت بها لنفسى ، ولكن  
البوليس استولى عليها عندما جاء قبيل الفجر بطرق  
ابواب منزلى . وقضى الساعات يبحث عن المزيد من  
النسخ ، ثم انصرف بعد أن صدرت اليه الاوامر بالانصراف ،

ثم عاد بعد اسبوعين يبحث عن جديد . . لأن شيئا جديدا  
طرا على الموقف ، وأثار اهتماما جديدا .

**الازهرى : وهل وجد عندك هذا الجديد ؟**

**الضيف :** كان هناك جديد على الدوام . والجديد في هذه المرة كان  
منشورا مطبوعا وموزعا تضمن الرسالة التى حول بها  
الكتاب الاسود من القصر الملكى الى رئيس الوزراء ولم  
تكن صيغة الرسالة عادية لانها تضمنت التلميح بأن الكتاب  
قد اشتمل على وقائع تستأهل الرد . .

**الازهرى : وهل وجد المنشور معك ؟**

**الضيف :** نعم . فلم يكن ممكنا أن يخرج الكتاب الاسود ونكتفى  
به . بل كان لابد من المتابعة ، فنحن نعتقد أن من حق  
كل مواطن أن يعرف الحقائق ، ومن حق كل مواطن أن  
يتكلم وان ينتقد ، وان يهاجم الحاكم اذا ما ارتكب الخطأ  
الذى يحاسب عليه ، ومن ثم لم نتردد في مباشرة  
« المواجهة العلنية » واذا كانت الصحف قد منعت من  
الاشارة الى صدور الكتاب الاسود ثم حيل بينها وبين نشر  
رسالة رئيس الديوان الملكى ، فليس معنى هذا ان  
نقاعس ونسكت ونخضع ، والا ذهب الجهد الذى بذل في  
اعداد الكتاب الاسود عبثا ، وكل عمل كفاحى يجب أن  
يتابع وأن يمضى به أصحابه في نضالهم لتثبيت جديتهم في  
العمل . وقد كان مكرم عبيد واحدا منهم .

**الضابط الاسمر :** صح . هذا كلام سليم . فالاستسلام يعنى اعطاء  
الحاكم كل الفرص في الانطلاق بلا رقابة شعبية ، ولابد  
في كل المناسبات من تذكيره بأن هناك رأيا عاما قائما يتحين  
كل الفرص للتعبير عن رايه .

**الازهرى :** لكم كنت اتمنى أن تكون معنا نسخة هنا من الكتاب  
الاسود لنقرأها . ولكن حدثنا بعد هذه المقدمات الشيقة  
عن قصة هذا الكتاب . .



**الضيف :** انها قصة ممتعة استغرقت أحداثها ما يقرب من ثمانية

أشهر ، وقد بدأت عندما أحسست أن الصلات بين القصر والوزارة قد بدأت تضعف فوق ضعفها ، ولم يكن الملك فاروق ، في ذلك الوقت قد انحدر الى ما انحدر اليه فيما بعد ، ولم تكن مراكز القوى داخل البلاط الملكي قد برزت بالصورة الخطيرة التي ظهرت بها فيما بعد ، ولعلها كانت موجودة ولكنها لم تتحين الفرصة لبسط نفوذها على الملك وعلى الحكم وعلى كل السبل المؤدية الى الثراء . بل انها كانت معرضة ومكشوفة للناس . وكثيرا ما كانت تهاجم وتنتقد وتنسب اليها الاخطاء ، وآية ذلك أن الاستاذ محمود مجاهد رئيس ديوان المحاسبة ضمن تقريره السنوي عن حسابات الدولة ملاحظة بشأن مبلغ خمسة آلاف جنيه عمولة استولى عليها كريم ثابت المستشار الصحفي للقصر الملكي مقابل اداء خدمة لجمعية المواساة في الاسكندرية . وقد احدثت الملاحظة ضجة كبرى وبخاصة عندما عرف ان القصر حاول اقناع محمود مجاهد بحذفها من تقريره فرفض واستقال ، ثم انتقلت هذه الواقعة الخطيرة الى مناقشة مفتوحة في مجلس الشيوخ فأتاح لها ذلك فرصة النشر على الناس رغم قيام الرقابة على الصحف ، فقد كانت الحكومة مرتبطة بأن كل مناقشات تجري داخل مجلسي البرلمان لا تخضع على الاطلاق لسيطرة رقابة النشر . وكان مالا ينشر في الصحف يجد طريقه الى الناس عن طريق عرض المعارضة له داخل المجلس .

ولعل من أهم الاسباب التي حالت دون سيطرة مراكز القوى على الاوضاع الداخلية سيطرة تامة هو انه كانت هناك مراكز قوى شرعية ودستورية في مواجعتها . ولكن عندما اختفت هذه المراكز الشرعية وحلت محلها مراكز الضعف .. تجبرت مراكز القوى وازداد نفوذها بصورة اربعبت البلاد .. وقد رأت الكتلة الوفدية المستقلة - وهكذا كان اسم حزب مكرم عبيد - أن الفرصة سانحة لاستغلال السراي في عمل تقوم به المعارضة ضد مصطفى النحاس وحكمه ، وكان الملك فاروق كذلك يتحين الفرصة

للانتقام من رئيس الوفد بسبب احداث ٤ فبراير ١٩٤٢  
لانه رفض أن يشكل وزارة قومية بينما كانت بريطانيا  
تريدها وزارة وحشية تحمى ظهرها في حربها ضد  
المحور . وجاءه السفير البريطاني مايلز لامبسون في  
الساعة التاسعة مساءً ومعه دبابات الجيش المحتل ليفرض  
على الملك قبول تشكيل الوزارة برئاسة مصطفى النحاس،  
وكان أول اتصال مع رئيس الديوان الملكي بشأن هذا  
الموضوع في ليلة ما في أغسطس ١٩٤٢ . وكانت وقائع  
الفساد الحزبي قد بدأت تأخذ شكلا مثيرا ، وبدأ الناس  
يتكلمون عن ترقيات استثنائية وتصرفات مالية تمس نزاهة  
الحكم . وعمولات تدفع في مقابل تخفيف أو شطب أحكام  
التموين وانطلاق قرينة رئيس الحكومة السيدة زينب الوكيل  
في ممارسة عمليات استغلال نفوذ لتحقيق الثراء استنادا الى  
قيام الرقابة على الصحف ، واطمئنانا الى انه لن يتكلم  
أحد أو يذيع اسرار هذه المخالفات كلها . . وسألت أحمد  
حسين باشا : الا من سبيل لوقف هذا الفساد الذي يكاد  
يقضى على الاخلاق ؟ ورد قائلا : لا يمكن أن اتحرك الا اذا  
كانت هناك ادلة ووقائع تحت يدي . . وقلت له : واذا  
تحقق ذلك ؟ . . فقال : الان ليس هو الوقت المناسب  
فما زالت الوزارة تقضى شهر العسل مع دار السفير  
البريطاني ولكن هذا الوقت سيأتي قريبا . .

وسافرت في اليوم التالي مع مكرم عبيد باشا رئيس الكتلة  
الى مصيف رأس البر . . ورويت له خلال الرحلة ما دار  
بينى وبين أحمد حسين باشا ، فصمت قليلا وقال  
« ما رأيك في أن نجتمع الوقائع ووثائقها ثم نضمنها عريضة  
نرفعها الى الملك ؟ قلت : فكرة سليمة . . ومحاولة قد  
تأخذ بعض الوقت فتقدم عندما يرى القصر أن شهر العسل  
قد انقضى . . . » ولم اكمل كلامى فقد كان مكرم عبيد  
رجلا شعبيا يفضل التخاطب مع الجماهير قبل أن يتخاطب  
مع الملك أو المسؤولين ، ولهذا لم يكن يريد أن يقدم  
عريضة لا يقرؤها أحد . أو يقتلها رئيس الحكومة بصمته

على كل اتهام يرد فيها ومن ذلك كنت أحس أنه يفكر في طريقة تجمع بين الأمرين : مريضة الى الملك . و « منشور يتضمن نص العريضة ليوزع على الناس ، وبذلك يضمن أن يحقق هذا العمل نتيجة رسمية وشعبية معا . . . ولم أكن مخطئا في تفكيري إذ لم يلبث أن صارحنى مكرم باشا بهذا الرأي ، وطلب منى أن أدبر أمر طبع العريضة المتوقعة في كتاب . وتلك كانت نقطة بداية « الكتاب الأسود » عريضة الى الملك . منشورا مطبوعا في شكل كتاب وعندما بدا مكرم يعمل على استيفاء البيانات والوثائق الدالة على فساد الحكم وجدنا انفسنا في النهاية أمام سيل من الوقائع وشعرنا أنه لا سبيل الى اخراجها في كتاب صغير الحجم ، ولا بد من أن يتضمنها كتاب كبير يطبع ويوزع على الناس في وقت واحد عندما تقدم العريضة الى الملك وبذلك تكتمل الضربة وتأخذ شكلها الحاسم .

وكانت عملية طبع الكتاب هي مشكلة المشاكل . إذ أن كافة المطابع لم تكن تقبل طبعه بسبب رقابة البوليس المفروضة عليها ، ولأنه كان يتحتم الحصول على موافقة مسبقة قبل طبع أى شيء ، ثم أن مكرم عبيد كان يحرص على أن يظهر جهده في ثوب جذاب وفي كتاب كامل الشكل ولم يكن ممكنا استعمال آلات الرونيو لتحقيق هذا الغرض .

وكلفت بالبحث في هذا الموضوع : كيف نوفر طبع الكتاب بعيدا عن رقابة البوليس ، وكيف يحقق في نفس الوقت أن يكون الكتاب جيد الطباعة والاخراج ؟ . وتفرغت لهذه العملية الشاقة تفرغا تاما فقد كنت إذ ذاك مستقيلا من عملى الصحفى بجريدة المصرى ، لأن صاحبها بقى مع الوفد بينما خرجت منه مع مكرم عبيد ، ومع انى كنت قادرا على الانتقال الى عمل صحفى آخر في جريدة أخرى لأن الصحفى لم يكن مملوكا لفرد واحد الا أن ارتباطاتى السياسية هي التى فرضت على أن ابتعد عن أى عمل صحفى اكتفاء بالعمل السياسى ، وكنت قد فصلت من

عضوية مجلس النواب ( الشعب حاليا ) بعد أن اكتشف المجلس أن سنى لم تكن قانونية — رغم اقراره بصحة عضويتى من قبل — .

وكونت فريقا من شباب الحزب لتحمل اعباء هذه المهمة الضخمة ، منهم من كلف بشراء مطبعة صغيرة قديمة ولكنها صالحة لطبع الكتاب ، ومنهم من كلف بشراء الورق اللازم لطبع الكميات المطلوبة ومنهم من كلف بالتعاقد مع عمال جمع وطبع ، ومنهم من كلف باختيار مكان سرى نخبىء فيه كل ذلك ، ولم يكن أحد منهم يعرف ماذا يعمل الآخر . ولم يكونوا جميعا يعلمون الفكرة من وراء ذلك كله . ولكنهم كانوا من الشباب المخلص لفكرة الحزب فمضوا بالسكوت . ولم يحاولوا الاستفسار أو التساؤل .

ولم يكن هذا هو حال شباب حزب الكتلة وحده . بل أن شباب مصر فى ذلك الوقت ، وفى كل الاحزاب كان يؤمن بالرسالة الوطنية ، ويحرص على النظام ، ويحترم رأى الكبار ، لانهم اعتادوا أن يستمعوا اليه ويحاولوه ويحاولوا أن يكونوا منهم الصفوف التالية التى تحمل اعباء المسئولية .

وكان أحمد ماهر باشا من رجال مصر الذين يجدون متعة فى الجلوس الى شباب مجلس النواب فيعلمهم أساليب المعارضة والتأييد . وكان يجلس الى شباب الجامعة والمدارس فيشعرهم بأن لهم كيانا وأن لهم قيمة فى حياة الوطن . . كان كل كبير يحرص على تكملة الصفوف الناقصة بعناصر شابة مكافحة مثقفة قادرة على تقديم التضحيات ، أو بمعنى آخر كان كل كبير يحرص على ادخال الشباب فى تجارب الحياة المرة فى ظل الرعاية والارشاد ليكتسبوا الخبرة من التجارب ثم ليختاروا ما يشاؤون .

الضابط الاسمر : هذا عظيم . . .



**الضيف :** وبدأ مكرم يكتب . ويدقق . ويحقق . ويعد العريضة ،  
تأما كما يعتكف النائب العام لأعداد عريضة الاتهام في قضية  
كبرى وهامة ، ومن أجل جمع الحقائق والوقائع والأدلة  
جند مجموعة ضخمة من معاونيه ومعارفه في الوزارات ،  
وغيرها ، لاداء هذه المهمة من غير أن يطلعهم على حقيقة  
المهمة . ولا أريد أن أطيل عليكم في تفاصيل صغيرة . المهم  
أنه كلما انتهت كتابة جزء سلمناه الى العامل المسكف  
بالجمع ، وهو الوحيد الذي كان يعرف — ولو بالاستنتاج  
— سر العملية كلها ، ولعله فهم ذلك صراحة عندما قيل  
له أنه يجب أن « يحبس نفسه » في المكان الذي اخترناه  
للمطبعة ، ولا يغادره ، ولا يتركه أبدا ، وقد رضى بذلك  
عن طيب خاطر . . وهذه صورة أخرى من صور الكفاح  
العمالي تدل على أن العمال لم يكونوا أقل وطنية من  
الآخرين . بل كانوا إذا ائتمنوا بسلامة فكرة أو موقف  
لا يترددون في العمل بكل طاقاتهم وتضحياتهم . كان العامل  
يتسلم الأصول ويجمع الحروف ، ويعد الصفحة ، ويطبّع  
البروفات ، ويتسلمها بعد تصحيحها ليصحح الأخطاء  
المطبعة . ثم كان يقضى أوقات فراغه — وكانت طويلة  
ومملة — في حفظ كل ما جمع من أصول الكتاب حتى أصبح  
الوحيد في مصر كلها الذي حفظ ما جاء في الكتاب الأسود  
عن ظهر قلب .

**الأزهري :** ولكن كيف ؟ . ألم يشعر البوليس بهذه العملية أو يرتاب  
فيما يدبر في الخفاء . . ؟

**الضيف :** لقد احسبنا أكثر من مرة بأن هناك علامة استفهام  
كبيرة تشغل بال البوليس السياسي ولا يجد لها جوابا  
سريعا . . ولهذا نقلت المطبعة من مكانها مرتين . .  
وبمنتهى السرية . . كذلك كنّا دائما نقوم بتحركات  
تضلل البوليس ، ويبدو أنه لم يتنبه الى ذلك الا في الايام  
الآخرة بعد أن طبع الكتاب كله وكتبت العريضة بخط اليد  
وأصبحت العملية كلها في انتظار ساعة الصفر .

ثم حدث بعد ذلك أن عرفت واقعة جديدة مدعمة بوثيقة مهمة أخطرت بها مكرم عبيد ، وباليقنى لم أخطره بها . فقد صمم على اضافتها الى العريضة وإلى الكتاب المطبوع . وكانت المطبعة قد فكت اجزاؤها . وسرح العامل الذى كان سجيناً معها ستة أشهر . . ولم يكن ممكناً المجازفة بطبع تفاصيل هذه الواقعة فى مطبعة تجارية عامة . . ولكن مكرم عبيد كان فرحاً بالواقعة ، وازداد تصميمها على اضافتها ، ولم يكن أمامنا الا المجازفة . . مع احتمال أننا قد لا ننجح فيها وقد تضيع بها العملية كلها .

وقد نجحنا فى الاتفاق مع مطبعة قامت بإداء المهمة المطلوبة ، ولكن البوليس عرف بها أو خيل اليها أنه عرفها — فلم يكن أمامنا الا الاسراع بساعة الصفر .

**الازهرى :** وهل كانت الواقعة خطيرة الى هذا الحد الذى يتعرض فيه الكتاب للسقوط فى أيدي البوليس ؟

**الضيف :** نعم . فقد وقعت تحت ايدينا رسالة برقية أرسلت بالشفرة من رئيس الوزراء الى سفير مصر فى بريطانيا .

**الضابط الاسمر :** وماذا تضمنت هذه البرقية ؟

**الضيف :** كانت حرم رئيس الوزراء السيدة زينب الوكيل — صاحبة النفوذ الأكبر فى هذه الفترة — تطلب شراء قطعة من الفراء .

**الضابط الاسمر :** واقعة خطيرة . . واستغلال رسمى لاجهزة الدولة .

**الضيف :** من غير شك .

**الضابط الاسمر :** ولكن كيف تحددت ساعة الصفر ؟

**الضيف :** عندما أحسنا بشدة مراقبة البوليس لنا ذهبت الى أحمد حسنين باشا وأخطرته أن العملية كلها قد انتهت ، ونخشى أن يضيع الجهد الجبار الذى بذل فى طبع الكتاب ، لأن البوليس قد ضاعف من جهوده لحل اللغز الذى شتم بعض روائحه ، ولكنه لم يعرف من أين تتبعث هـذه الروائح ، وما هو نوع الطبخة وكان احساسنا بذلك ناشئا من أن معظم أعضاء الكتلة وضعوا تحت رقابة مشددة .

وابتسم أحمد حسنين فى هدوء — وكان ذلك فى أوائل مارس من عام ١٩٤٣ — وقال : يبدو أن فى الامكان أن نحدد ساعة الصفر قريبا ، وإذا كان هناك خوف من أن تسقط العملية كلها فى يد البوليس قبل اختيار ساعة المناسبة ، فلا مانع عندي من تسليم النص المكتوب باليد للعريضة ومعه الوثائق للاحتفاظ بها فى خزائن قصر عابدين .. وما عليك الا أن تسلمها الى غدا فى منزلى . ومع أن تسليم العريضة يعتبر عملية بسيطة الا أنه فى واقع الامر كانت عملية ضخمة كبرى .. استغرقت ١٢ ساعة متصلة .

**الضابط الأسمر :** ( ضاحكا بصوته العالى ) — هذا كلام جميل .. لأنه تعجبني جدا هذه الأعمال المرسومة التى يتم فيها خداع قوات البوليس السياسى .

وكان هذا الضابط قد عاش جزءا كبيرا من بداية حياته النضالية هدفا لرجال البوليس السياسى ، أو ما أسميناه فيما بعد رجال المباحث العامة ، لأنه يقوم بعملیات تركزت كلها على محاربة المستعمر واغلاق راحته . ويروى أصحابه من ذلك قصصا كثيرة ، وان كان هو لم يذكرها لى على الإطلاق ، بل كان يتجنب الحديث عنها ، ويكتفى اذا وجه اليه سؤال فى موضوعها بضحكة عالية من ضحكاته التى كانت تكشف عن أسنان بيضاء يعتنى بها كثيرا ، رغم كثرة السجائر التى كان يدخنها فى اليوم الواحد . وهو لهذا

كان يطرب اذا وجد من بشاركه العبث برجال البوليس  
السياسى .

**الازهرى الفيلسوف :** ولماذا استغرقت عملية تسليم العريضة  
والوثائق هذا الوقت كله ؟

**الضيف :** لقد كنت تحت رقابة شديدة من البوليس السياسى ،  
وازدادت هذه الرقابة عنفا فى الايام الأخيرة وكانت خطة  
التسليم تبدأ بزيارة لمنزل فى شبرا « حجز » فيه الخطاط  
الامين فترة طويلة ليكتب العريضة بخط اليد تطبقها  
للاصول والبروتوكول فى أن كل عريضة ترفع الى الملك  
يجب أن تكون بخط اليد . . لماذا ؟ لست ادرى . . وكان  
على بعد تسلم العريضة والوثائق أن أضعها فى السيارة ،  
واخترق بها القاهرة من شبرا الى ميدان عبد المنعم بالدقى  
( أمام مستشفى مورو ) حيث كان يقيم أحمد حسنين . .  
وكانت العملية تتطلب للتأكد من تضليل البوليس السياسى  
ألا أذهب الى شبرا مباشرة بل أسير على غير هدى  
فى شوارع القاهرة حتى أضمن مائة فى المائة انى أفلت من  
الرقابة البوليسية ثم أعود مرة أخرى الى مواصلة عملية  
التضليل زيادة فى التأكد من خلو الرقابة . هذا الى أن تسليم  
العريضة الى أحمد حسنين باشا كان مقدرا له أن يتم حوالى  
الساعة الثامنة ، وبعد أن يخيم الظلام على الشوارع  
والمنازل .

وملأت مستودع النزين فى مساء اليوم السابق لتنفيذ  
الخطة ، ثم قمت فى الصباح الباكر . وانطلقت بالسيارة  
أجوب بها شوارع القاهرة . واقف عند منازل بعض الاقارب  
والاصدقاء لزيارتهم ، وأمضى فى هذه الزيارات أطول وقت  
ممكن ، والقى بين الوقت والآخر نظرة من النافذة لتأكد من  
نجاحى فى الهرب من الرقابة البوليسية . . ثم فصلت  
أبدأ الخطوة الثانية ، وهى الانتقال الى شبرا - إلا بعد  
التأكد أكثر من مرة من أن طريقى قد أصبح آمنا ، ولهذا  
حرصت على أن أجوب شوارع القاهرة مرة أخرى ،



واتوقف مرات . ثم أعود الى متابعة السير . وبعد ظهر ذلك اليوم كنت أقف أمام المنزل في شبرا ، ثم دخلته وخرجت ومعى حقيبتان صغيرتان فيهما حصيلة هذا العمل الكبير الذى هزم مصر هذا ، ووضعتهما في السيارة باطمئنان ثم انطلقت مرة أخرى الى أمكنة مجهولة ، وأخذت اتطلع أمن مرآة السيارة الصغيرة للتأكد من سلامة الطريق حتى غربت الشمس فأخذت فى الانطلاق نحو الدقى . . . وتلك كانت الفترة الحرجة التى كدت أن أفقد فيها اتزانى ، إذ أنه كلما اقترب النجاح ، ازدادت ضربات قلبى ، ولكنى كنت أحس بأن شيئاً ما داخل نفسى يقول لا بد من أن أنجح ، لأن الله معنا .

كان ایمانى بالله لا يتزعزع . وكنت أعرف ان الله لا يحب الفساد ، وأنه إذا كان المفسدون يظنون انهم استطاعوا بقدراتهم الهرب من العقاب . فان الله أعدل من أن يجعلهم يهربون بخطاياهم . ان الله يمهل ولكنه لا يمهل ، ذلك كان حديثى بينى وبين نفسى فى هذه اللحظات الحرجة ، وكنت أتخيل الجهد الذى يبذل فى جمع المعلومات وكانت صورة العمل الكبير الذى كان يبذل فى طبع الكتاب ، وكيف اننا نوفق المرة بعد المرة فى نقل المطبعة الصغيرة من مكان الى مكان تضليلاً للبوليس . وكيف تجمع شباب الحزب وسيداته يعملون الساعات الطويلة فى جمع ملازم الكتاب وترتيبها وتجليدها بالغلاف الاسود . . . كنت اتصور كل هذا الجهد الذى باركته يد العناية الالهية . . . ولا اتصور اطلاقاً انه يمكن ان ينتهى الى لا شيء . ان هذا العمل الذى احملة معى هو معركة من المعارك لمحاربة الفساد الذى هز ثقة الشعب فى نزاهة الحكم واصبح الكلام عنه على كل لسان . . . فهل يمكن ان ينتهى الى لا شيء . . . ؟ مستحيل ! وفى الساعة السابعة مساء وصلت الى ميدان عبد المنعم ووقفت بعيداً عن المنزل أرقب . وأتأكد ان الطريق الى داخل منزل أحمد حسنين حالياً من كل رقابة . ثم خرجت من سيارتى فى الساعة المحددة وحملت معى الحقيبتين ، . . . وبكل هدوء وإيمان

فتحت باب الحديقة .. وضغطت على جرس الباب .  
وفتح الباب فورا وخطوت الخطوة الأخيرة نحو نصف  
النجاح . وعندما جلست في صالون المنزل . أخرجت  
العريضة من الحقيبة ووضعتها على الأرض وكانت ضخمة  
في حجمها وارتفاعها . ثم فتحت الحقيبة الأخرى وأخرجت  
منها الوثائق المدعمة لمسا ورد في العريضة من وقائع . ثم  
اشعلت سيجارة وأغمضت عيني ولم أفتحها الا عندما  
أحسست أن باب الصالون يفتح ، ورأيت أمامي أحمد  
حسنين يتطلع الى العريضة بضخامتها وقد ارتسمت على  
وجهه علامات الدهشة .. وتسائل : كل هذا عريضة  
واحدة ؟

وطال الحديث بيننا في تلك الليلة . كنت أحاول الاتفاق  
على تحديد ساعة الصفر للعملية الأخرى المكلمة ، وهي  
ذهاب مكرم عبيد الى قصر عابدين ومقابلة أحمد حسنين  
لتقديم العريضة بصورة رسمية . ذلك لأن خطتنا كانت  
قائمة على توزيع الكتاب على الشعب في نفس اليوم ، وتلك  
كانت عملية تتطلب اعدادا وتحضيرا على أساس أن  
التوزيع يجب أن يتم في كافة انحاء مصر في وقت واحد .

**الضابط الأسمر : عظيم .. عظيم جدا ؟**

**الأزهري الفيلسوف :** هذا عمل جليل يستحق الإعجاب والتقدير  
وان كنت واحدا من الأزهرين الذين كادوا يحطمون سيارة  
مكرم عبيد يوم كان عضوا بحكومة الوفد ..

**الضيف :** لا داعي للأسف . فقد كان لك فيه رأى . ثم عرفت  
الحقيقة . وهذه ميزة الحياة الديمقراطية . أن تسهل لك  
الوقوف على الحقائق كلها ؟ وهي التي تسمح لك بأن  
تكون رأيا غير الرأى الذى كنت عليه . انها تجعلك حرا  
في اختيار الطريق الذى تسير فيه . صحيح ان الديمقراطية  
كانت أسيرة الظروف الاستثنائية التى تعيش تحت وطأتها  
البلاد ، ولكن من الممكن أن تتخلص من هذا الأسر بين

الوقت والآخر اذا وجدت من يناهض الاستثناء ، ويتمسك بحقه .

**الضابط الأسمر :** ان هذه حقيقة لا خلاف عليها ، الديمقراطية عصب الحياة لكل الشعوب . والقول بأنها تصلح للشعب ولا تصلح لشعب آخر كلام مرفوض في كل الأزمنة ( ملتفتا الى الضيف ) ثم ماذا ؟

**الضيف :** المهم ان أحمد حسنين لم يكن قادرا على ان يحدد الموعد ، ولكنه قال ان هذا قد يكون في خلال أسبوعين . . وان على أن اتصل به تليفونيا بين وقت وآخر ، فاذا قال لى «أنكاوتشوك» السيارة جاهزا وان التسليم سيتم غدا . فمعنى ذلك أن الموعد سيكون في اليوم التالي ظهرا . وخرجت في تلك الليلة سعيدا أنطلق بسيارتي الى منشية البكرى حيث كان يسكن مكرم عبيد . . وأخذت أفكر خلال هذه الرحلة الطويلة في الخطوة الثانية ، كيف يتم توزيع الكتاب ، وكيف نضمن وصوله الى كل الناس وكيف . . وكيف . . كنت أحس أنى تحررت من أسر دام ١٢ ساعة . لم أكن أتطلع الى ما ورائى ولم يكن يعينى ان كنت مراقبا أم غير مراقب ، ولم يكن يعينى ان أتلقت يمينا أو يسارا . كنت أسبح بفكرى في الآثار المرتبة والتي سقترب على تقديم المريضة واذاعتها على النفس . ونسيت في غمرة هذا التفكير كله أن أضغط على بنزين السيارة وأسرع لانهى حالة القلق التى كان يعيشها مكرم عبيد في هذا اليوم ، والتي جعلته يخرج في هذه الساعة الى حديقة منزله ليقطعها ذهابا وإيابا في حركات عصبية ثم ينطلق الى الشارع متطلعا الى كل سيارة قادمة لعلها تكون سيارتى . ولست أنسى اللحظة التى رآنى فيها ، وتطلع الى وجهى دون أن ينطق بكلمة وعندما رفعت له يدى بعلامة النصر . . انطلق يقلنى ولم يسأل عن تفاصيل ما واجهته خلال اليوم ولكنه بادرنى بسؤال هام وهو : ومتى تتم الخطوة الثانية ؟ .

وفي تلك الليلة جلسنا نخطط لعملية توزيع الكتاب .

**الضابط الأسمر :** .. ان القصة شيقة . والعملية رائعة .  
رائعة . ولهذا اقترح ان نؤجل الكلام عنها . ان أيامنا في  
المعتقل طويلة . وأحب أن ندخر بقيتها الى غد ..

\* \* \*

ولما انتهت الأمسية بأحاديثها الشيقة ، وانطلاقاتها  
الحرّة سار الضيف مع الضابط الأسمر في حديقة المعتقل  
يتحدثان في كل شيء وكانت العلاقة بينهما قد توطدت  
وتدعمت ، وقال الضيف بأن في داخل هذا الضابط عزيمة  
جبارة ، وقدرًا كبيرًا من الوطنية واصرارًا على أن تستعيد  
مصر مكانتها الحرّة .. ان تحطم الأغلال الداخلية كانت  
أو خارجية .. وكانت نغمات موسيقي الجاز في ملهى  
« حلمية بالاس » القريب من المعتقل تصل اليهما لتقطع  
هدوء الليل وسكونه ..

وكان هذا الملهى واحدا من الملاهى التى يقضى فيها  
الملك لياليه المتصلة . فمنذ ذلك التاريخ كان فاروق قد بدأ  
في انطلاقة اباحية علنية كأنه يتحدى كل القوى السياسية  
المصرية والبريطانية . كان يرى نفسه ضائعا ، فأراد أن  
ينسى هذا الضياع في جلساته مع النساء ،  
ومنذ ذلك الوقت بدأت مراكز القوى في البلاط الملكى  
تستعد للامساك بدقة الأمور . ونجاة تطلع الضابط الأسمر  
الى الضيف وسأله :

نسبت ان الملك فاروق يقضى لياليه متنقلا بين ملاهى  
الليل في القاهرة .. فهل هذا صحيح ؟

**الضيف :** يبدو أن ما يقال هو الصحيح . وان صدمة ٤ فبراير قد  
أخلت بتوازنه ..



**الضابط الأسمر :** أو ليس من الغريب أن يكون مصير الكتاب الأسود  
بما تضمنه من مخالفات وفضائح بين يدي رجل انغمس  
هو نفسه في الفضائح .

**الضيف :** اتفق معك في الرأي ، ولكن ماذا كان يمكن أن  
نفعله ، لقد كان لابد من تحرك . وكان لابد من تحريك  
الهدوء وتحويله الى عاصفة ، كان لابد من اشعار الحكومة  
أن الحكم العرفي لا يحميها اذا كانت هناك ارادة شعبية  
صلبة ، وأن الاجراءات الاستثنائية لا تقف حائلا دون  
الوصول الى معرفة الحقائق أو بمعنى آخر كان لابد من  
تجنب الوقوع في براثن السلبية التي تولد الخوف والقلق  
في نفوس الناس . وكان لابد أن يبقى الرأي العام  
مستيقظا . وأن يعيش في جو تصطدم فيه الآراء وتتصارع  
لانه لا حياة للرأي العام الا في هذا الجو الصحي .

ولا يعني أن يكون الملك فاسدا . ان الذي يعني أن  
نستغله وأن ننفذ من جدار سلطانه الى مواجهة الفساد .

**الضابط الأسمر :** ( بعد صمت طويل ) ربما كان ذلك صحيحا ..  
ولكني أحس أن هذه بداية النهاية قد تطول هذه البداية  
حتى تصل الى النهاية ، ولكن من يدري ؟

وكان ذلك في ربيع عام ١٩٤٣ .

## ما تضمنه الكتاب الأسود

وفي الليلة التالية ، كان أخوه المعتقل يفدون واحدا بعد الآخر الى حيث اعتادوا قضاء أمسياتهم الهادئة . . وكان ذلك بعد أن انتهوا من تناول طعام العشاء الجماعي الذي اعتادوا أن يبدأوه بترديد نشيد « بلادي بلادي » ثم يمضون في أحاديث صاخبة ونكات لا تتوقف ، ولكنها تنصب على الحكم والنظام وما جرى في مصر . لم يتركوا أحدا إلا تعرضوا له بالنكته اللاذعة ، ولعلمهم بذلك كانوا يمارسون حرية لا وجود لها في الخارج وهذا ما كان يجعلهم يحسون بالطمأنينة والراحة .

ومع ذلك وعلى الرغم من كل هذه النكات ، ومن كل ما كان يردده المعتقلون لم تكن هناك عقوبات أو جزاءات . . بل كان ضابط المعتقل يستمع الى هذا كله ، ويبتسم وأحيانا . كان يشاركهم وينقل اليهم ما ينردد في خارج المعتقل من نكات جديدة .

وكان الضابط الأسمر يجلس هادئا ساكنا واضعا ساقا على ساق يتطلع الى وجوه الجالسين . . ثم يطلق تنهيدة طويلة ، ويشعل سيجارة بعد أخرى في هدوء يخفى وراءه عصبية حادة . . ومع أن الكلمات التي كان ينطق بها خلال هذا الحوار وخلال جلسات أخرى مقصورة على قلة من المعتقلين كانت قليلة إلا أنها بليغة قوية تدل على أن شيئا ينفرك داخل نفسه ، ولكن لا يريد أن يبوح به ولعله لم يكن يعرف ماذا يجب عليه عمله ، أو ما هو البديل لهذا الذي تعيش فيه مـُـضـَـرَـة على أن المؤكد أنه كان يتطلع الى حريته لا لينعم بها ، وإنما لكي يواصل ما بدأه من مناوأة للمحتل وأرهاب لأذنا به من المصريين .

وكان الأزهرى الفيلسوف يتحرك من مكان الى آخر في حدود الحلقة الضيقة التي كانت تضم الشمل . . بينما يطلق في نفس

الوقت ضحكته العالية العصبية التي كانت تعبر عن قلقه من امتداد أيام الاعتقال وكان يردد بين الوقت والآخر ، وبصوت عال « يا نحس » ولعلها كانت كلمة تعبر عما في نفسه ، وإن كان قد حرص دائما على القول بأنها مشتقة من اسم رئيس الوزراء « النحاس » وأنه يشعر براحة شديدة عندما يقف في نافذة حجرته أو على سطح المعتقل ويطلق الكلمة قوية ليسمعها الذين يستمتعون بحرياتهم خارج المعتقل ، ولكنهم لا يجسرون على النطق بها . . وما دام هو قادرا على ترديدها فمعنى ذلك أنه حر .

وكان بين الجالسين معنا في تلك الليلة شاب ضئيل الجسم ، صغير السن ، كثير الكلام ، يناقش ويحاور مما أكد للضيف أنه درس القانون وأنه يعد نفسه للدفاع عن حقوق الناس . وقد كان واقعته كذلك فهو قد تخرج في كلية الحقوق وظهر من كلامه أنه يفضل الصحافة على مهنة المحاماة وأنه سيسعى الى بلاتها بكل ما يملك من قدرات وعزم .

وكان هناك ايضا الضابط الطيار الذي دخل المعتقل لأنه عدو للمحتل البريطاني ، ولأنه قد عزم على محاربتهم بكل قواه وكان صديقا للضابط الأسمر . ولكنها كانا يختلفان في الطبع وفي الصفات وفي التفكير . . لم يكن غيبا . . ولكنه كان يتظاهر بالغباء ، وكان يهز رأسه كلما استمع الى كلام لا يعجبه ، . . ويردد كلمة « حلو . . خليها على الله » .

وكان هذا الضابط الطيار أول المتحدثين في تلك الليلة وبدأ يهز رأسه ويرتب كلمات السؤال الذي ينوي أن يفتتح به النقاش ، وفي نفس الوقت يضحك في هدوء ضحكة لو أن غريبا سمعها لقال عنه « ما هذا الابله » ولكنه لم يكن كذلك .

**الضابط الطيار :** « صلوا على النبي يا جماعة » . . الليلة عاوزين نسمع أولا بقية قصة توزيع الكتاب الأسود . . ثم صلوا على النبي كمان . . وبعدين نسمع عن الوقائع التي تضمنها الكتاب .

**الضابط الأسمر :** يا حسن .. ( وكان هذا اسم الطيار ) .. يا حسن  
اعقل وأتكلم كويس ..

**الضيف :** ان خطة توزيع الكتاب الأسود فرضت علينا ان نكشف  
الستار عن سر العملية الكبرى وان يعرف بعض أعضاء  
الحزب ما الذى كان يهرب فى الخفاء ، ولعل ضخامة  
العملية وما بذل فيها من جهد وفرحة أعضاء الحزب بها  
هو الذى أوجد عندهم حالة من الالتزام بالسرية كاملة الى  
ان يرى الكتاب النور ويصل الى أيدي الناس .

وقد وضعت خطة التوزيع على أساس ارسال الكميات  
المخصصة للمحافظات والمديريات فى « اقفاص للفاكهة »  
تحتل على نسخ من الكتاب ومعها رسالة تضمنت مهمة  
محددة هى ان يبقى أعضاء الحزب فى المحافظات — وكان  
أغلبهم يجهل ما فى الاقفاص — لا يغادرونها الا بعد ان  
يسمح لهم بذلك ، وبعد ان يخطرأ بطريقة التصرف فيها  
هو داخل الاقفاص .

أما فى القاهرة والاسكندرية فقد وقع الاختيار على  
مجموعات من الشباب ، الى جانب بعض أعضاء الحزب ،  
وطالب منهم تقسيم المحافظتين الى عدة اقسام كما طلب  
من كل فرد منهم ان يعد كشفا بأسماء وعناوين الشخصيات  
المؤثرة شعبيا وسياسيا فى كل قسم من الاقسام التى  
كلفوا بها وان يكونوا تحت تصرف رئاسة الحزب بصفة  
مستمرة لاختارهم بما سيقومون به من عمل وطنى هام ..  
ولم يحاول هذا الشباب الصغير ان يسأل أو يتحرى أو ان  
يخطر البوليس بما يجرى من أعمال ، فقد كان الالتزام  
بنظام الحزب مسيطرا عليهم . وكانوا يعدون أنفسهم  
جنودا فى معركة ، لا يسألون ولا يحاورون وانما ينفذون .  
هكذا كان الشباب المصرى وطنيا متحركا مستعدا لأداء  
كل عمل يطلب منه بعد اقتناع وبعد ايمان .



وكننت أو اصل الاتصال برئيس الديوان الملكى أحمد حسنين باشا سائلا عن مصر « الكاوتشوك » وكانت الاجابة تأنى دائما « لسه شوية » ومكرم عبيد يكاد يفقد أعصابه لأنه كان يخشى أن يكون الملك قد صرف النظر عن اجراء « مواجهة » مع مصطفى النحاس ، وفى نفس الوقت كان تحت تأثير التصور بأن هذه العملية الشاقة المنهكة تؤشك أن تسقط فى يد البوليس .

وجاءت ساعة الصفر . . ونطق أحمد حسنين بكلمة السر ، وطلب أن يسلم الكاوتشوك ظهر اليوم التالى وكان ذلك فى الأسبوع الأخير من شهر مارس ١٩٤٣

وعقد اجتماع عاجل بمنزل مكرم عبيد ، وصدرت التعليمات فورا الى المحافظات بفتح الأقفاص فى الساعة السابعة صباحا من اليوم التالى ، فقد أردنا أن يوزع الكتاب قبل أن نقدم العريضة رسميا . وفى الساعة العاشرة مساء وزعت نسخ الكتاب على شباب الحزب فى القاهرة والاسكندرية بلا أقفاص وبلا احتياط . ولم أتم تلك الليلة . . ومن المؤكد أن الآخرين من الذين ساءموا فى العملية واجهوا نفس الحالة . وكان مقررا أن يخرج مكرم عبيد من بيته فى ساعة مبكرة من الصباح وأن يتوجه الى مكان مجهول الى أن تحين ساعة ذهابه الى القصر . فقد كان واضحا فى الكتاب الأسود أنه نص عريضة مرفوعة الى الملك ولما كان الكتاب سيوزع مبكرا . فقد خشيتمنا القاء القبض عليه قبل ذهابه الى قصر عابدين .

وفى الساعة التاسعة صباحا ، كانت القاهرة وكل محافظة من محافظات مصر تتحدث عن كتاب أسود أصدرته الكتلة المستقلة ولم يستغرق توزيع الكتاب سوى ساعة أو أقل لأن الذين جندوا للعملية كانوا من الكثرة بحيث أمكن أن يكون الكتاب فى متناول الذين أردنا أن يصل اليهم قبل أن تدق ساعة البريد الثامنة .

وأخطر مكرم عبيد في مخبئه بنجاح العملية والانتهاء من توزيع الكتاب ، ولم أكن معه في تلك اللحظة ولكن الذين شهدوه بعد ما انتهت المكاملة التليفونية قالوا انه كان يتحرك في المنزل بعصبية شديدة « ويدندن بأغان غير مفهومة ، فقد كان له صوت موسيقى . . وكان سعيدا بالغ السعادة لأنه ضرب « النحاس باشا » ضربة معلم .

واستدعى رئيس الحكومة مدير الأمن العام محمود غزالي الى بيته ليحقق معه في الموضوع ، وكيف غاب عن البوليس اكتشاف هذه العملية الضخمة . ويقال انه جرى وراءه داخل المنزل محاولا ضربه بحذائه ، وان كان محمود غزالي قد أنكر ذلك .

وتحرك مراسلو الصحف الأجنبية يحاولون العثور على نسخة من الكتاب وانطلقت أذاعات العالم توزع أنباءه الى جانب ما كان يذاع عن أنباء المعارك في الصحراء الغربية وأوربا والعالم كله .

وقبل الظهر بدأ أعضاء الحزب يفدون على القصر الملكي في انتظار وصول مكرم عبيد . وكان الفريق محمد حيدر باشا موجودا في السراي ، وما كاد يراني ، وكنا أصدقاء ، حتى بادرني بقوله : سأعد لك مكانا في السجن . وقد كان اذ ذاك مديرا لمصلحة السجن .

ووصل مكرم عبيد في الموعد المحدد. فرحا سعيدا يكاد يطير من فرحته ولم يقل شيئا للصحفيين الذين تجمعوا حوله وإنما اتجه مباشرة الى مكتب أحمد حسنين باشا حيث كانت العريضة رابضة على مكتبه بعد أن أخرجت من خزانة القصر .

وتمت المقابلة . وانتهت العملية الكبرى واستقرحت أعصابنا ، وأخرجت فوراً من القصر الملكي الى النجاشي الأهل حيث اشتركت مع بعض الزملاء في مباراة للتنس

كنا قد تواعدنا عليها وأحسست أن مهنتي في أشق مباراة سياسية قد انتهى الجزء الأول منها ، لأبدأ بعد ذلك مباراة أخرى .. ومن نوع آخر .

**الأزهري الفيلسوف :** وهل تظن أن العريضة ستحقق أغراضها ؟

**الضيف :** لقد حقق الكتاب الأسود بعض أغراضه فعلا وأحسست الحكومة بأن المعارضة ليست صامتة أو سلبية . وأحس الشعب — حتى وإن كانت بعض عناصره الوفدية غير سعيدة بنجاح مكرم عبيد في كشفه مساوئ الحكومة — بأن كيانه مكتومة ما زال قائما ، بل أستطيع أن أقول أن حزب الوفد بأغلبيته الساحقة ، كان متبرما بالأخطاء التي ارتكب في نطاق حزبي ضيق ويتمنى لو أن زعامة الوفد ظلت بطهارتها القديمة وبعدها عن التطلع إلى المراء .

**المحامى الشاب :** ومع هذا فإن المشكلة ما تزال قائمة لأن البارزين في الحزب لم يجدوا الشجاعة في مواجهة الزعامة بما يفرضه عليها الموقف الحزبي من جانب والموقف العام من الجانب الآخر .. وهذا هو مكرم عبيد قاوم كل الانحراف داخل الحزب ومع هذا لم ينضم إليه الا قلة من أعضاء الهيئة الوفدية البرلمانية .

**الضيف :** ألا يعد هذا كسبا ؟ أو ليس هذا أفضل بكثير من أن يظل الوضع على ما كان عليه فلا يرتفع صوت واحد بالمعارضة داخل الحزب ذاته .

**المحامى الشاب :** والنتيجة أن فصل مكرم عبيد واخوانه من الوفد .

**الضيف :** وهذا وضع طبيعي . بل لو أن مكرما لو لم يفصل لوجب عليه وعلى اخوانه أن يستقيلوا . ان السلبية قاتلة وتدفع الرأي العام الى اليأس من رجاله .

**الأزهري الفيلسوف :** دعونا الآن من هذا النقاش الأيدلوجي ، ولنرجع مرة أخرى الى الكتاب الأسود ونسأل ما هي توقعاتك بالنسبة لما ستحققه العريضة .

**الضيف :** لا أستطيع أن أتصور امكانية التخلص من الحكومة حاليا . الذي تحقق بلا شك هو تدعيم الاحساس بأن مجابهة الضغط والتضخم والتحكم في الرأي العام لا يمكن أن تنجح اذا وجد من يتحداها ومن الضروري أن تظل قطاعات من الرأي العام تدق أجراس التنبيه لكل من يجلس في المناصب القيادية ولو أن مكرم عبيد واخوانه التزموا السلبية استنادا الى وجود رقابة وفرض وصاية على الرأي ، لتفاقم الوضع الى أسوأ ، على الأقل ، فإن الحكومة القائمة شعرت بأن انطلاقها له حدوده . وإن هناك رقابة شعبية فعالة ، سواء أكان ذلك في مجلسي البرلمان أو في الصحافة السرية . وأنا أحب أن أسمى الكتاب الأسود بهذا الاسم ، ثم أن هذه العريضة ستعطي للعناصر الطيبة داخل الوفد فرصتهم للحد من الاستمرار في الاستغلال .

**الضابط الأسمر :** صح . هذا سليم . ولكن ماذا تتوقع من مجلس النواب وأغلبيته تؤيد الوزارة القائمة ؟

**الضيف :** من المؤكد ان المعارضة — القليلة العدد — والموجودة داخل المجلس ستجد في العريضة فرصتها للسؤال والاستجواب . ولا مفر للوزارة من مواجهة هذا وذاك . . . وحصيلة هذا كله ان الشعب سيحس بوجوده وكيانه سواء أكان الحكم عرفيا أو استبداديا أو دستوريا .

**المحامي الشاب :** بل انى أتوقع أبعد من هذا . فقد توعز الحكومة الى بعض انصارها أن يثير الموضوع برمته لكي يتاح لها فرصة الرد ، وهنا لابد أن تعد المعارضة عدتها لكي تزيد من ضغطها وتنبه العناصر الطيبة الى التدخل غير المعلن .

**الأزهري الفيلسوف :** وماذا تعنى بالتدخل غير العلنى ؟؟

**الضيف :** أعنى به التدخل فى نطاق الحزب . فأننا أعلم أن الكثيرين من أعضاء الهيئة الوفدية يتألمون من أن تدخل سيده فى أعمال الحكومة تحقيقا لأغراضها . أن استغلال المرأة لنفوذها علامة سيئة وانحدار إلى الحضيض . صحيح أن البعض منهم قد أعترض ، وبشدة ، على أن تهبط المعارضة إلى مستوى منازلة السيدات ، ولكن كان ردنا على هذا هو أن قرينة رئيس الوزراء هى التى شاعت أن تحكم ، وأن يكون لها النفوذ الأكبر فى تصريف الأمور إلى الحد الذى يجعلها تقترح أسماء وزراء ، بل وتعين هؤلاء الوزراء .

**الضابط الأسمر :** هذه نكارة كبرى . ووضع لا يصح السكوت عليه .

**الضيف :** ولكن لا جدال فى أن الحكومة الوفدية قد أحسنت مواجهة مكرم عبيد عندما اتهمته بأنه قد طعن التقاليد المصرية فى صميمها بتعرضه لسيدة مصرية واتهامها بأنها تستغل نفوذها ، ولكنى مع هذا أرى أنه لم يكن هناك مفر من هذه المواجهة . وكان لابد من تنبيه النحاس باشا إلى ما يجرى حوله .

**الأزهري الفيلسوف :** ولكن هل كان النحاس باشا يعلم حقيقة ما يجرى حوله ؟

**الضيف :** لقد كنت أقول دائما أن هناك معادلة لا تخطئ وهى إذا كان رئيس الوزراء أصلا رجلا فقيرا ، ثم انتقل وضعه داخل بيته من فقر إلى ثراء . أهلا يسأل نفسه وهو الرجل المجرب : من أين جاء ذلك كله ؟

**الضابط الأسمر :** انها المعادلة التى لا تخطئ فعلا . وكذلك تكرار ما يقال من أن الأخطاء لا يرتكبها الزعيم وإنما



يرتكبها الذين هم حول الزعيم ، هو كلام نرفضه ولا نقبله ،  
أن المسئولية في كل الحالات هي مسئولية الزعامة .

**الأزهري الفيلسوف :** ولكن هل يلتقط النحاس باشا قفاز  
مكرم عبيد ويرد عليه ؟

**الضيف :** هذا احتمال ، بل لقد تردد قبل اعتقائي أن الحكومة  
تعد كتابا أبيض ، لأنها تتسرع بإنهاء لا تواجهه مكرم  
عبيد وحزبه وحدهما ، بل تواجه السراي أيضًا ، ثم  
لأن الخطاب الذي حولت به العريضة إلى النحاس  
باشا لم يكن خطابا عاديا ، بل صيغ بأسلوب فيه اتهام  
للحاکم وأن لم يكن مباشرًا .

**الضابط الطيار :** صلوا على النبي يا ولاد .. خلونا في الكلام الجد  
.. ان التكهّن بمستقبل العريضة وكتابتها الأسود سابق  
لأوانه .. فلماذا لا نظل في حاضرتنا ونسمع بعضا  
مما جاء في الكتاب الأسود من وقائع ؟

**الأزهري الفيلسوف :** ( ضاحكا بصوت عال ) أهو ذا الكلام الجد .

**الضيف :** أن الوقائع التي جاءت في الكتاب الأسود تنطق بفداحة  
استغلال الحزب الحاكم لسلطاته من أجل ما نسميهم  
( المحاسبين والأنصار ) فالترقيات في الوظائف الحكومية  
كانت تتم بلا قاعدة أو أحقية ، وكنت ترى الموظف المحسوب  
يقفز من درجة إلى درجة في خلال فترة قصيرة متخطيا بذلك  
أقرانه .. أو بمعنى آخر كانت لقمة العيش تؤخذ من قم  
لتعطى لهم آخر .

وكان المحامون من أعضاء الحزب الحاکم يتقاضون  
أتعابا ضخمة من أجل تحريك القضايا العسكرية  
الخاصة بالمخالفات التموينية لصالح موكلهم ، بل  
كانت بعض الأحكام توقف أو تلغى أو تخفف أو تعاد  
للمحاکم ، لأن المحامين المحاسبين كانوا يتقاضون  
مقابل ذلك عمولات في شكل أتعاب ، وما ذلك إلا لأن  
أمر التصديق على هذه الأحكام كان يتطلب توقيع  
الحاكم العسكري عليها ، وهو نفسه رئيس الحكومة

والحزب وكان أشقاء قرينة رئيس الوزراء يقومون بدور الوسيطة في عقد بعض الصفقات ويتقاضون مقابل ذلك عمولات قد تصل إلى مئات الجنيهات ، وبدأت مظاهر الثراء تبدو عليهم وهم الذين كانوا من عائلة كريمة فقيرة

وانى لأذكر جيدا إن النحاس باشا عندما فكر في الزواج ، وهو في سن تكاد تقترب من الخامسة والخمسين فاتح مكرم عبيد في هذا الأمر وطلب منه أن يبحث له عن عروس ..

ووجد مكرم عبيد ضالته في فتاة مصرية صغيرة السن جميلة جذابة ومن عائلة كريمة ، وعندما فوتح والدها في أمر هذا الزواج قال لمكرم بمنتهى المصراحة « أنى رجل فقير ولا أملك شيئا ولا يستطيع أن أجهز ابنتى بما يليق بمكانة زعيم الوفد » .

وعندما وضعت هذه الحقائق كلها أمام النحاس باشا قال لمكرم ، وأنا أيضا رجل فقير ، ولا أستطيع أن أدفع مهرا للعروس ، وعليك أن تبحث الأمر مع طلعت حرب باشا ، رئيس بنك مصر ، لأقراض المبلغ على ألا يشترط البنك وجود ضمان شخصى أو غير شخصى .

وبهذه البساطة تمت إجراءات الزواج .. وبدأت السيدة زينب الوكيل تظهر في الميدان السياسى كعنصر فعال له قوته وله تأثيره ، فقد كانت تتطلع إلى الثراء ، وكان لابد من تعويض عن فرق السن الكبير بينهما وبين النحاس باشا .. ولهذا قصص كثيرة لا تنتهى ..

المهم أن الصفقات التموينية كانت هدفها وهدف الانصار والمحاسيب ، فيتم التعاقد عليها والتصرف فيها وفقا لمصلحتهم بالاضافة إلى استيلاء أعضاء

الحزب أو المقربين الى السيدة حرم رئيس الحكومة على  
الأراضي الحكومية ..

**الضابط الاسمر :** والى أى حد بلغ تدخل السيدة زينب  
فى الحكم .

**الضيف :** لقد كانت هى كل شىء .. وقد ترددت أقوال كثيرة  
عن الهدايا الثمينة التى تقسم اليها فى مقابل « تصريح  
الكثير من الأمور الصعبة » وكانوا يلقبونها « برفعة  
الهائم » ويكفى أن يقال أن رفعة الهائم تريد كذا  
أو كذا من الطلبات .. لتفتح كل الأبواب المستعصية  
لقد كانت الحاكم بأمرها ، ولعل قصة الفراء التى رويتها  
لكم هى التى كادت تهدم عملية الكتاب الاسود .

**الضابط الطيار :** ايه حكايتها يا جماعة .. فراء ايه ؟

**الضابط الاسمر :** يا حسن هذه واقعة تكلمنا عنها من قبل ولا حاجة  
للمرجوع اليها .

**الضيف :** المهم .. ان معظم الوقائع التى تضمنها الكتاب الاسود  
كانت مدعمة بالوثائق ، وكان من الضروري أن تحصن  
العريضة من الوقوع فى أى خطأ يسمح للحكومة باستغلاله  
واعتباره من علامات « الادعاء الكاذب » من جانب  
« الاتهام » . ولقد نجحنا فى ذلك الى حد كبير ، وان كان  
حماس مكرم عبيد وهو يكتب العريضة قد جعله يلبس  
بعض الحقائق أكثر مما تحتمل ولكنها كانت قليلة جداً .

**الضابط الطيار :** وماذا ايضا عن الوقائع الأخرى .. قص علينا  
المزيد منها ..

**الضابط الاسمر :** لو أن وقائع الكتاب الاسود اقتصرت على بعض  
ما استمعنا اليه لكان كافياً .. ان تلوث الحكم بالأخطاء

مهما بلغت قيمتها يكفى للعصف بهذا الحكم وبخاصة ونحن  
نحارب ونكافح ضد محتل وذلك يتطلب اجماعا من الامة .

**المحامى الشاب :** ووقوع الاحزاب فى اخطاء تمس النزاهة والشرف  
يسمح للمحتل أن ينفذ الى تفرقة الصف . ان الذين  
يتجرون بقوت الشعب ويثرون على حسابيه . . هؤلاء يجب  
بقرهم والا كانوا خطرا على قضايانا العامة .

**الضابط الأسمر :** ان استغلال الظروف التى تمر بها مصر لمصلحة  
شخصية جريمة تفوق كل الجرائم فى بشاعتها وخطرها .

**الضيف :** اننا الآن فى موقف ثررب لما سيحققه هذا العمل  
الكبير . فالخطوة الاولى قد اكدت وجود التحدى وعدم  
الاستسلام للحكم العسكرى القائم . . وهو أيضا يعطى  
الشباب فرصة فى أن يعلم انه لا تهاون من جانب الكبار  
وان عليهم أن يأخذوا منهم القدوة . وان يجردوا أنفسهم  
من التعصب الحزبى أو الالتزام بتأييد فرد بذاته مهما  
ارتكب من آثام فى حق بلاده . ولقد خرجت الوقائع كلها  
الى النور وأصبحت فى متناول الشباب وغير الشباب  
ووضعت الحكومة فى موقع المدافع « الذى يجب عليه أن  
بتكلم » . .

**المحامى الشاب :** وسيتكلم بلا شك ، وسيجرى الحوار البرلمانى  
بالقطع ، وستتاح الفرصة للشعب أن يقارن بين الاتهام  
والدفاع . وسيكون هو الحكم ، وهذا هو دور الحكم  
الديمقراطى السليم حتى فى ظل الأحكام العرفية والجبروت  
الفردى .

**الضابط الطيار :** صلوا على النبى يا جماعة . هل نسيتم أن الشعب  
يقف وراء الحكومة بكل طاقاته ، وان الأغلبية البرلمانية  
طوع أمر الحكومة .

**المحامى الشاب :** هذا وضع نسلم به جميعا ، ولكن ذلك لا يعنى

« التسليم » وعدم توضيح الأمور للشعب . وما دامت فرص الحوار بين الراى والراى الآخر معروضة عليه فلا بد من أن يحقق هذا الحوار نتائجها مهما طال الوقت . المهم أن هناك باستمرار « حيوية » فى الحوار . .

**الضابط الأسمر :** ( مقاطعا ) ولكن كيف يمكن أن نحقق وصول وقائع هذا الحوار الى الشعب ؟ .

**المحامى الشاب :** إن مكان الحوار كما أتوقعه سيكون فى مجلس النواب ، وهناك التزام على الحكومة بأن كل ما يقال داخل المجلس لا يخضع « للرقابة الصحفية » ، ومن هنا ، فإن النقاش الذى أتوقع أن يجرى داخل المجلس سيصل الى الشعب بأكمله . بل إن الصحف ستعرض هذا الحوار بأكمله كوثيقة لها قيمتها فى إبراز حيوية النظام البرلماني فى ظل الحكم العسكرى أو العرفى . وبهذا يسجل التاريخ أن المسرى لا يعرف الاستكانة أو الاستسلام . . أو الصمت على الواقع مهما يكن اليما . . ومهما تكن نتائج المواجهة مع الحكم .

**الضابط الأسمر :** صح . . وأنا دائما أومن بأن الشعب سيحقق انتصاره فى النهاية . .



وكعادتهما كلما انتهت أمسية من أمسيات المعتقل انصرف الضيف مع الضابط الأسمر ، ولكنهما كانا صامنين فى هذه الليلة لم يتحدثا وأن كان الضابط الأسمر يطلق من صدره بين الوقت والآخر تنهيدة طويلة معبرة عن الألم والحيرة . . هل كانت صادرة عن قلب يحب . . أو قلب حزين . . أو قلب ساخط . . أو قلب جمع بين كل هذا . . ؟

لم يكن الضيف يدري . ولكنه كان يحس أن العلاقات بينه وبين الضابط الأسمر قد توطدت بحيث تسمح له بأن يسأله . .

وقد ظلا في تلك الليلة القمرية يقطعان حديقة المعتقل ذهابا وإيابا وكانت أصوات الموسيقى المنبعثة من ملهى حلمية بالاس يذكرهما بأن هناك حياة وحركة ولهوا خارج أسوار المعتقل وكان صوت الحرس ينطلق في الليل الهادئ بين وقت وآخر كلما سمعوا صوتا أو أحسوا شيئا يقترب منهم بهذا النداء القوي « قف من أنت . . » طلبا « لكلمة السر » . . وكانت أصوات نباح الكلاب في الأرض الفضاء التي أحاطت بالمعتقل كان ذلك كله يضاف على أحاديثهما ظللا تحمل في طياتها أسئلة كثيرة .

هؤلاء الذين يمرحون ويضحكون ويسهرون الليالي الحمراء ويلعبون القمار ويتاجرون بقوت الشعب . . الا يشعرون في أعماقهم بأن أمرا ما يمكن أن يحدث لهم ويطيح بكل ما بنوا من آمال وثناء . . ألا يقرأ هؤلاء التاريخ ليعرفوا أن مصير العايب له نهاية . وان النهاية دائما تكون مريرة . وكان الضابط الأسمر يؤكد أن شيئا من هذا لا بد أن يقع ولا بد أن تتحرك قوى الخير ، حتى ولو كانت قليلة ، لتغلب قوى الشر ولو كانت كثيرة .

وهذه الكلاب التي تنبح طوال الليل ، فتقلق النائمين هل يتحقق لنباحها نتيجة . . وما هي ترجمة هذا النباح الى لغة البشر .

وكان الضابط الأسمر يؤكد ان هذا النباح لا يقلق الذين ترتاح ضمائرهم فينامون ملء جفونهم وإنما هو يقلق الذين لا يعملون عملا يرضي ضمير ، واستمرار هذا النباح لا بد أن يوقظ الضمائر النقية النائمة ، وأن يجذبها الى معسكر الذين يعملون أثناء الليل والنهار من أجل وضع أحسن . .

وفي تلك اللحظة من تفكير الضابط الأسمر انطلق صوت الحارس بقوة وهو يردد « قف . . من أنت » ووقف الضابط الأسمر في مكانه وابتسم . . ثم قال : وهذا هو النداء الذي سيسمعه الجميع فيما بعد ، عندما ينطلق صوت الشعب ليقول « قف من أنت » .

واستمع الضيف الى هذا التحليل من صديقه ، ثم أيقن أن القلب



الذى يحمله هذا الضابط الشاب لابد أن ينفجر بكل ما فيه من حب أو حزن أو سخط ..



ونام الضيف في تلك الليلة نوما هادئا عميقا ، لم تتخلله الأحلام المزعجة — بل لعله لم يحلم أبدا — لأنه كان يعيش واقعا مفرحا قريبا يكاد يقترب منه .

كانت الحياة داخل المعتقل شاقة .. وكان المعتقلون في ضاحية الزيتون يعيشون تحت وطأة الاحساس بأن شخصا واحدا استطاع بجرة قلم أن يسلبهم حريتهم ويضعهم في منزل كبير تقوم على حراسته قوات أمن ضخمة . كانت فكرة تقييد حرية الحركة وحدها قادرة على تحريك نفوس المعتقلين بعوامل شتى من القلق والضيق والتبرم .. ولكنهم مع هذا لم يكونوا في الواقع سوى « معتقلين مدللين » لا ترد لهم الحكومة طلبا ، ولا تحاول اذلالهم . بل كلما ازدادت طلباتهم ازدادت رغبة الحكومة في عمل المزيد لارضائهم كسبا لسكوتهم ، ومع هذا لم يكن المعتقلون راضين عن هذا كله . لانهم كانوا يريدون حريتهم أولا وآخرا .

ومع هذا ، فإن صاحبنا يذكر ما حدث بعد ذلك بسنوات طويلة ، وبعد أن قامت ثورة ١٩٥٢ بهدف تحرير الشعب واعادة ما سمي بحقوقه المسلوبة ، فقد كان يسمع القصص الكثيرة عما لقيه المعتقلون من الشيوعيين أو من الاخوان المسلمين أو من غيرهم ممن أغضبوا الثورة من صنوف العذاب والاذلال فكان يحس بأن معتقلي الزيتون كانوا وطيعة في أيدي رجال الأمن يسارعون لهم بالأطباء إذا مرضوا ، ويوفرون لهم الدواء بكميات كبيرة رغم ظروف الحرب ، حتى ان البعض منهم كان يتاجر فيه ، وكانوا يقدمون لهم أحسن أنواع الطعام ويعاملونهم معاملة لم يكونوا يلقون مثلها في بيوتهم الخاصة ، بل لقد بلغت العناية بهم حددا عندما وفرت وزارة الصحة عيادة كاملة لعلاج الاسنان بكل ما تحتاجه من آلات حديثة ، وكان الطبيب المختص يمضي عدة ساعات في زيارة المعتقلين ليصلح لهم أسنانهم .

وكان ضباط البوليس يرافقون المعتقلين أثناء ذهابهم الى المستشفيات للعلاج الخاص ، مثل الجلسات الكهربائية لعلاج أمراض « يبتكرها » طبيب المعتقل كي يساعد بدوره المعتقلين في الخروج من المعتقل لبضع ساعات . وكان هؤلاء الضباط على درجة كبيرة من الانسانية بحيث كانوا يتركون المعتقلين أحرارا لمدة ساعات ثم يلتقون بعدها في طريق العودة الى المعتقل . ولم يفكر واحد منهم في الهرب أو الاخلال بوعدده للضباط أن يعود الى مكان اللقضاء .

تلك كانت العلاقة بين الحاكم والمعتقلين ، مع أن بعضهم كان معتقلا لأسباب تركز على العداء الشديد لرجال الحكم .

بل يذكر صاحبنا انه كان يجلس مغرب يوم من أيام المعتقل مع الضابط الأسير في حديقة المعتقل . وكانت المفاجأة عندما فتح باب المعتقل ودخلت سيارة بوليس تنطلق منها صرخات ألم . فوقف صاحبنا ومعه الضابط الأسير واتجها مسرعين صوب السيارة ، فإذا بهما يفاجئان بضابط جيش من زملائهما في المعتقل ، يعاد بالقوة من المستشفى بعد انتهاء علاجه ، لأنه كان يصر على البقاء بالمستشفى وقتا أطول يتيح له زيارات أكثر واجتماعا بأسرته يوميا .

وكان المنظر الذي أثار زميلي المعتقل أن الضابط كان يجلس على أرض السيارة من الداخل وقد وضع بعض الجنود أقدامهم فوق رأسه ، فهاجما الجنود وأسرع المعتقلون في الاشتراك في عملية الانقاذ والاحتجاج وكانت النتيجة أن بادر حراس المعتقل بإطلاق الرصاص في الهواء لإعادة النظام .

ولكن هذه الخطوة من جانب الحراس أثارت ثائرة المعتقلين ، وأوجدت حالة من التمرد . . لم تلبث أن هدأت عندما بادر رئيس البوليس السياسي وحكمدار العاصمة وكبار الضباط ومعهم قوة كبيرة من رجال الشرطة الى محاصرة المعتقل . . والدخول مع المعتقلين في « عملية ارضاء » لا عملية تهديد .

وطالب المعتقلون بالتحقيق في الأمر . فجاء وكيل النيابة الأستاذ  
أنور أحمد وقضى ليلة كاملة يحقق مع قوة المعتقل ومع المعتقلين ..  
يسأل ويتحرى ويحاول تطبيق القانون . كان قراره النهائي أن  
هناك « أهـالاً رِسْمياً » .

لم يواجه المعتقلون بحالة ارهاب أو تعذيب ، بل ان الحكومة  
سمعت اليهم تسألهم عن الترضية التي تقدمها لهم ؟

كانت الحكومة تواجه صحافة تسأل وتدقق رغم فرض الرقابة  
العسكرية .

وكان هناك برلمان يسأل أعضاء مجلسه عن أسباب الاعتقال .  
وعن أسباب ما يجري داخل المعتقلات .

ولهذا كانت الحكومة تخشى الحساب . وتحاول تجنب أية  
مواجهة . فليس معنى أن يعتقل بضعة أفراد حماية لأمن الدولة  
خلال الحرب أن يلقي أى معتقل ما يمس كرامته أو إنسانيته .  
ومن هنا وعندما سئل فؤاد سراج الدين وزير الداخلية وقتذاك  
في مجلس النواب عما حدث في معتقل الزيتون قال — في معرض  
الدفاع — ان المعتقلين لجأوا الى ارتكاب هذا الحادث لكي يقدموا  
مادة للأستاذ فكري أباطة خلال مناقشة الاستجواب المحدد له موعد  
قريب بشأن الاعتقال والمعتقلين ..

## انذار للحاكم

وتمضى أيام وأسابيع المعتقل هادئة ، ساكنة ، العلاقات بين المعتقلين بعضهم مع بعض تزداد ارتباطا وتوثقا ، وقد أضافوا الى نشيد « بلادى بلادى » الذى كانوا يرددونه مع العشاء نشيدا آخر هو « أسلمى يا مصر » . وكثيرا ما كان ضسيباط المعتقل يشتركون معهم فى الغناء ، بل كان اذا احتاج معتقل للاتصال بمنزله تليفونيا سمحوا له . . شئ واحد كان يقلقهم بعض الشئ . . وان لم يقيموا له أى اعتبار . ذلك هو احساسهم بأن بين زملائهم المعتقلين من يعمل لحساب البوليس السياسى وانهم يكتبون التقارير عن نشاط المعتقلين واحاديثهم . . ولكن ماذا يهم ؟ .

وكانت الحكومة — فى نفس الوقت — حريصة على تهيئة الحياة الكريمة لكل معتقل من خصومها . يقرأ الصحف ويستمتع الى الراديو ، ويعالج علاجا كاملا ، وتصرف له كل الأدوية التى يحتاج اليها ، كانت الحكومة تحس بمسئوليتها قبل هؤلاء المعتقلين واسرهم . لقد حرمتهم من حرياتهم ومن نشاطاتهم السياسية . ولكنها لم تكن تقبل على الاطلاق أن تحرمهم من آدميتهم أو انسانياتهم . هذا الى جانب انها كانت تخشى مواجهة المعارضة فى مجلس البرلمان ، وكم من مرة ووجهت الحكومة بأسئلة تتعلق بالمعتقلين ، فكانت اجابات وزير الداخلية أن حسن معاملتهم مؤكدة ، وواضحة . .

ومع هذا لم تكن طلبات المعتقلين تقف عند حد ، كانوا يسعون الى أقصى التسهيلات . وفى ليلة من الليالى فكرت مجموعة منهم فى تدبير عملية هروب من المعتقل لتحقيق المزيد من المطالب ، ولعلمهم ارادوا من ذلك أيضا اعطاء فرصة للمعارضة فى مجلس البرلمان للمطالبة بالافراج عنهم . .

ووقع الاختيار على ثلاثة : الضابط الأسمر والمحامي الشاب وثالث تطوع لأنه يحب المغامرات ، ورسمت الخطة بدقة وأسندت عملية التنفيذ الى الضابط الطيار فبدأ أولاً بإقامة « تقفيسة » لتربية الدواجن الى جوار سور المعتقل . وتسهل في نفس الوقت عملية حفر سرداب تحت السور ينطلق منه الثلاثة الى الأرض الفضاء بجوار المعتقل حيث تكون في انتظارهم سيارة تقلهم الى مخبأ حتى صباح اليوم التالي ، ثم يتوجه الضابط والمحامي الى قصر عابدين لتسليم مريضة تتضمن مطالب المعتقلين . ويعود الجميع الى المعتقل بعد تنفيذ هذه العملية ليبرهنوا على أن الهدف منها لم يكن الهرب لشخصين أو ثلاثة بل انه أكبر من ذلك : الحرية .

واستغرق الأعداد التمهيدى للعملية فترة طويلة ، وقد تحددت لها ساعة الصفر ، وروعى في تحديدها أن تحقق هدفا جانبيا وهو اتمامها في ليلة يكون فيها ضابط غير محبوب من المعتقلين ، هو المكلف بالسهر ليتحمل وحده المسؤولية وبذلك يتخلص منه المعتقلون .

وحققت العملية أهدافها كلها . . وتم الهرب بغاية الدقة والسهولة . وفي صباح اليوم التالي أذاع المعتقلون نبأ اختفاء الثلاثة ، فانتقل الى المعتقل كبار موظفي وزارة الداخلية ، والنيابة وبدأوا التحقيق عن كيفية الهرب ودوافعه ، ثم في محاولة الوصول الى اتفاق مع المعتقلين على تحقيق ما يرضيهم ، وفي أثناء اجراء التحقيق — وقد استمر اليوم كله — عاد الهاربون . . وطلبوا بأنفسهم من حارس الباب أن يفتح لهم أبواب المعتقل .

وحققت خطة الهرب بعض أهدافها — وان لم تكن كلها — فخلعت بعض ما كنا نسميه قيودا . . بل أعطيت الكثير من التسهيلات ، وتحقق الإفراج عن الكثيرين ممن اعتبرتهم الحكومة غير خطرين . .

وهكذا كان المعتقلون يهربون دائما من دائرة السلاية أو الرضاء بواقعهم ، على أساس أن الحكومة قد هيات لهم حياة طيبة . لقد كان سعيهم لتحقيق أمل الحياة الأكبر وهو الحرية ، لا يتوقف . . فليس يكفي أن يكون الفرد في معتقل صغير أو كبير ويتعلل بالصمت لعدم توفر امكانيات استمرار العمل والكفاح ، فالفرص متاحة في

كل مكان . . والدفاع عن الحرية لا يمكن أن يتوقف في أى ظرف  
أو تحت أية ضغوط . .

ويقضى المعتقلون أمسية العودة من الهروب في أحاديث هادئة . .  
عن عملية الهروب ذاتها ، عن الحياة في القاهرة . . عن المناقشات  
العنيفة التى دارت فى مجلس النواب . عن الكتاب الأسود . كيف  
أن رئيس الحكومة ذهب الى المجلس فى إحدى جلسات المناقشة  
ومعه حقيبة فتحها أمام الأعضاء وأخرج منها قطعة الفراء الصغيرة  
وقال للأعضاء « هذه يا حضرات القطعة التى أثاروا عليها ضجة »  
قالت المعارضة أن العبرة ليست بحجم القطعة ، ولكن أن تستغل  
أجهزة الدولة لخدمة قرينة الرئيس . وقد انتهت أيام المناقشات  
الطويلة بقرار من المجلس طرد فيه مكرم عبيد من عضويته واعتقلته  
الحكومة بعد ذلك لتضعه فى معتقل خاص بمدينة « السرو » .

وكان الحوار كله مركزا على ما يمكن أن يتحقق من نتائج بالغة  
الأهمية إذا ما ظل الراى العام مستيقظا ومتيقظا لما يجرى حوله .  
تلك كانت المكاسب الكبرى . . وتلك كانت الحقائق التى لا تنكر .

كانت هناك معارضة تمثل الأقلية ، ولكنها كانت قادرة على  
مواجهة الحكومة . وكان كل ما يراد نشره فى الصحف ، يشار فى  
مجلسى البرلمان فنرى الحكومة مضطرة لنشره . . وبهذا عاش  
الشعب كله مع الحقائق يتفاعل معها ويرفضها أو يقبلها ، ولكنه  
فى كل الحالات كان يعلم . . لأن من حقه أن يعلم .

وكان الضابط الأسمر رغم طول فترة اعتقاله يحس بسعادة كبرى  
وهو يرى هذا كله يجرى خارج أسوار المعتقل وكان الضيف وقد  
مضى على اعتقاله ما يقرب من العام ونصف العام يحس بأن  
« الفرج » على الأبواب .

وفى ليلة من ليالى أغسطس ، والضابط الأسمر يسير فى حديقة  
المعتقل مع زميله الضيف أطلق من داخل نفسه « تنهيدة قوية » ،  
ثم قال فى صوت خافت :



**الضابط الأسمر :** ان الانبياء التى عندى تؤكد أن الملك فاروق قد انغمس فى ملذاته الى درجة خطيرة ، ان مصر تسير الى هاوية سحيقة ، وانى أرى أمامى غيوما كثيرة تتسذر بعواصف وهزات ضخمة .

**الضيف :** وليكن . . كلما اشتدت الأزمة ، لاحت بوادر انفراجها .  
اننا هنا فى المعتقل . حرياتنا مقيدة . ولكن قلوبنا عامرة بالايمان بأن مصر ستصل الى تحقيق أمانيتها فى طرد المستعمر وفى الحرية والنزاهة . ان المشكلة الكبرى هى انه كلما انتكست النزاهة تعقدت الأمور وساءت الأوضاع . . والحرية وقتذاك تصبح هدف كل حاكم مهما كانت نياته ومعتقداته . انه لا سبيل له اذ ذاك فى بقاء طويل الا اذا داس على الحرية وحرم الناس منها .

**الضابط الأسمر :** صح . فالحاكم النزيه هو الذى يحس بأنه ليس فى حاجة الى حماية نفسه من الشعب ، ان تصرفاته كلها تصبح كتابا مفتوحا للجميع على السواء من معارضيه أو من مؤيديه ، أما الحاكم الذى يستقل بالحكم لنفسه ولانصاره فإنه يقف موقف المدافع عن نفسه لأن تصرفاته لا تصلح بنفسها للدفاع عنه ، فهو لهذا يقضى على الحرية المتاحة للجميع . . ليخلو له الجو من أى معارضة .

**الضيف :** ولكنه لا يلبث أن يسقط بعد ذلك مهما تكن قوته أو جبروته .

**الضابط الأسمر :** ربما . . ولكن بعد أن تكون اسمااته قد أدخلت أوضاعنا الداخلية فى دوامة لا نعرف متى تتوقف عن التهام كل ما يصل اليها .

\*\*\*

كان ذلك الحديث فى أغسطس عام ١٩٤٤ . . .

وبعد أيام أطلق سراح الضيف . وخرج من المعتقل ليجد نفسه يعاود من جديد تحركاته واجتماعاته السياسية . فقد كان يحس

بأن تغييرا ما يوشك أن يتم . . ولكنه كان يشم رائحة الفساد منبعثة من القصر الملكي ويرى أنها أقوى من رائحة الفساد الحزبى القديم .

كان يرى أنه فى خلال فترة اعتقاله تكونت مراكز قوى جديدة فى القصر الملكى ، وأن الصراع بينها وبين بعضها من جهة وبينها وبين الوزراء وغير الوزراء من جهة أخرى قد بلغ أشده ، كان يرى كل القوى تتصارع ، وتتصارع معها كل التيارات . . والشعب يتطلع الى هذا كله فى حيرة من أمره ومن مستقبله . لا يدرى أين يسير ، ولا الى أى مصير يصير .

تتطور الأمور وتسقط حكومة الوفد ، وتأتى أحزاب الاقلية لتحكم . . تجرى الانتخابات . . ويعود الضيف المعتقل الى مقعد فى مجلس النواب ، وتزداد رؤيته لفساد النظام الحزبى . ويختلف مع مكرم عبيد ، كما اختلف مع النحاس باشا لأن مكرم عبيد كان يرى أن جهده فى محاربة حكومة الوفد لم يقدر تماما من جانب السراى . وانها لم تعد تؤيده ، ولهذا أراد — بعقليته الحزبية — أن يصلح النحاس باشا ، وبذلك يكون قد طعن النظام القائم والسراى معا ، وتناسى أنه بذلك طعن نفسه ، لأنه بهذا التصالح كأنكر كل كفاحة القديم ضد نزاهة الحكم .

وهو يذكر أنه حاور مكرم عبيد طويلا فى قراره بمصالحة النحاس وسأله : هل كنا متجنين على الوفد ورئيسه عندما اتهمناهما فى كتاب أسود بالاساءة الى نزاهة الحكم ؟ . وأجاب مكرم : « لا . بل مازلت متمسكا بكل ما قتله » وعاد يسأله : « ولكن بماذا تفسر موقفنا الجديد أمام الراى العام وأمام النحاس ؟ » وقال مكرم « المهم هو أن نضرب السراى والأحزاب الأخرى » فقال الضيف ولكن هذه الضربة موجهة الينا أيضا . . ولعل اكبر دليل على ذلك هو ان النحاس باشا رحب بهذه المصالحة . ألا تحس أن هذا الترحيب غير صادر من القلب ، وانما هو ضربة معلم أخرى أراد بها النحاس أن يقول اننا « لحسناء » كل اتهام وجه اليه . . ولو أن الخطأ الذى ارتكبه النحاس باشا كان سياسيا لامكن نسيانه ، ولكن أما وهو خطأ يمس النزاهة والشرف . . فان نسيانه يعد خيانة للراى العام .

ولم يكن مكرم في هذا الحوار ، هو المحامي المقنع . . بل كان مرامه أن ينتقم .

وكفر الضيف بالحياة الحزبية ، ولم يجد أمامه إلا أن ينسحب منها . وأن يكرس كل جهده ووقته وقدراته في العمل الصحفي المتحرر من قيود الحزبية ، كان يرى أن حياتنا الجديدة تحتاج الى تفكير جديد ، واتجاهات ليبرالية فبقال للمخطيء أخطاء والمحسن أحسن ، وأن تكون رسالة كل مصلح النزاهة والحرية معا . أما الأمور السياسية فعلاجها هين وأخطاؤها قابلة للإصلاح .

\*\*\*

وقامت ثورة ٢٣ يوليو ، وكانت أمنية أن تقوم حركة تقلب الأوضاع ، وتحقق دفعة حضارية مثالية الى الامام ولهذا ارتبط بها منذ البداية ارتباطا وثيقا ، لأنها كانت الأمل . ولكن الأحداث التي مرت بها الثورة أو أحدثتها عناصر أهل الثقة التي تشكلت منها حكومات الثورة قد جعلته يعود مرة أخرى الى سابق تحديه . فهو لم يكن يرضى بأن يتناقض مع نفسه .

واصطدم باتجاهاتها وأخطائها مرة ومرات . حتى وجد نفسه في النهاية مبعدا عن مهنته الصحفية . . وقادته الظروف الطيبة الى العمل الجامعي ، يعلم الطلبة الإعلام . . والصحافة .

وكانت هذه التجربة ممتعة لأنها أعادته من جديد الى الارتباط بالشباب والأمل في مستقبل أحسن وكان صاحبنا يحس بأن الشباب يعيش في دوامة من الخداع والتضليل في ظل الشعارات الزائفة ، ولهذا اختار أن يعاود الحوار مع الشباب الباحث عن الحقيقة ، وأن ينطلق من هذا الحوار الى وضع الحقائق . . كل الحقائق أمامه وأن يدخل مع الشباب في محاولة لإيجاد البديل .

ويعترف ضيف المعتقل أن فترة طويلة مضت عليه دون أن تتاح له فرصة إجراء نوع من الحوار الذي يريده ويراه مؤديا الى هذا الهدف الى أن وقعت ثورة التصحيح في ١٥ مايو ١٩٧١ . . وأفاق الشباب بعض الشيء من حقن التخدير التي كان يحقن بها طوال عهد حكمت فيه البلاد حكما بنى على التعذيب والاضطهاد والتشريد

والحرمان من لقمة العيش . . ولكن هذه التغطية لم تكن كافية ، لأن الشباب عاش حياتهم الأولى غارقا في أمجاد على الورق ، وفي الخطبة متصورا أن مصر قد وصلت الى قمة المجد . . وانها بذلك استعادت مكانتها الحقة ، وكان لهذا يرفض كل الروايات والقصص والوقائع التي تروى وتؤكد ما كان يحدث داخل أجهزة الحكم ، وكان يرفض بكل قوة أن يدخل في حوار مع أحد اذا كان هذا الحوار يمس هذا النظام الذي يحبه ويؤمن به .

ووقعت الكارثة يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ عندما استطاعت اسرائيل في ست ساعات أن تدحر جيش مصر الذي كانوا يطلقون عليه اسم « أعظم قوة ضاربة في شرق البحر الأبيض المتوسط » .

ورغم ما كان يذيعه العالم من وقائع عن هذه الهزيمة كان الشباب يصدق كل ما تقوله البلاغات المصرية التي كانت تؤكد ان جيشنا هو المنتصر .

وفي ليلة ٨ يونيو ١٩٦٧ بدأت أوراق الأمل تتساقط . . وأحس الشباب المصري أن شيئا ما قد حدث وأنه أصبح حائرا في تفكيره . . حائرا وسط هذا الظلام الذي كان يخيم على مدن مصر وقراها . . فارتفع صياحه وصراخه وأحس بالخوف والرغبة والفرع والألم . . ويسكى .

ولكنه لم يكن بكاء الاستسلام . . ولا كان بكاء الخوف من أن يكون ما سمعه عن انتصار العدو حقيقيا . . وأن يكون الجيش الوطني القومي والذي كان أعداده هدها من أهداف الثورة قد أنهزم واندحر في ستة أيام . ومسحت دموعه بعض آثار الفشاة التي وضعت على الأعين ، وشعر بأن شيئا ما داخل نفسه يضغط عليها ويسأل : « هل حدث حقا ؟ » وكيف حدث ؟ ولماذا حدث ؟ .

وقد خدعه بعض ما قيل في ٩ يونيو وما بعد هذا اليوم ، ولكنه رغم هذا الخداع كان يحس أن هناك حقيقة ضائعة وأن عليه أن يخرج وحده بحثا عن هذه الحقيقة . . لا يسمعها من القدامى أهل الخبرة . . ولا يسمعها من الحديثين أهل الثقة . . وفي إطار هذا

السعى نحو الحقيقة كان له عدة لقاءات مع أستاذ الإعلام ضيف معتقل الزيتون ، وهى لقاءات أراد الأستاذ أن يحقق فيها الحوار الذى يسعى اليه . ولكنها كانت لقاءات صعبة قاسية فقد كان مطلوباً من الأستاذ أن يشق بأصابعه فى الصخر الذى بنى على عقول هذا الشباب قرابة خمسة عشر عاماً ليحول بينهم وبين الخروج عن خط أطلق عليه خط الالتزام .

وكانت بداية الحوار بالنسبة للأستاذ صعبة أيضاً لأنه كان يعرف ان الحقائق مرة ، وأن مواجهة الشباب بها دفعة واحدة ستزيد من تمزقه ومرارته ، ولأنه أيضاً الى جانب ذلك يشعر بأن الشباب - فى سعيه نحو معرفة الحقيقة - كان يتمنى لو أنه خرج من هذا السعى بنتيجة واحدة تؤكد له أنه لم يكن مخدوعاً ، وأن سنى حياته الأولى لم تذهب عبثاً .. ومن أجل هذا ظل الأستاذ يتحين الفرصة .. ولا يفرضها .. كان من الضرورى أن يكون الشباب هو البادئ بالحديث .

وجاءت الفرصة واسعة وكبيرة ..

فقد كان طلبة كلية الإعلام بجامعة القاهرة يصدرن صحيفة أسبوعية باسم « صوت الجامعة » . وكان الطلاب يرونها فرصة للانطلاق بأفكارهم ، ولكن أستاذهم حرص على أن يقف الى جانبهم ويحتكر لنفسه مؤقتاً ركن الرأى الذى يقدم تحت عنوان « رأى من داخل الجامعة » . وكان من الواضح أن بعض الطلبة لا يرضيهم ذلك .. ومن هنا فقد تفجر الحوار .. وبدأ النقاش الطويل .. وكان الهدف أن تعرف الحقائق وأن يبحث عن البديل .



## القسم الثاني





## الحزب الثاني الحوار الأول بين الرضا .. والرضا

لم يكن الأستاذ يتوقع أن يبدأ الحوار داخل مدرج السنة الثانية بكلية الإعلام ، ولكن هذا ما حدث . فقد كان معتادا أن يبدأ محاضرة بعد الظهر بمناقشة عملية تدور حول الأخطاء التي وقعت فيها « صوت الجامعة » في عددها الأخير .

وأستاذ أول طالب في أن يستخدم « الميكرفون » في توجيه نقده . ثم بدأ حديثه بقوله « بسم الله الرحمن الرحيم » . . فارتاح الأستاذ لهذه البداية ، لأنه كان يعرف أن بين الطلبة من فقد ثقته في كل شيء ، وأن البعض منهم قد انحرف بشدة نحو اليسار المتطرف لقلب الأوضاع ويحكم الأحاد والسخط في كل تصرفاته ومن ثم طابت نفسه بهذا الطالب الذي أفتتح النقاش بكلام ينبع من قلب صادق ومخلص وأمين لا يخضع لاهواء مستوردة .

ومضى الطالب في حديثه مع أستاذه بصوت قوى لا تردد فيه ، مستندا الى تعاليمه التي أكدها له في محاضراته الأولى بالسنة الأولى وهي أن التزام الصراحة والصدق هو السبيل الوحيد الى ممارسة عمله الاعلامي السليم . وقد أكد له أنه لكي يكون صحفيا ناجحا يجب ألا يكون آلة في يد أحد ، ولا يخضع لفكر أحد ، ولا يوافق أحدا ، ومن هذا الواقع حرص طلبته على الوقوف منه بشجاعة موقف المعارضة . بل لعله كان يشجعهم على ذلك ليتيح لهم فرصة التدريب على مواجهة من هم أكبر منهم . وتسائل الطالب في أسلوب مذهب : « لماذا يظل رأى من داخل الجامعة والذي يحتل مكان الصدارة من الصفحة الأولى لصحيفتنا حكرًا للأستاذ المحاضر وهو ليس من جيلنا . انه من الجيل السابق وهو قطعاً لا يستطيع ، كما تعلمنا على مدى سنوات طويلة أن يعبر عن آمالنا وأمانينا ؟ » .

وضاق بعض الطلبة بهذا الرأي وهذه المواجهة وان كانت الأغلبية لم تفعل شيئا تأديبا ، ثم ساد الصمت قاعة المحاضرة بعض الوقت ، وابتسم الأستاذ ابتسامة يبدو منها أنها ابتسامة الرضا ، اذ يرى ثمرة من ثمرات توجيهه تظهر على الشجرة الخضراء ، وكيف يفضب لهذه المواجهة الصريحة وقد كان حريصا على أن يقول لطلبته دائما انكم قادرون على مواجهتي وقادرون على مخالفتي لأن ذلك يخلق منكم اعلاميين لا يخافون الا الله ؟

---

ولم يتكلم الأستاذ أو يرد . بل ترك للطلاب حرية المضي في تفسير ما يراه من « رفض الجيل الحالي لكل ما يصدر من آراء الجيل السابق . . » وذلك خشية أن يؤدي تدخله الى ارتباك الطالب الصغير أو أن يفسر تدخله بأنه أغلاق لباب المناقشة أو الحوار . لقد جاءت الفرصة التي تحينها وهو يرى أن يظل الباب مفتوحا بلا قيود أو روابسط .

وعندما انتهى الطالب من توضيح وجهة نظره بمنتهى الحرية عاد الى مكانه في المدرج ، بينما كان الأستاذ يقلب الأوراق التي أمامه . . ثم مضت عملية الدراسة بين دهشة الطلبة ، بلا توقف .

وعندما انتهت المحاضرة ، تباطأ الأستاذ في الانصراف من قاعة الدرس ، لأنه كان يتوقع شيئا ، وقد تحقق هذا الشيء فعلا ، فإن المجموعات التي تحب النقاش ، وتحب أن يظل الحوار حيا تجمعت حول الأستاذ متحفزة وراغبة في أن تبدأ الكلام من حيث انتهى .

**طالب :** لماذا لم ترد على وجهة نظر زميلنا ، وقد مستك شخصا ؟

**الأستاذ :** « ان النقطة التي أثارها زميلك خارجة نسبيا عن موضوع المحاضرة ، ثم انه استعمل حقه في طرح مشكلة يحتاج الحوار حولها الى ساعات وساعات » .

**الطالب :** ولكن ألم تر أن في كلام زميلنا أفسكارا جديرة بأن تطرح للمناقشة العملية وهي من صميم عملنا ؟

**الاستاذ :** هذا سليم خاصة انها عرضت بأسلوب اعلامى على مستوى المسئولية .. ولكن هل صحيح أن الجيل القديم غير مسموح له بالتعامل أو التفاعل مع جيلكم ؟

**الطالب :** هناك تآرق بين التعامل و « التفاعل » ، اننا نقبل التعامل اذا احسبنا بأننا فى حاجة الى لقاء نظرة على الماضى بعينه وقريبه أما التفاعل فاننا نرفضه .

**الاستاذ :** ان رفض التفاعل كلية تفكير عقيم وغير سليم ، قد يكون مقبولا أن يرفض الجيل الجديد اذابة شخصيته تماما فى جيل سابق له ، أو بمعنى آخر قد يكون مرفوضا — بل هو مرفوض حتما — ألا تكون لكم شخصيتكم المتطورة ، ولكن هل من الحكمة أن يقطع جيلكم كل الصلة مع تاريخ أمته ؟ وهل تفكرون انكم النتائج الطبيعى للجيل القديم . وربما الجيل الوسط بين القديم وجيلكم الحالى ؟ أم انكم تريدون ان تكونوا جيلا غير شرعى ؟

**الطالب :** واذا كان الجيل القديم مليئا بالسيئات ، والاستسلام والخضوع لمستعمر أو لاقطاعى أو ..

**الاستاذ :** وكيف حكمت على الجيل القديم بهذا الحكم القاسى ؟ هل بحثت ؟ هل قرأت ؟ هل تعمقت فى السؤال والاستقصاء ؟ أم رضيتم بهذا الذى قيل لكم ، وثحننت به عقولكم ، ثم انك اذا قبلت قطع كل صلة بماضيك فكيف تحكم عليه حكما سليما ، وكيف تقبل حكمك عليه اذا قطعت صلتك به فلم تعرفه أو تنقب فى تاريخه ؟ ثم هل خلا هذا الجيل من حسنات يصح التمسك بها وسيئات تدرس للابتعاد عنها ، وتجنب الوقوع فيها مرة أخرى ، أم يراد أن يمضى الجيل الجديد غارقا فى بحر التجربة والخطأ بلا قيادة منزهة عن الغرض أو علامات مضيئة على الطريق ؟

**الطالب :** وهل تمضى الأجيال بلا وقوع فى الأخطاء ؟

**الأستاذ :** هذا صحيح ، ولكن إذا كرر جيل نفس الأخطاء التي وقع فيها الجيل الذي سبقه ، ثم مضى فيما أطلق عليه تجربة « الصواب والخطأ » يحمل ما هو فوق طاقته ويرغم على الدخول في دائرة الحرمان والهبوط الى أدنى مستوى من الكرامة الانسانية .. إذا تكرر هذا فهل يمكن أن نعتبر ذلك مما يدخل في نطاق تجربة الصواب والخطأ أم نعتبره حالة من الاستهتار تتطلب الحسب ، وتتطلب توقيع الجزاء ؟

ثم إذا افترضنا ان الوضع لا يسمح بإجراء عمليات محاسبة ؟ أفلا يصح — على الأقل — أن يكون جيلنا الحالي أكثر شجاعة في إجراء عملية تقييم سريعة — ان شئتم — حتى يكون البناء الجديد محصنا ضد تكرار الخطأ ؟ .

**الطالب :** ان الجيل الذي نرفضه قد عودنا على فرض رأيه ، ومن هنا فأننا نرفض أن يعرض علينا رأيه في تفسير ما هو خطأ وما هو صواب .

**الأستاذ :** ان من حق كل جيل أن يرفض التفسير الذي لا يقنعه ، ثم لكي تكون محقا تماما في رفضك .. فان عليك أولا أن تتسلح بنتائج بحث عميق ، وعميق جدا في أسباب ومسببات أخطاء الماضي .. وذلك لكي يكون رفضك قائما على حجج ترضيك وتجعل رفضك مقنعا للآخرين .

**الطالب :** ولكن من يضمن لنا الا نقع في مصيدة لا نستطيع الفرار منها ؟

**الأستاذ :** هو أن تدرس جيلنا بكل ما كان فيه من أخطاء جسيمة ، وهذا هو ضمامك كي تكون قسويا قادرا على تحطيم المصيدة والهرب منها الى الحقيقة ، وما دام هدفك هو الوصول الى أعماق هذه الحقيقة ، فان عزيمتك وقدراتك

على تحمل مصاعب التحديات ستقودك حتما الى اهدافك  
مهما طال الوقت وامتد الكفاح .

**الطالب :** أى انك لا تضمن عدم دخولنا المصيدة ؟

**الأستاذ :** ولماذا تطالبني بضمان ؟ بل ما هى قيمتك اذا كنت تريد  
الحياة سهلة لا كفاح فيها . . ان متعة الحياة هى فى  
الكفاح ، فهو الذى يصقل الرجال ويرفعهم الى مستوى  
المسئولية . ان الرفض هو علامة الصحة والحياة بشرط  
أن تكون قاعدة هذا الرفض : العلم والمعرفة ، وهذه  
القاعدة لن تصلح اذا بنيت على خطأ قديم ، وذلك لا يتواءم  
الا اذا اصطدمت بالجيل الذى سبقك وواجهته مواجهة  
شجاعة فتأخذ منه ما يقنعك وترفض قبول ما تراه سيئا .

ان التجربة الاولى يجب أن تكون محصورة فى هذه  
المواجهة ، تأخذ منها ما تشاء وترفض منها ما تشاء ثم  
تمضى الى المستقبل تبنيه لنفسك على « أساس نظيف »  
وتعدل خطوط الماضى المتشابكة كي تمضى بالخطوط الجديدة  
بأقل قدر من التشابك والعثرات .

**الطالب :** هذه فلسفة يراد بها التخدير .

**الأستاذ :** وجيلكم أيضا يجب أن تكون له فلسفة ، وغاية النجاح  
أن تمزج الفلسفات بعضها ببعض لتستخلص منها فلسفتك  
الخاصة ، واذا رفضتم هذا أيضا فلا تلوموا الا أنفسكم  
اذا فشل جيلكم الجديد نتيجة لأنه رفض أن يكون له  
استقلاله الذاتى . لقد آن لكم أن تستقلوا بالرأى .

\* \* \*

وانتهى اللقاء الأول بلا نتيجة ولم يشأ الأستاذ أن يترك الحوار  
يمتد طويلا ، هكذا كانت رغبته ولكن الواقع كان يقول غير ذلك ،  
فان الطلاب الذين استمعوا الى هذا الحوار كانوا قد بدأوا الى

حد ما فى التحرر من الكابوس الضاغط على أنفسهم ، كابوس عدم  
الثقة بأحد من الذين ساءموا فى صنع الماضى البعيد والقريب معا  
هذا الكابوس الذى جثم على صدورهم منذ كارثة ٥ يونيو ١٩٦٧  
وجعلهم أشبه بالتائهين فى صحراء مترامية الاطراف يحيم عليها  
الظلام ، وتسودها الوحشة القاتلة ، ويكاد ذلك يقضى على كل  
أمل فى قيام غد مضيء . صحراء يتردد فيها بين وقت وآخر نداء  
« قف . . من أنت ؟ » فيرجعه الصدى . . ولكن بلا جواب .

هل كان الشباب يرفض المواجهة خوفا من الحقيقة ؟ أم انه كان  
وما زال مؤمنا بأنه لا خير فى الجميع ؟ .



## الحوار الثقافي من أين يبدأ الماضي؟

ومع ان الأستاذ لم يكن حريصا على ممارسة عملية الضغط على طلبته في مواصلة الحوار ، وعلى الرغم أنه لم يرتبط بموعد معهم ، ومع انه كان متعبا منها بعد كلام طويل استمر في المدرج . . الا أنه لاحظ في اليوم التالي ما بعث في نفسه نوعا من السرور للتغيير الذي طرأ على تفكيرهم ، فقد بدأوا يتجمعون حوله يريدون مواصلة الحوار وفتح باب المناقشة من جديد وكان ذلك دلالة على تحررهم البطيء من عقدة الخوف من الرجوع الى الوراء أو مواجهة الماضي مواجهة مكشوفة .

وأراد الأستاذ التظاهر بعدم الرغبة في الكلام ، ولكن الشقياء كانوا يعرفون أنه لا يرد لهم طلبا ولا يتردد في الدخول معهم في نقاش مهما يكن شائكا ، ومهما يكن شعوره بالتعب والارهاق .

وقد كانوا البادئين في الحديث باثارة ما شعروا به من قلق وتردد وعدم فهم بعد حوارهم الأول . ويسأل الأستاذ : هل هناك ما يبرر هذا القلق أو التردد ؟

**طالب :** نعم . فنحن نعيش هذه الأيام في ضراع مستمر مع ماتسمونه الماضي القريب ، بينما لا نتكلم عن حاضرننا القائم الذي يقودنا الى المستقبل .

**الأستاذ :** — ( متحديا ) — لقد قلت من قبل أنى غير مستعد للدخول في حوار حول الحاضر والمستقبل معا ما لم تكونوا على استعداد لتحديد الماضي ، ان اصراركم على التهرب من مواجهة هذا الماضي وقد صنعتكم جزءا منه ، يعنى انكم تصرون على الفرار من مواجهة واقع قد يكون بعضه اليما اذا اكتشفتم حقيقة اللعبة التى عشتم فيها وصفتم

لها . انى ما زلت أقول — ولن اتنازل عن رأى — ان  
الماضى هو الذى يحدد خطوات الحاضر والمستقبل وما عدا  
هذا فهو كلام فارغ .

**طالب :** الى هذا الحد تتمسك برأيك وتتحدى به . . أو ليس الكلام  
عن الماضى هو اضاءة للوقت . أو ليس معنى ذلك أن  
تتناسي الرغبة الملحة علينا فى بناء الحاضر والمتطلع الى  
مستقبل أحسن . ومع هذا فما هو الماضى . أو بمعنى  
آخر هل لنا أن نعرف هذا الماضى الذى نريدنا أن نتكلم عنه؟

**الأستاذ :** هذا سؤال جديد ، ثم هو أيضا سؤال هام . ان الماضى  
الذى أريد أن نتكلم عنه هو الماضى الذى سبق ٢٣ يوليو  
١٩٥٢ ، والماضى الذى سبق ١٥ مايو ١٩٧١ انهما تاريخان  
هامان فى حياتنا ، أو بمعنى أصح فى حاضرنا ومستقبلنا ،  
لقد درست فى المدارس تاريخا يراه البعض مزيفا ، ويراه  
البعض مبتورا ، ويراه آخرون تاريخا مصنوعا أسقط  
الكثير من الوقائع الثابتة التى يجب أن تصان وأبقى  
لدراستكم سيئات الماضى فقط وذلك لى يصور لكم ماضى  
بلادكم تصويرا مخزيا قاتما اليما ويبرر كل خطوة انتقامية  
تتخذها الثورة ضد الذين صنعوا هذا الجانب الأسود  
من التاريخ ، لقد أرادوا أن يكون ٢٣ يوليو بداية التاريخ  
الناصر المشرف . . أو بداية مولد مصر . . فهل كان ذلك  
صحيحا ؟ هل عاشت مصر مئات السنين ، بل لنقل  
عشرات السنين قبل الثورة ، لا وطنية وبلا مقاومة للمحتل ،  
وبلا دوافع وثورات شعبية ضد الطغيان وحكم الفرد ،  
بل هل كانت « الأسرة المالكة » تحكم بلا رقابة شعبية  
وبلا قيود دستورية ؟ وبلا نقد لكل تصرف من تصرفاتها ؟  
وهل كانت مصر غارقة فى الجهل والمرض والفاقة والرشوة  
والفساد بلا محاولات جادة لنهضة اجتماعية ، وبلا مدارس  
أو جامعات وبلا صحافة تنوير اذا مست حرية الفرد  
أو حرية المجموع ، أو قيادة حملات صحفية ضارية كل  
نوع من أنواع الفساد . . أو بمعنى أعم هل كان الشعب  
المصرى ضائعا وجاءت الثورة لتحقيق له ميلادا جديدا ؟

هذا هو جانب الماضي السابق للثورة الذى يجب أن يدرس ويقيم وتتحدد معالم ايجابياته . . . ومعالم سلابياته ، — وهى كثيرة بلا شك — ليعتبر هذا التحديد الخطوة الاولى نحو دراسة ما فعلته الثورة فى الفترة ما بين التاريخين ١٩٥٢ و ١٩٧١ فنستكمل بذلك احتواء ماضينا بشقيه البعيد والقريب ، ومن خلاصة البحث يتحدد برنامج « ثورتنا الشعبية » الجديدة ، الثورة التى ترسمون خطوطها وتحملون مسئوليتها .

**طالب :** وفى خلال ذلك نترك الزمن يمضى بلا حساب . . لاننا مشغولون عنه بالبحث والتنقيب حتى تتراكم اخطاء ويتولد عائق جديد .

**الأستاذ :** ( مقاطعا ) ان الحاضر غارق الآن فى معالجة مخلفات الماضي بخطة أحيانا وبغير خطة أحيانا أخرى ، وهو سيعمل غارقا الى أن تخرج عليه أنت ببرنامج من صنع وتفكير جيل الحاضر . . ان من مصطحتكم ألا تندفعوا فى محاسبة الماضي من نقطة « فراغ » فان هذا الاندفاع سيؤدى حتما الى أن تصدموا مرة أخرى « بخيبة أمل » يجعل المستقبل أشد ظلاما ، وليس هناك أى خطورة من ترك الماضي — مؤقتا — بلا حساب وهو مهمل ارتكب من اخطاء ، فلن تكون فى حسامة اخطاء الحاضر هذا الى أن الأخطاء التى يقع فيها الحاضر حاليا ستفرض عليكم قرارا لا بد منسه هو : هل يحتاج المستقبل الى تغيير جذرى فى أوضاعنا الداخلية ؟ هل نحتاج الى نظام سياسى آخر غير نظام الحزب الواحد ؟ هل يمكن أن يكون رجال الحاضر والمستقبل ممن أسهموا ولو بقسط غير محسوس فى اخطاء الماضي ؟ . . أسئلة كثيرة تجعلك تقول : إذن دعوا الحاضر يفعل ما يشاء — مؤقتا — فان أعماله ستساعد على أن تكون نظرتكم الى المستقبل أكثر اتساعا وأعمق نضوجا .

**طالبة :** انى أرى فى هذا الكلام منطقا لا يصح التهرب من مواجهته

والتسليم بوجاهته .. ولكن هل يحتاج هذا البحث الذى  
تقترحه الى وقت طويل ؟ .

**الأستاذ :** مهما يكن وقت البحث طويلا فان ذلك يعنى ان بناء  
القاعدة سيكون من القوة بحيث يحتمل البناء أى رد فعل  
متوقع .

**طالب :** رد فعل .. ماذا تعنى بذلك ؟

**الأستاذ :** كل اصلاح يواجهه المجتمع لابد أن يقابل برد فعل ،  
والاصلاح الذى ستحددون معالمه ، سيكون هدفا من  
أهداف الطبقة الجديدة التى استفادت من كل أخطاء  
الماضى .. ولا تسألنى عن هذه الطبقة الجديدة الان ..  
فانك ستصطدم بها خلال بحثك وتعمقك فى هذا البحث ..  
وستلمس من أعمالها اننا عشنا اشتراكية لحساب قلة ..  
بينما دفعت الكثرة ثمن الحياة ..

**طالبة :** انى أستطيع أن أفهم ماذا تعنى .. وان كنت أراك تحاول  
أن تؤثر علينا بحكم مسبق .

**الأستاذ :** الان وقد وصلنا الى مشارف الطريق .. نؤجل حوارنا  
الى جلسة مقبلة .. ولتكن غدا ..

**طالبة :** بشرط أن تتابع الكلام فى هذه النقطة .. انى أشعر انه لابد  
من اجماع فى رأى على محاسبة الماضى قبل أن نمضى  
فى الحديث . ثم اننا لا نريد منك أن تؤثر علينا باصدار  
حكم مسبق . اننا نفخر بتاريخنا الذى ولدنا فيه وعشنا  
له . ولن نستطيع انسان أن يؤثر على ايجابياته بأى  
مؤثر . حرام أن تفعلوا ذلك بنا .

**الأستاذ :** انى أعدك بأن أتكلم معكم بأمانة الصديق ، واذا وجدت  
فى كلامى ما يشتم منه التسرع فى الحكم فأرجو تنبيهى الى  
ذلك .. ؟

## الحوار الثالث هل نحن في صاعقة الى ثورة ثالثة

كان الأستاذ يحس في هذا اليوم انه يوشك على تحقيق نوع من الاتفاق بينه وبين طلبته على مناقشة الماضي بشقيه قبل الاقدام على مواجهة الحاضر ورسم خطوط الثورة الشعبية الجديدة .. ولكنه شعر بوجود بعض الوجوه الغريبة ، لاحظ انها تريد ان تعيد فتح ابواب هذا الحوار من جديد ، وكان يحس ان هذه العناصر ذات ميول عقائدية لا تريد ان يمس الماضي ، لا لانها حريصة عليه وانما لانها تعارض الحاضر واتجاهاته المعتدلة نسبيا .. ومن هذا الاحساس رأى ان يكون هو البادئ بالهجوم في محاولة قفل الابواب .

**الأستاذ مبتسما :** ان الدخول الى قاعة المحاضرة بعد بدايتها لا يقتضى ان يعيد المحاضر ما سبق ان بدأ به ~~دراسته~~ ، ومع ان هناك farkا بين قاعة المحاضرة ، وحلقة الحوار الا أنه لا بأس من تلخيص ما انتهينا اليه في جلسيتين سابقتين ، لعل ذلك يريح الذين يريدون اعادة فتح ابواب الحوار من جديد .

لقد اتفقنا على أنه لكي يبنى شباب الحاضر ثورته من أجل المستقبل فان النقطة الأساسية أو نقطة البداية التي سنقف عندها — لبعض الوقت — ستسمح لنا بفتح ملفات الماضي ، ندرسها وندقق فيها ونحسدهد مسئولياتها ، ثم نطلق متفتحين عقولا وقلوبا من نقطة الفراغ .. الى مستقبل أحسن .

**طالبة :** لقد المحت في حوارك السابق الى معنيين جديدين ، أولهما ما أسميته « الطبقة الجديدة » والثاني أطلقت عليه الثورة الثالثة . فهل تسمح بتفسير ما تعنيه ؟

الأستاذ : لقد قامت ثورة ٢٣ يوليو للقضاء على أشياء كثيرة ، منها ما سمي طبقة الاقطاع ، اذ كان قائما بشكل مربع ، وكان لابد من ازالته . . فهل ازيل فعلا ؟ أم حلت محله طبقة جديدة قد لا تكون في حجم طبقة الاقطاع القديمة ، ولكنها بالنسبة للمجتمع الجديد طبقة موجودة أطلق عليها اسم « الاشتراكيين الأثرياء » وهذه هي الطبقة الجديدة التي لا أرى البدء بفتح ملفها الضخم بل يتحتم أن نرجع خطوات أخرى الى الوراء حيث نقف عند نقطة ارتسكان نعود بها الى ما سبقها ، ونمضي منها الى ما تلاها ، وهذه النقطة يحددها التاريخ ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .

لقد كان بيان الثورة الأول في صباح ذلك اليوم مقتضيا وقصيرا أو بمعنى آخر كان البرنامج الذي ارتبطت به أمام الجماهير محددا في نقط قليلة مست الشعور العام اذ المحت الى أنها تنوى القضاء على الفساد في الحكم وفي الجيش ولم يكن واضحا ان هناك برنامجا مدروسا أو أهدافا اجتماعية أو سياسية أو اقتصادية بعيدة المدى تنوى الثورة المضي في تحقيقها . ولم يهتم الناس كثيرا بالتساؤل أو بالبحث وراء دوافع هذه الثورة ، لأن الشعب كان قد ضاق ذرعا بالفساد الذي ساد الحكم . ويتحكم طبقة صغيرة من رجال السراى في تسير الأمور وبتغيير الوزارات واسناد الحكم الى أحزاب الأقلية ، ولهذا كان يتطلع الى حكم أحسن وإلى استقرار يعيد اليه الاطمئنان في طهارة أدواته الحكومية ، وقد ظن — وتأكد — ان الجيش قادر على أن يحقق له هذه الأمنية .

ولست أريد أن أطرح ما تردد من أن الثورة فيما بعد لم تكن من صنع المصري وحده بل كانت هناك عوامل أجنبية مهدت لها وساعدتها ، وهيأت لها الجو المناسب كي تنجح . فإن هذا يحتاج اثباته الى أدلة تؤكد صحة ما كتب في الخارج ، وما أكده بعض الأجانب الذين ادعوا أنهم أسهموا في صنع ثورة ٢٣ يوليو . وهذا في تصوري لا يؤثر على مجرى النقاش الذي يدور بيننا حاليا وان

كنت لن استبعده تماما اذا اصطدم نقاشنا ببعض الدوافع والتحديات التي اخرجت الثورة عن اهداف مسيرتها الكبرى في حكمها الداخلى .

المهم هو ان الثورة وجدت نفسها فيما بين ٢٣ يوليو و ٢٦ يوليو من نفس العام ، وقد أصبحت المسئولة تماما عن حكم مصر ، بعد ان غادرها الملك فاروق وتنزل عن العرش لابنه احمد فؤاد ، وتكون مجلس وصاية ، لم يلبث ان ذهب هو الآخر لتتحول مصر الى جمهورية .

وفي خلال هذه الفترة كانت الثورة تحاول ان تحدد لنفسها برنامجا تلتزم به امام الشعب ، وفي تصورى ان كل برنامج ثورى يزدهم مادة بالاماني والآمال الكبار ، لتكسب به الثورة قلوب الشعب وتجذبه الى تأييدها ، هكذا تفعل كل ثورة ، وهكذا يقف الشعب دائما وراء ثورته في بدايتها .. ثم يتداعى هذا التأييد او يتدعم تبعا لمسا يلمسه الشعب من نتائج سلبية وايجابية .

وثورة ٢٣ يوليو جاءت لترسي قواعد الحرية والعدالة والاطمئنان الى المستقبل ، والاستقرار الداخلى المدعم بعلاقات خارجية محايدة ، ثم تطورت بعد ذلك الى ثورة اشتراكية تدعو الى « الكفاية والعدل » وقد عاشت الجماهير على مدار السنوات الاولى للثورة في « أحلام » وفي تجارب اطلقت عليها اسم « الخطأ والصواب » بمعنى ان الخطأ لا يعنى الفشل وانما الخطأ هو الطريق الى الصواب .. وانه لا بأس من ان يقع الخطأ ، ولكن على ان يستمد منه الصواب ..

وكانت الوعود المذولة للشعب تركز على شعار ان الحرية للجميع .. ثم تطور الشعار فصار : لا حرية لاعداء الشعب .. ومع استمرار تجارب الخطأ والصواب وتمزق مجلس قيادة الثورة ، وانتقال السلطة الى يد فرد واحد تقف الى جانبه طبقة جديدة من الضباط وغير الضباط



الذين لم يكن لهم علاقة بالمجموعة الأصلية التي قادت الثورة وعرفت باسم « المضباط الأحرار » .. مع كل هذا التطور دخلت الثورة في مرحلة جديدة هي مرحلة شعارات دعائية .. لم يقصد بها الا تخدير الشعب واقتناعه بأنه يجناز لفترات بناء تتطلب توضيحات على مختلف المستويات ، ومن هذا الموقع دخلت مصر في حروب متعددة وخضعت لشعار ضخم ظل يسيطر على الشعب مدة طويلة وهو ( لا صوت يعلو فوق صوت المعركة ) ومن هذا الشعار أدخل الشعب في معارك لا نهاية لها .. وصورت نتائج هذه المعارك على أنها انتصارات ضخمة . وإذا كان الشعب لا يحس بآثارها وقتها فإنها قادمة فعلا .. حتى وقعت الكارثة الكبرى — كارثة — ٥ يونيو ١٩٦٧ وكشفت الغطاء من حقيقة الشعارات وعرف الشعب لأول مرة أن ما كان تحت الغطاء هو العنف الذي يزكم الأنوف .

ولعل أهم سؤال نسأله الآن .. هو ما الذي أدى الى اخفاء كل هذه الحقائق والوقائع ؟ أين كانت الصحافة ؟ أين كان الذين يعرفون الحقائق ولماذا لم يتكلموا .. هل كانت هناك قوى خفية تمنعهم من مواجهة الشعب بالحقائق ؟ .. أسئلة كثيرة هي التي نريد طرحها بلا ترتيب ، وبلا ارتباط بالتواريخ ، وإنما هي وقائع وحالات أدت الى أن عاش الشعب في ظلام في أمر من أموره .. أو بمعنى أصح وقائع تؤكد أن الثورة التي قامت في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ لتصلح الفساد قد ضاعت من هذا الفساد ، وحولت الرجال الى أشباه رجال ، ولجأت في سبيل ذلك الى وسائل لم تشهدها مصر من قبل ، حتى كان الأخ يخشى أن يتكلم أمام أخيه ، وانتشر الرعب في النفوس ، تحول الشعب الى أداة جامدة لا تفكر لأن غيرها يفكر لها ، أو لأنها اذا فكرت جر عليها تفكيرها كل وسائل العنف والتشرد .

لقد كانت لقمة العيش هي الأداة التي لعبت دورا كبيرا في تحديد المصير .

**طالبة : لقمة العيش ؟ وماذا يعنى ذلك ؟**

**الأستاذ :** أن لقمة العيش كانت هى الركيزة الأساسية فى وسيلة التعامل مع الجماهير . ولكى أفسرها لكم تفسيرا مستمدا من الواقع أروى لكم الواقعة التالية :

فى أعقاب حرب أكتوبر ١٩٥٦ أى بعد العدوان الثلاثى على مصر الذى اشتركت فيه بريطانيا وفرنسا واسرائيل بعد تأمين قناة السويس وأوقفته الولايات المتحدة الأمريكية ثم الاتحاد السوفيتى . . كنت ذات مساء أزور الرئيس جمال عبد الناصر فى منزله بمنشية البكرى ، وكان اذ ذاك يجتاز المرحلة الأولى من مراحل الثورة ، أو بمعنى آخر كان يودع شخصية الشائتر ، ويستقبل شخصية السياسى الذى قرر فيها بينه وبين نفسه أن ينفرد بالحكم ، وأن ينطلق فى سياسة جديدة .

وكنت وقتذاك واحدا من القلائل الذين يرتاح اليهم ، ويحاول فى نفس الوقت تطويعهم واخضاعهم لأفكاره واتجاهاته . فى تلك الليلة حاولت أن أخص له احساسى بما سيكون عليه الموقف السياسى فى المستقبل فقلت أن مصر ستواجه ضغطا اقتصاديا أو حصارا اقتصاديا وأن علينا أن نستعد لذلك .

ونظر الى بعض الوقت وقال معلقا على رأى : « أن هذا الحصار لن يؤثر علينا اطلاقا . لأن الشعب المصرى ينقسم الى ثلاث فئات ، الفئة الكبيرة التى تعيش على الجبن والبتا و قطعة البصل والفئة الأخرى هى فئة نادى الجزيرة ( ويعنى بها فئة الأرستقراطية ) وهؤلاء يستطيع جمعهم فى معسكر بالصحراء تحيط به الأسلاك الشائكة ويظلون هناك الى أن أشاء . . أما الفئة الثالثة فهذه أستطيع امساكها من لقمة العيش . . » وكان يعنى بذلك التحكم فى زرقها ومالها وفى دخلها .

وكانت هذه أول مرة أستمع فيها الى هذا السلاح الجديد . . سلاح لقمة العيش ولا أظن أن هذا التفكير أو هذا التخطيط الشعبى طرأ عليه فجأة ، بل من المؤكد أنه فكر فيه من قبل ، وأنه قد اتخذ قرارا بأن يحول مصر الى مزرعة تدار لحساب الاقطاع الثورى الفردى ، بحيث يصبح كل فرد فى هذه المزرعة ملكا له . فاما أن يخضع له وأفكاره وأما أن يحرم لقمة العيش حتى يخضع أو يموت ذليلا .

**الطالبة :** هكذا تحاول أن تؤثر علينا بحكم مسبق .

**الاستاذ :** ليس هذا حكما مسبقا بل هي وقائع تروى ، لقد أحسست تلك الليلة انى أمام شخصية جديدة وأمام تطور فكري زعمى يوشك أن يسيطر على مصائر الناس ، أو الشعب ، ولم أكن اتصور فى تلك الليلة أن الرئيس جاد فى تفكيره أو أنه يعنى مايقول فعلا ، لأن هذا الكلام كان يبدو متعارضا مع كل ما كان يحاول اقناعنا به فى السنوات الاولى للثورة .

وتركنه تلك الليلة وأنا لا أكاد أصدق ما سمعت ، ولكن تطورات الاحداث فيما بعد اثبتت أنه كان جادا فيما قاله لى فى تلك الليلة السوداء ، بل اكدت لى أن عبدوان ١٩٥٦ لم يكن السبب المباشر لهذا التفكير الجديد وقد استعدت كثيرا من الاحاديث التى كانت تدور بينى وبينه وبدأت ادرك أن هذا التخطيط لم يكن حديثا ، بل أنه تفكير قديم . . وعدت بذاكرتى الى حديث ليلة أخرى من ليالى لقائه ، وتذكرت وهو يشير الى كراسة ذات جلد اسود ويقول لى-ا لو انى نفذت كل ما بسطرتة فى تلك الكراسة لا نطبقت الأرض على من فيها .

**طالب :** هل قال لك ذلك ؟

**الاستاذ :** ان كل كلمة اذكرها لكم فى هذا الحوار قد وقعت فعلا . ولست فى حاجة الى أن أدلل لكم على صحة ما أقول .

لأن ما وقع بعد ذلك من أحداث يؤكد أن هذه الاتجاهات لم تكن حديثة أو وليدة حالات جديدة دفعتة اليها . بل كانت وليدة جلسات « وحدة » كان يجلس فيها وحيدا وأمامه هذه الكراسة السوداء ، وكان يرسم ويخطط : كيف يحكم مصر داخليا . . ويمتد حكمه الى ما وراء حدود بلاده .

وانى لأعود بالذاكرة الى الفترة التى كلفت فيها بتأسيس وكالة أنباء مصرية وطنية . . فأذكر انى كنت أعرض عليه خطة العمل خلال السنوات الخمس الاولى وقلت له أن هدفي أن أبدا نشاط الوكالة فى المنطقة العربية ، ثم امتد بها الى الدول الأفريقية الكبرى . فنظر الى مبتسما وقال « خليك من أفريقيا الآن . . أن دورها لن يأتى بسرعة » . .

وقد فهمت وقتذاك أن الدور الذى يعنيه هو الدور الصحفى ، ثم أظهر الواقع انه كان يعنى الدور السياسى أو بمعنى آخر الغزو السياسى لأفريقيا ، المهم أنه بدأ بالفعل بعد جلاء قوات عدوان ١٩٥٦ فى أعداد مجموعات خاصة من كافة التخصصات لتكون أدواته الجديدة فى تنفيذ مخططاته ، ولتكون هذه المجموعات قادرة على أن تمسك الجبهة الداخلية بيد من حديد بينما اليد العليا تمسك بالسلاح الأكبر « سلاح لقمة العيش » .

ولست أنكر انى أحسست بأنه كان يعدنى بأن أكون واحدا من العاملين فى هذه المجموعات . ولكنى فى نفس الوقت كنت أقاوم هذا الاتجاه بمناقشته فى آرائه وذلك جعله فى النهاية يسقطنى من اعتباره ويقذف بى الى الشارع — بلا لقمة عيش — وذلك فى أول يناير ١٩٦١

هذه المجموعات التى شكلها لعبت دورها فى الصحافة وفى السياسة ، وفى المخابرات ، وفى التعذيب . وفى

الحراسات ، وفي إبعاد الكفاءات ، وتكوين ما سمي  
اذ ذاك بفريق « أهل الثقة » وتفضيلهم على أهل الخبرة  
أو بمعنى أوضح بدأت هذه المجموعات تشكل الشعب  
المصرى بالشكل الواحد أما عن طريق القوة وأما عن  
طريق الاغراء ، وأما عن طريق فتح أبواب الثراء ..  
وبدأت العقول المصرية تهرب الى الخارج وفضل  
البعض الآخر أن يختار السلبية أو على الأصح أن يختار  
لقمة العيش في الظل بعيدا عن الأضواء ..

وبدأت الكفاءات المصرية تتضاؤل وتنكمش لتحل محلها  
العقول التي لا تفكر .. ولا تعرف الا أن تقول نعم .

**طالب :** هذه صورة قاتمة ، لا نقبلها كما هي ، فأنت هنا طرف  
نزاع ، وباعتراك قد اختلفت في الرأي معه ولهذا بكلامك  
يحتاج الى تدليل — واعدرنى اذا قلت لك ذلك — وما دمتنا  
قد انفقنا على أن نفتتح كل الملفات .. فأولى أن ندخل من  
باب التعميم الى التحديد والتدليل .

**الأستاذ :** ان كلامك معقول تماما . ولا بد لنا من اختيار حالات  
من بعض وقائعها ، وعليكم أن تحكموا هل كانت هذه الوقائع  
ايجابيات أم سلبيات ؟ هل أثرت على التكوين العسام  
لكيان الشعب الى الأبد أم أنها ساعدت على أن تخلق  
وعيا عاما له القول الفصل في كل الحاصلات الكبيرة  
التي يتوقف عليها مصير الشعب أو أنها ظلت حكرًا  
لجماعة أو لقلّة .. أطلق عليها فيما بعد اسم « مراكز  
القوى » تتخذ القرارات وتدفع مصر الى مغامرة وراء  
مغامرة دون أن تنجح واحدة منها أو تحقق عائدا قوميا أو  
وطنيا أو ماديا .

**طالب :** في تصوري أن الصحافة تتحمل في ذلك مسئولية كبرى  
ولو أنها كانت قادرة على دق أجراس الخطر والتنبيه  
الى احتمال وقوعه أو لو أنها كانت حاضرة ما وتسع  
شيء من هذا .

**الأستاذ :** هذا صحيح والمسئولية قائمة يتحمل وزرها كل صحفي ،  
ولهذا اقترح أن نبدا حوارنا التالي حول حرية الرأي ،  
ومصير الذين حاولوا أن يعبروا عن آرائهم ، ثم كيف  
كانت لقمة العيش العامل الحاسم فيما لحق بالصحافة  
والصحفيين . . وكذلك بغير الصحفيين . .

\* \* \*

## الحوار الرابع نهاية الفرز

كان الحاضرون لحوار اليوم أكثر مما كان متوقعا ، ولم يشترك فيه طلبة الأعلام فقط ، بل أن شبابا من كليات أخرى جاء متعطشا لنقاش سمعوا أنه يدور حول الصحافة والحريات ، وهذا أمر طبيعي فحيثما يكن الحديث عن الحرية .. تجد جموع الأسباب تقف في طوابير ممتدة أما رغبة في الاستماع والمتابعة وأما رغبة في المشاركة والنقاش وأما متعطشة الى الاسهام في وضع المبادئ التي تحقق في المستقبل حرية أفضل لصحافة أفضل .

وجاء الأستاذ يحمل معه بعض الأفكار .. ويتوقع نقاشا حسادا يتصل بما يقال عن « حرية الصحافة » في الماضي والحاضر معا ، ولهذا أراد أن يبدأ الحوار من نقطة بعيدة بعض الشيء عن الصحافة .. وأن يدخل منها الى الموضوع الشائك .

**الأستاذ :** سأبدأ حوارى معكم اليوم « بحكاية » مسلية ، ولكن دلالتها كبيرة ، لأنها تعكس الاتجاهات التي كانت على وشك أن تطفو على سطح الجبهة المصرية الداخلية .

« وساد السكون مكان الاجتماع ، فان الطلاب يحبون الاستماع الى الحكايات ، وخاصة اذا جاءت في بداية أو نهاية المحاضرة ، بل يتمنون لو أن المحاضر قضى وقت الدرس في الدردشة بعيدا عن الكلام الجاد » .

**الأستاذ :** مع بداية استقرار ثورة ٢٣ يوليو واحساس ضباطها بأن الأوضاع قد توطدت في أيديهم رتبت عدة اجتماعات مع بعض المثقفين من أساتذة الجامعات لاستطلاع آرائهم فيما يجب عمله للمستقبل ، هكذا كانوا يتظاهرون

بأنهم يريدون تعاونا مع أهل الخبرة ، وفي اجتماع من هذه الاجتماعات دار نقاش طرح فيه الجامعيون تصوراتهم وأفكارهم . وكان بينهم أستاذ بكلية التجارة اسمه الدكتور توفيق رمزي كان أكثر المتحدثين تدخلا في النقاش بالرأى وظهر أنه لم يكن من الذين يقبلون الرأى الخاطيء للحاكم ولهذا عندما انتهى الاجتماع تطلع الرئيس اليه وقال « الأستاذ يتابع البيبة يستنى شوية » وكان الأستاذ الذى يدخل البيبة هو الدكتور توفيق رمزي ، الذى قاطع الرئيس عبد الناصر أكثر من مرة وناقش وجهات نظره . . وانتظر الرئيس حتى انصرف الآخرون ثم تطلع اليه وسأله « أنت بتعمل إيه ؟ » فرد قائلا : « أستاذ علوم سياسية بكلية التجارة . . »

وضحك الرئيس ضحكة ساخرة وسأله « والسياسة دي بيعملوها وبتعلموها فى الجامعة ؟ السياسة دي فهلوة وليست علما » . .

ورد الدكتور رمزي بمنتهى الهدوء : « هذا صحيح . ونحن لهذا ندرس ونقيم أعمال السياسة بعد ذلك ونفحصها ونعد فيها الرسائل الجامعية والدراسات العلمية . . »

واغتاظ الرئيس من الإجابة واكتفى بقوله « كده . . » وانتهت المقابلة .

**الطالب :** والسياسة فهلوة فعلا . . اليس كذلك ؟

**الأستاذ :** ان القضية لا تناقش من هذه الزاوية لأنها توضح أن الرئيس وان تظاهر بالرغبة فى الاستماع الا أنه لم يكن يطبق أن يقف منه أحد موقف المعارضة أو مخالفة رأيه . . وهذا أخطر ما يمكن أن يتصف به رجل سياسى .



**الطالب :** ( مقاطعا ) ولكن الثورية من غير شك تتعارض مع السياسة .

**الأستاذ :** ربما يكون ذلك في البداية ، ولكن أن تستمر الثورية الى ما شاء الله فهذا ما لا يقبله العقل ، وقد بدأت الاجتماعات مع المثقفين عندما استقرت الثورة ، وبدأت تتظاهر بأنها تخطط للمستقبل سياسيا واجتماعيا ودستوريا ، أو بمعنى آخر عندما كانت تقول انها ستشكل هيكلا جديدا لمصر ..

**الطالب :** وأين هو الأستاذ رمزي الآن ؟

**الأستاذ :** ترك الجامعة .. ومن غيها ، وهاجر بحثا عن مكان آخر ، شأنه في ذلك شأن الوف الذين هاجروا غيما بعد هريا من سيطرة الفرد ، فقد كان يعلم مصيره ، ولهذا اختار أن يهاجر قبل أن يطرد ، وكانت هذه أولى تناقضات الثورة مع نفسها ، فقد جاءت للقضاء على حكم الفرد . وجاءت لترسي قواعد الحرية ، وجاءت لتغير وتبدل فتضع الأحسن مكان الأسوأ ، وتقضي على الفساد وتحقق الرخاء .. لقد كانت هناك من غير شك تراكمات ضخمة في مجتمعنا ، وتحرك الجيش ليزيح هذه التراكمات ، ويبنى مكانها البناء الأصح ، ولهذا نجحت في بدايتها ، ووقف الناس منها موقف التأييد كما قلت من قبل .

والذي يراجع موقف الثورة في شهورها الأولى وتصرفات الذين فجروها يحس لأول وهلة بأنهم أعدوا وخططوا للقيام بثورة ما ، ولكنهم لم يعدوا أو يخططوا لما بعد نجاحها واستقرارها ، ولعلمهم لم يكونوا هم الذين خططوا ومن ثم فقد بدأت تتخبط في أعمالها واتجاهاتها . مما جعل الناس يتوقعون أن يؤدي هذا التخبط الى مزيد من الأخطاء ، ومزيد من عدم الاستقرار ، ولو أن العقول المصرية وجدت فرصتها في تقديم العون والنصيحة والرأي والنقد لما وصلنا الى ما وصلنا اليه .

وقد فرضت الرقابة على الصحف منذ اليوم الأول للثورة وهذا وضع طبيعي ، لأنه كان ضروريا أن تحمى الثورة نفسها ، ولكن عندما بدأ بعض الكتاب يمارسون حقهم في مراقبة أعمال الحكومة ومحاولة تعديل المسار الخطأ وفتح المجال لأصحاب الراى الصادق المبرأ من الغرض اتضح أن الحرية في نظر الثائرين على الظلم ليست حرية عامة ، بل حرية خاصة . ومن هنا ازدادت قبضة الرقابة على الصحف وراى القائمون بالأمر أنه لابد من رادع وانذار للصحافة والصحفيين ، فقدمت جريدة المصرى الى المحاكمة العسكرية وصدر قرار باغلاقها ..

**طالب :** .. هل نفهم من هذا ان الثورة أرادت باغلاق المصرى أن يكون انذارا للصحفيين بالتزام خط صحفى معين والتراجع عن نقد أعمال الحكومة ما لم يكن هذا النقد نوعا من التظاهر بالمعارضة ؟

**الأستاذ :** هذا أمر لا شك فيه ، بدليل أنه تبع اغلاق المصرى القاء القبض على بعض الصحفيين فترات محدودة ، كأنه عملية تأديبية سريعة تفرض على كافة العاملين فى الصحافة الالتزام بالتأييد .

**الطالب :** ولماذا قبل الصحفيون هذا الالتزام ؟

**الأستاذ :** ان الاجابة على هذا السؤال ستأتى فى حينها خلال حوارنا .. وسيتضح من واقع هذه الاجابة أن الانهيار الصحفى كان نقطة البداية فى انهيار عام أصاب كل مرافقنا المصرية . وكنت أنكر أن الصحفيين يتحملون مسئولية ضخمة فى شأن هذا الانهيار .. ولكن علينا كذلك أن نربط التصرفات من جانب المسئولين ومواقف بعض الصحفيين بالجو العام الذى كانت البلاد تعيش فيه ..

وانى لاكاد أجزم بأن الثورة لم تكن لها أهدافها الواضحة ، منذ البداية ، فقد كنت على موعد مع الرئيس جمال عبد الناصر لعمل صحفى ، وفى جلسة هادئة بمنزله

وبحضور الرئيس انور السادات في صيف عام ١٩٥٤ قال الرئيس في خلال حديثه « ان اكبر غلطة ارتكبتها هي اغلاق المصري . . » وتطلعت الى وجهه أحاول ان افهم معنى هذا الكلام فلم افهم شيئا ، وكل الذي اذكره اني قلت « ان اغلاق صحيفة لا يحل اشكالا ، بل يزيد الاوضاع تعقيدا ، ويؤكد ان النظام لا يملك قوة الاقتناع . »

وابتسم الرئيس عبد الناصر ابتسامة اعترف اني لم استطع تفسيرها ، وان كان قد قال بعد فترة قصيرة « آه . . نعم » ولكنه مع هذا كان يرى ان يكون هدفه الاول هو اخضاع الصحافة لارادته ، ولعله كان يبحث عن صيغة لذلك تجعل الصحافة ملكا لشخصه في الواقع . . . وملكا للشعب في الظاهر ، ولعله كان يقصد بكلامه انه كان الافضل الاستيلاء على المصري لا اغلاقه ، او بمعنى آخر تحويله الى جريدة ثورية ، ولكنه لم يكن قد وجد الصيغة التي تمهد لذلك .

ولم يطل الوقت ، ففي خلال عام ١٩٥٥ كان يتحدث الى تليفونيا في عمل صحفي ، وهجأة بادرنى بسؤال سريع فقال : « ما رأيك في تأميم الصحافة » ؟ ولم اتردد في الرد على السؤال بسؤال آخر فقلت « وما الحاجة الى ذلك ، والصحافة الآن ملتزمة بخط واحد » . . . وكانت الصحافة فعلا في بداية تحقيق هذا الالتزام ، وقد استمر حوارنا حوالى الساعة ، ولما وجد اني لا اوافقه على رأيه اجل مواصلة الحديث الى المساء عندما نوره في بيته بمنشية البكرى . غير انه لم يعاود الكلام في هذا الموضوع . . . موضوع « تأميم الصحافة » مرة أخرى . فقد كان من طبيعته ان يفكر وحده . ويقرر القرار وحده . ثم يطرحه بعد ذلك على المقربين اليه . فاذا عارضه احدهم توقف عن مناقشة الموضوع ، واذا وافقه آخر ظلم يبحث معه الامر على اساس ان هذا الآخر يفهمه جيدا . . . وذاك يضعه في مرتبة المقربين اليه ، والذين يرتاح الي انكارهم ، مع انهم في الواقع لا يستقلون بفكر وانما الفكر هو فكره

وحده . . تلك كانت طبيعته التي حكم بها مصر . ولهذا بدأ حكمه في الخمسينيات بإجراء تجارب على الكثيرين . . حتى انتهى به الأمر إلى استبعاد كل من لا يفهمه — أو كل من يناقشه الرأي — والإبقاء على كل من يفهم . أو بمعنى أصح الإبقاء على كل من لا يناقشه ، بل يمضي في تأييد رأيه سواء كان مقتنعا به أو غير مقتنع . . وهكذا تبلور الجهاز الداخلي الذي حكم به عبد الناصر مصر وحولها إلى قلعة مملوكة لقلّة سميت فيمسا بعد ، كما قلت لكم وكما سمعتم بها « مراكز القوى » .

**الطالب :** ولكن اليس من حق الحاكم أن يختار من « يرتاح إليه » ؟

**الأستاذ :** هذا صحيح ، ولكن ليس من حقه أن يضع مصائر الشعب كلها في أيدي فئة قليلة لا نقول رأيا معارضا ولا تقدم فكرة تخالف فكرة الزعيم أو الحاكم ، انه حر في أن يختار رجالا يرتاح اليهم ، ولكنه ليس حرا في أن يحرم الآخرين من حرية النقد ، ومن هذا الواقع انتهى به الأمر إلى أن عثر على بعض الصيغ التي تخدع الناس ، وتحقق له ما يريد ، ومنها صيغة ملكية الشعب للصحف ، وأخرى أسسمها تحالف قوى الشعب العاملة ، وعلى أساسها حكم البلاد منفردا ، ومن هذا المنطلق مضت سياسة مصر تقع في الخطأ وراء الخطأ ، وكلما تبرم الناس ، ازدادت قبضة مراكز القوى على رقابهم . . فتراكمت الأخطاء ، وأصبحت نقطة الانطلاق الثورية في ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وما جاء في بيانات الثورة بعيدة عن الواقع ، وكان على مصر أن تدخل في أدوار لا تتوقف من المغامرات والتقلبات والتحديات حتى وصلنا إلى ما نحن فيه الآن . . وما خفي كان أعظم .

**الطالب :** هذا كلام عام ، قد نوافق على بعضه لاننا نحس بنتائجه ، وقد لا نوافق على البعض الآخر لأنه ما زال ينقصنا الدليل على صحته ، ولهذا أرى أن ننقل من الكلام العام إلى الكلام المحدد بوقائعه وأدلته .

**الأستاذ :** اذا كنا قد اتفقنا على أن تكون نقطة بدايتنا هي أن الثورة قامت للقضاء على الفساد والرشوة واعادة الحريات الى الشعب . . وان الحكم على نجاح حاكمها هو دراسة ما تحقق من هذا كله وما لم يتحقق ، أو بمعنى آخر ان الحكم يكون على أساس الدراسة المقارنة . . فأعتقد اننا نستطيع أن نبدأ . . وأن نثير في جلسات حوارنا بعض الحالات التي تحقق لنا هذه الدراسة المقارنة .

**الطالب :** نعم . . نحن متفقون على هذا . . وليكن حوارنا المقبل هو بداية هذه الدراسة .

\* \* \*

## الحوار الخامس

### هل يمكن نقد الثوار؟

وفي هذا اليوم بدأ الحوار من النقطة التي انتهى اليها ما سبقه وكانت أعداد الطلبة في ازدياد مستمر بحيث أحس الأستاذ بأنه يوشك على مواجهة حالات ضغط طلابي ومعارضة أقوى ..

**الأستاذ ( مبتسما )** — انى أحس بأن الصراع الذى جرى بينى وبينكم كان مرده الى انكم رفضتم أصلا الرجوع الى الماضى ، وقد انتهيت الى اتجاه فى الحوار أكون فيه الطرف الذى يقدم وجهة النظر المعارضة ويكون موقفكم منى موقف المحقق أو المؤيد لكل تصرفات ثورية ، ولهذا أود قبل الوصول الى مناقشة بعض الوقائع أن نحدد خط سيرنا لئلا نضيع فى متاهات الماضى بلا طائل .

ان كيان المجتمع — أى مجتمع — لا يمكن أن يقوم على رأى فرد واحد ، كما انه لا يمكن أن يقوم على غير قانون . فالرأى الفرد يخطئ وتكون لأخطائه نتائج بالغة الخطر على كيان المجتمع نفسه ، بل تقع هذه الأخطاء على رؤوس الناس كلهم فيه لغبية الرأى الآخر المخالف أو لسلبية العقول المفكرة المخلصة القادرة على ابداء الرأى والمشورة للحاكم على صفحات الصحف أو فى مناقشات مغلفة وعلنية ، ثم لعدم عرض ذلك كله — وقبل اتخاذ القرار — على الشعب ليعرف كما نقول فى أمثالنا العامة « راسه من رجليه » .

ولا شك أن الرأى الآخر حاول فى البداية أن يثبت وجوده ، فلم يستطع ، وهو لم يحاول تحطيم الثورة بل بذل كل جهده لتدعيمها ولكنه فشل فى ذلك ، فتقلص هذا الرأى الضرورى ، وأصبح سلبيا أو صامتا ، أو مهاجرا ، أو مسجوناً .. أو هاربا من السجن والتعذيب والحرمان من الرزق ..

وأظن أن نقطة البداية فى حوارنا يجب أن تتركز حول بعض الوقائع التى تادت البلاد الى هذا الوضع الخطير والتى فرضت اجراء « عملية تصحيح » فى مايو من عام ١٩٧١ ، وأنا هنا أحب أن

أشير الى أن تسمية هذه العملية فيما بعد بثورة التصحيح كانت تعنى ان ما حدث قبل ذلك كان يحتاج فعلا الى ثورة اصلاحية وهى الثورة رقم ٢ أو بمعنى اصح اذا كان أحد أركان ثورة ٢٣ يوليو هو الذى قاد ثورة التصحيح فلا أظن ان هناك خلافا فى أن هذه الثورة قد أخطأت والا ما كان هناك حاجة الى تصحيح . ولعل الخلاف قد يتركز حول نقطة واحدة وهى « حجم هذه الأخطاء واثرها فى تكوين المجتمع وفى كيان الفرد وقيمه » .

ومن الطبيعى ان يقوم خلاف بين أى ثورة أو أى نظام وبين طبقة من الناس ولكن وسائل مواجهة هذا الخلاف من جانب الحاكم هى وحدها التى تحكم على مدى احساسه بقوته أو بقدراته أو بآثر انجازاته على جموع الشعب . فإذا كانت هذه الوسائل خاضعة لحكم القانون فمعنى ذلك ان ثقة الحاكم فى نفسه وفى صحة انجازاته قادرة على مواجهة رأى المعارض بالحجة والبرهان والارتكاز على ثقة الشعب فى دحر خصومه . أما اذا كانت الوسائل بربرية بالغة العنف والقسوة فمعنى ذلك ان الحكم أراد أن يخفى الخطأ — بارتكاب المزيد من الأخطاء — .

ومن هذا الواقع فلا بد لنا من أن نطرح بعض الوقائع ، ثم ندرسها ونحكم عليها حكما عادلا خاليا من الغرض والهوى ، ان الثورة جاءت لتصلح ما أسبته فسادا . وما كان الشعب فى الواقع يراه فسادا . وجاءت الثورة لتعطى المزيد من الحريات للشعب ، وكان الشعب يتطلع فعلا الى هذا المزيد . . . وجاءت الثورة لتقضى على الاحتلال البريطانى وكان الشعب يكافح فعلا للتخلص من هذا الاحتلال . . . وجاءت الثورة لتقضى على استغلال النفوذ . وكان الناس جميعا يتمنون أن يتخلص مجتمعنا المصرى ويبرأ من كل هذه الأمراض .

أمانى كثيرة التزمت بها الثورة فى بداية مولدها قبل الشعب . . . ومن منطلقها أيد الشعب ثورته . . . ولهذا بدأت بيضاء . . . ثم تحولت الى ثورة حمراء .

والصحافة فى كل بلد هى المرآة التى يتطلع اليها الحاكم ليرى فيها صورته . . . وينظر اليها الشعب مع بداية النهار ، ليرى فيها مدى تقدمه ، ومدى قدراته على مواجهة الحياة ، ولهذا نبدأ الكلام

عن الصحافة .. ولعلكم في حملاتكم على صحافة اليوم وضيقكم بها لأنها لا تمارس حرياتها كاملة ، هو في حد ذاته المقياس الذي نقيم على أساسه صحافة الماضي القريب ، ومن هذا التقييم نستطيع أن نحدد الحكم .

في بداية الثورة وقفت الصحافة كلها مؤيدة لها ، وهي في هذا لم تكن تناقض نفسها ، لأنها قادت قبل الثورة حملات ضخمة على ما كنا نسميه فسادا ، وضغطا على الحريات واليكم مثلا واحدا من واقع ما كتب قبل الثورة ، وكان المقال ، أو التحقيق الصحفي يصرخ ويشير بالتلميح الواضح الى رأس الدولة وأعنى به « الملك فاروق ... » وقد نشر هذا المقال بمجلة « آخر ساعة » تحت عنوان « زفت وقطران » وكان كاتبه عائدا من أوروبا واستغل رحلته كي ينقل الى الشعب المصري ما تردده الصحف الأجنبية والأوساط الدبلوماسية عن الوضع الداخلي في مصر وكيف تطورت الأوضاع فأصبحت أشبه بالزفت والقطران بسبب الاتجاهات السائدة في الحكم ، وعلى رأسها تصرفات الملك ، ونشر المقال فعلا وقرأه الناس وفهموه ، وقرأه الحكام وفهموه .. ومن هذا الواقع نستنتج ان الشعب في هذا الضياع الداخلي لم يكن غائبا ، أو مخدوعا بل كان يعرف ان هناك فسادا وان المسؤولية في هذا الفساد تقع على الحكام الكبار .

ولا أنكر ان الحكومة القائمة حاولت ارضاء الملك . وحاولت أن تسن تشريعا يحول بين الصحافة وبين التعرض للأسرة المالكة ، ولكن الصحافة وخاصة جريدة المصري التي كانت تعبر عن الحكومة القائمة تصدت لهذا التشريع بالنقد وقادت حملة قوية أدت الى وقف التشريع والخيولة دون صدوره . ذلك كان حال الصحافة قبل الثورة . صحافة قادرة على أن تفعل . ومع هذا كان الشعب يريد المزيد من انطلاقها في ممارسة حرياتها ، وجاءت الثورة فأكتفت انها تسمى لتحقيق هذا المزيد من الحريات، ورغم هذا كانت ضحيته الأولى جريدة المصري ، وما ذلك الا لأن محررها أحمد أبو الفتح أراد أن يواصل المسيرة من أجل الحريات ، ومن أجل دعم النظام الدستوري للبلاد ، وانتهى الأمر اليها أن أغلقت جريدة المصري



بحكم من محكمة ثورية ، ثم هاجر أحمد أبو الفتح الى خارج مصر ليظل غائبا عنا ما يقرب من عشرين عاماً .

**طالب :** ولكن ألا يمكن أن يكون لدى الثورة من الأسباب والمبررات التي تجعلها تشك في نوايا وأهداف محرر المصري وغيره من المحررين ؟ أو بمعنى أصح ألا يمكن أن تكون هناك قوى خارجية تحرك هؤلاء الصحفيين فينطبق عليهم القول بأن لا حرية لأعداء الشعب .

**الأستاذ :** ان هذا الشعار خطير للغاية فمن ذا الذي يقرر ويحدد أعداء الشعب من المخلصين له ؟ هل يترك تطبيق ذلك لفرد ؟ أم أن القانون هو الذي يحدد ويقرر ؟ .

**طالب :** ولكننا في ثورة ؟

**الأستاذ :** هذه الثورة هي التي اختارت في البداية جريدة المصري لتكون مركزها الإعلامي ، بل ان جمال عبد الناصر كان يقضى سهراته فيها في مكتب محررها ، لأنه كان يعلم ان محرر هذه الصحيفة أحد الذين لعبوا دورا في التمهيد للثورة . ومع هذا عندما رفض الصحفي أن يكون أداة تنفيذ لما يطلب منه وتمسك بأن يقول رايه وينتقد الخطأ .. كان القرار أخلاق جريدته وتشريد أصحابها .

ولأن الصحافة لم تكن متناقضة مع نفسها في بداية الثورة ، كانت تتوقع أن يفسح لها جو الحرية وأن يمتد نقدها الى أخطاء الثورة نفسها — ان وجدت — ولكن الحاكم كان قد بدأ يفرق نفسه في بحر متلاطم الأمواج من المشكلات الداخلية ، وبدأت الأجهزة الحاكمة ، وضباط الجيش المتطلعون الى النفوذ والسلطان والثراء يتحركون في كل الاتجاهات لتحطيم الأهداف التي أعلنتها الثورة ، وبدأ واضحاً ان التفكير « الثوري » قد تناسى ما جاء من أجله .. أو بعبارة أصح انه هرب من مواجهة ما جاء من أجله

داخليا واتجه الى توسيع قاعدة عمله السياسي الخارجى  
فَوْنْ أَنْ يقيم اعتبارا للجبهة الداخلية بل تركها نهيا للضباط  
الذين خلعوا ملابسهم الرسمية .. وارتدوا الزي المدنى  
ليقودوا البلاد الى هاوية الفساد والافلاس وقد كشفت  
ارقام ديون مصر عن هذا الواقع الاليم .

وقد تحركت بعض العناصر التى أحبت الثورة وبنت على  
قيامها الآمال الكبار .. لينبه . وتحذر . ولكن ذلك كان  
الطامة الكبرى .. كيف يجوز لأحد من عامة الشعب أن  
يتكلم أو يوجه نقدا الى « الثوار » ؟ كيف يجوز لفرد من  
الشعب أن يشكك فى نوايا الضباط الأحرار أو « القيادة »  
كما كانت تسمى فى ذلك الوقت .. أنها جريمة .. ومرتكب  
الجريمة يجب أن يلقى الجزاء .. وإذا كان القانون لا يجد  
فى تصرفاته ما يوجب العقاب . فإنه يجب أن يمنح  
« أجازة » وفى نفس الوقت انطلقت المطابع تطبع التفتيرات  
التى تلهب مشاعر الشعب ، وتغطي الأخطاء ، وتسحق  
الذين يحاولون مواجهة هذه الأخطاء وكان من بين هذه  
الشعارات « الحرية للشعب . وليست لأعداء الشعب »  
ومن هذا الشعار انطلق مبدأ جديد هو أن الصحافة يجب  
أن تكون ملكا للشعب ثم صدر فى مايو من عام ١٩٦٠  
قانون ينقل ملكية الصحف الى الشعب ، وينصب الحاكم  
وصيا عليها باسم الشعب .. واستغل الوصى كل الأجهزة  
الصحفية لنفسه ، ولو كان الشعب وقت ذاك يحس بأنه  
المالك الفعلى للصحف ، لحاسبها حسابا عسيرا على  
اهمالها فى معالجة مشاكله الداخلية معالجة بناءة . ولكنه  
لم يكن كذلك . ولم يكن الوصى على الشعب يرغب فى أن  
تثار الموضوعات الداخلية ، لأنه كان مشغولا بمغامرات  
خارجية ، مغامرات أراد منها إقامة امبراطورية عربية  
يكون همها امبراطورها . ولا بأس من إقامة هذه  
الامبراطورية ، ولكن كيف تقام اذا كان مركزها مصر ومبعث  
قوتها ، ضائعا ، غير مستقر ، تتراكم فوقه المشكلات  
وتدفعه الى الانحدار والانهيار وهل يمكن لدولة أن تقبل  
أن تكون جزءا من امبراطورية تحكم بالحديد والنار ؟

وكانت الصحافة ترى هذا كله وتحاول الاقترب من معالجته فاندلعت نار الخصومة بين الوصى والمحجور عليهم ، وكانت النتيجة أن فقد الشعب ثقته في صحافته وآية ذلك أن جريدة الجمهورية التي صدرت لتعبر عن الثورة لم تجد من يقرأها وانفقت عليها « الدولة » عشرات الملايين من الجنيهات ، بل الأخطر من ذلك أن أرقام توزيع الصحف الأخرى لم تتحرك إلى أعلى بل ظلت بلا زيادات رغم التضخم المصري وكثرة عدد القراء ، بل أن دراسة هذه الأرقام توضح أن الجمهور انصرف عن قراءة صحفه التي تحولت إلى أبواق تردد ما يقوله الحاكم وتمجسده أعماله . ولا تتحدث عما يشكو منه الناس .

ودليلي الثاني هو ما أعقب ثورة التصحيح من تغير في موقف الناس من هذه الصحف ذاتها . إذ ما كانت الرقابة ترفع عنها ، وبدأت تمارس جانباً من حرياتها حتى ارتفعت أرقام التوزيع إلى الضعف . . فأي كان هؤلاء القراء الذين ظهروا بين يوم وليلة . . وهل كانوا مهاجرين ؟ أم كانوا لا يرون في صحفهم سوى أدوات جامدة أو مقتولة بكم الأنفاس وغير صالحة لأن تقرأ ؟

وفي خلال تلك الفترة من تاريخ صحافة مصر ، تقلص نفوذها في البلاد العربية ، بعد أن كانت لها المكانة الأولى هناك ونقص توزيعها ، وبدأت صحافة لبنان تشق طريقها إلى السوق العربية ، وإن كانت تمول بمال غير عربي ، وتخدم مصالح غير عربية ، وليس أدل على صحة كلامي من أن هذه الصحافة اللبنانية كانت رائجة في سوقنا المصرية وكنتم تقبلون على قراءتها كراهية في صحف مصر هل يستطيع أحد منكم أن ينكر هذه الحقيقة ؟ هل يستطيع أحدكم انكار جريمة قتل الصحافة المصرية وأحياء صحافة مأجورة مولت تمويلاً خارجياً ضحاً تساعد على حرمان الشعوب العربية من صحافة مصرية كانت تتمتع في فترة من تاريخنا بسسمة كالماس ؟ وكانت أسماء الصحفيين المصريين تتردد على كل الألسنة العربية بكل احترام وتقدير

لأنهم كانوا يعالجون مشاكلنا ومشاكل غيرنا باخلاص  
وبأمانة وبعقل ووطنى لا تأثير لأجنبى عليه ؟

والآن وقد انتهيت من بعض ما عندى عن الصحافة  
فلماذا لا تدخلون معى فى نقاش حول هذا الذى قلته ؟

**طالب :** ان الوضع يحتاج منا الى استكمال بعض ما نحتاج اليه  
من وقائع .. فلنؤجل الحديث الى حوار آخر ؟

**الأستاذ :** لكم هذا .

\* \* \*

## الخوف والنفاق

اجتمع شمل الطلبة ، وانضم بعضهم الى بعض حول مائدة مستديرة في ركن من أركان كافتريا لهم ، وشاهدوا أستاذهم يقترب منهم فنظر بعضهم الى الساعة فإذا بها تشير الى السادسة تماما ، وقال أحدهم — كمعاداته .. في مواعده بالضبط . فقال آخر :

انه يحرص على الدقة بصورة تدعو الى الغيظ . وهو من أجل  
الحرص على الوقت يثور ويغضب ..  
طالبة : ( مقاطعة ) ، وهل رأيته مرة غاضبا ؟

الأستاذ : وقد استمع الى الجزء الأخير من الحديث .. اذا كنتم  
تقصدوننى ، فانى أغضب فعلا ولكن بعد استنفاد كل  
وسائل العلاج .. فان رأيى أن معالجة الناس — بالثورة  
المستمرة خطأ . لأن ذلك يفتح الأبواب لسلسلة أخرى من  
الأخطاء ، ثم ينتهى الوضع الى حالة من الفوضى .. ولو أن  
ثورة ٢٣ يوليو حددت لنفسها موعدا تنتهى عنده بإجراءاتها  
الثورية ، ثم تبدأ بعد ذلك حكما غير ثورى ، لتفسرت  
أوضاعنا ، ولكن الأمر لم يكن كذلك ، بل كان الشيعار الذى  
يتردد دائما فى كل مناسبة لها هو ( الثورة مستمرة ) .

ومع هذا لا دامى الآن للدخول فى الموضوع ، ولنبدأ  
حوارنا ..

طالب : لقد استقطبت من اعتبارك وانت تتكلم عن موقف الثورة من  
الصحافة ان هناك التزاما ثوريا يحتم على كل من يعمل  
فى أجهزة الاعلام الارتباط به . والا كان ذلك خروجا على  
مبادئ الثورة . وما ينشأ عن ذلك من فوضى .

**الأستاذ :** الالتزام ضروري ، سواء أكان الوضع ثوريا أو غير ثوري ، وفي كلا الحالتين لا يفرض الالتزام على طرف واحد ، أى أن الحاكم ملتزم ، ورجل الشارع ملتزم ، فكلاهما عليه التزامات بالنسبة للطرف الآخر . ولكن الالتزام ينبع أصلا من فوق أى من الحاكم ، فهو يرتبط بمبادئ معينة ومحددة فإذا نجح في تحقيق ما ألتم به أصبح حتما على رجل الشارع أن يعطيه كل فرصة لتحقيق المزيد من الالتزامات مقابل تأييد شعبي نابع من التزام مقابل .

ولكن أن يفرض التزام ما على رجل الشارع دون أن ينال من وراء ذلك مقابلا يشعره بإنسانيته وكرامته وحريته ودون اطلاعه على كل الحقائق وأشعاره بأن الدولة تقدم له الخدمات الممكنة فهذا يختل ميزان الالتزام . ويتطلب حجرا شعبيا أو تحولا من جانب الشعب ، لأنه أولا وآخر صاحب الحق في كل شأن من شؤنه . ومراقبة هذا الميزان وأجراء عمليات الحساب والخسائر يجب أن يكون بصورة منتظمة ومنظمة ، وهي تتم أما عن طريق الرقابة الشعبية الممثلة في المجالس النيابية . وأما عن طريق صحافة — وإن كانت ملتزمة — حرة وقادرة على أن تقوم بدور الملتزم أمام الشعب تدافع عن مصالحه ، وتنبيهه إلى الخطر إذا وجدت أن ميزان المدفوعات يضيف إلى الشعب المزيد من الأعباء والتكاليف والتخلف .

هذا هو الالتزام . أما أن يكون الالتزام لحساب فرد واحد وهو الحاكم ، يفرض الالتزام على غيره ويجرد نفسه منه فهذه هي الديكتاتورية بكل ما تحمل كلمة الديكتاتورية من معان .

**طالب :** ولكن كثيرا ما تكون الديكتاتورية هي المصالح المرفى تحتاه بعض الشعوب .

**الأستاذ :** ما من أحد يأتى إلى الحكم ويقبل أن يقول للناس أن علاج مجتمعهم يحتاج إلى ديكتاتور . . . وإن هذا الديكتاتور

هو أنا . بل أن كل من يأتي الى الحكم عن طريق الثورة يفرش الطريق أمام الشعب بالورود ، ويعلن أنه ملتزم بتعهدات معينة كلها لخير المجموع . وقد كان جمال عبد الناصر يثور لجرد أن يقال عنه في صحف الخارج أنه « ديكتاتور » ولقد كنت معه في أول رحلة له الى يوغسلافيا عام ١٩٥٦ وكنا نتناول طعام الافطار بالقطار ، والتفت الى الدكتور محمود فوزي وزير خارجيته وقال له « هذه الصحف المجرمة ( مشيرا الى صحف الغرب ) تصفني بأنني ديكتاتور .. وهو وصف لا أقبله .. عليك أن تقول لهم ذلك .. » هذه القصة البسيطة توضح لكم أن الديكتاتورية المعلنة ليس لها وجود ، فلم يلتزم حاكم أمام شعب بأن يكون ديكتاتورا مصلحا ، بل يرتبط بارتباطات تقسم بالحرية والانطلاق في النقد ، ومن ثم يكون حسابه مركزا حول هذا الالتزام .

**طالب :** ولكن ربما كان الشعب راضيا بهذا النوع من الحكم ؟

**الأستاذ :** لن تجد شعبا يرضى بأن يسلم أمره لفكر فرد واحد ، بدليل تحركاتكم الجامعية بعد النكسة في ٥ يونيو ١٩٦٧ وما تلا ذلك ، وقد اتجهت مظاهراتكم أول ما اتجهت الى جريدة الاهرام على أساس انها الناطقة باسم الحاكم وكانت هتافاتكم تؤكد انكم تحملون الصحافة مسئولية الخسار الذي عشتُم فيه ، ولقد تظاهرتُم لأن صدمة الهزيمة في صحراء سيناء كانت أضخم من أن تحتملها أعصابكم وقلوبكم وشعوركم ، اذ كانت صدمة تثير الشعور بالمرارة والألم ، بل كانت آخر الأخطاء التي تعجز عنها طاقة الاحتمال ، ولهذا عرفتم طريقكم الى التظاهر العلني لتقولوا رأيكم فيما كنتم تعيشون فيه ولا تعرفون كيف تعبرون عنه ، ولو كانت هناك صحافة حرة ولم تكن هناك ديكتاتورية فرد ، لما حدث ذلك . ولابد من الرجوع الى تاريخ الشعب المصري القديم والحديث لنعرف أنه في كل الظروف لم يكن ليقبل أن يحكم ديكتاتوريا ، صحيح أن بعض المحاولات في التاريخ الحديث جاءت عن طريق أحزاب الأقلية ، ولكن

عندما تحول حزب الأغلبية قبيل الثورة نحو ارضاء السراى والانجليز ، بدأ الشعب يقاوم هذا الاتجاه ويحاول أن يعيد النحاس باشا الى حظيرته ، ولو أن الحكم استتب للنحاس لفترة طويلة لكانت نهايته الشعبية محتمة .

ان طبيعة الشعب طبيعة اسلامية تقوم على الشورى ، وكل خروج على هذه القاعدة ينتهى الى اتجاه شعبي جارف للبحث عن مخرج الى الوضع الطبيعى الذى يرتضيه .

ولكن يبدو أن جمال عبد الناصر كان يستعد — رغم هذه الظروف — لأن يحكم مصر حكما ديكتاتوريا بعد أن تكشف له أن الحكم الدستورى المستند الى الارادة الشعبية ليس هو السبيل الى تحقيق غايته واغراضه ، وهذا الكلام لا أقوله بلا وقائع .. :

وأولى الوقائع : انه كان معجبا بنظام سالا زار ديكتاتور البرتغال والذى استمر لفترة طويلة .. ولهذا بعث الأستاذ فهمى السيد الى لشبونة ليدرس النظام المعمول به ويعود به الى مصر لتطبيقه فيها ومع هذا ما أن ذهب سالا زار حتى خرج شعب البرتغال ليعلن انه لم يكن راضيا عن النظام . وانما كان يعيش فى حالات رعب من هذا النظام .

وثانية هذه الوقائع انه يوم وقع الانقلاب ضد حكم بيرون الديكتاتورى فى الأرجنتين اهتم بذلك اهتماما كبيرا . وقد كنت آن ذاك نائبا لرئيس مجلس ادارة دار التحرير التى تصدر الجمهورية فاتصل بى تليفونيا لأطلعه على كل التفاصيل التى أحاطت بهذا الانقلاب . وظل على اتصال مستمر بالجريدة متعطشا الى معرفة المزيد من التفاصيل .. وكان تعليقه الذى ما زال يرن فى أذنى « غريبة .. لقد كنت أظن أن نظام بيرون أقوى من أن يتعرض لانقلاب يؤيده الشعب » .



وثالثة هذه الوقائع انه كان يخشى أن يخوض انتخابات بمعناها المعروف في الدول الديمقراطية ، أى أن يقف في معركة ترتكز على التنافس بينه وبين آخر أو آخرين . وقد حدث أن رشحت نفسى لمنصب نقيب الصحفيين في أول تشكيل جديد للنقابة بعد الثورة وكانت معركة حامية . حوريت فيها من بعض العناصر اليسارية والمؤيدة من بعض أعضاء مجلس قيادة الثورة وعلى رأسهم الصاغ صلاح سالم . . وقد كان وزيرا للارشاد القومى ( الاعلام ) وكان يسيطر بحكم منصبه على أرزاق الصحفيين . فلما سقطت في الانتخابات بفارق ضئيل في الأصوات ، قال لى جمال عبد الناصر في تلك الليلة : انه يكره هذه المعارك الانتخابية التى يكون فيها مصير الفرد معلقا على أصوات ناخبين . . أى أنه لا يحب أن يخوض معركة فيها مواجهة قد ينجح فيها وقد يفشل . وهذا دون شك من طباع الديكتاتورية المتسلطة .

هذه بعض الوقائع « الأولية » التى كشفت عن اتجاهه في اختيار النظام الصالح لحكم مصر . وهو يهدم كل قول قيل بأن الثورة جاءت لاقامة حياة ديمقراطية سليمة .

**طالب :** ولكن لعله كان يحتاج في البداية الى نوع من الاستقرار الداخلى الذى يمكن أن يكون تمهيدا لاقامة هذه الحياة الديمقراطية السليمة ؟

**الأستاذ :** عندما يكتمل حوارنا سنرى أن هذا الاتجاه المبدئى في تفكيره قد تحول الى أساس الحكم ، وأن القيادة الجماعية التى بدأت بها الثورة تفتتت ، وأن السلطات كلها تجمعت في يد واحدة ، ثم تطور المجتمع ليصبح مستندا الى قاعدتين أحدهما قاعدة « النفاق » والأخرى قاعدة « الخوف » ومثل هذا المجتمع هو الذى يساعد على اقامة الحكم الديكتاتورى الرهيب .

ولقد كان جمال عبد الناصر حريصا على البدء بأجهزة الاعلام لجعلها أداة طيعة له ، تشكل الناس كل صباح

بالشكل الذى يرضيه . . ومن هنا بدأ ما أسماه « تنظيم الصحافة » بينما كان فى الحقيقة ملكية الصحافة له .

**طالبه :** وكيف انحدرت شخصية الصحفى المصرى الى القساع بسرعة وسهولة ؟

**الأستاذ :** لا يصح أن نقول أن ذلك تم بسرعة أو بسهولة . ان الناس — معظم الناس — لم يكونوا على علم بما كان يجرى فى الخفاء بالنسبة للصحفيين ، فبالرغم من الاجراءات التى اتخذت ضد جريدة المصرى واعتقال بعض الصحفيين لفترات قصيرة بقصد الارهاب والتأديب والانذار للآخرين ، رغم ذلك كله حاول البعض منا أن يلتزم بواجبه نحو الشعب . . فكان ينقد أو يناقش بعض ما كان يراه جديرا بالمناقشة الحرة . وكان الرقيب يحذف ولا يسمح بالنشر . . واذا حدث وغابت بعض الأفكار والاتجاهات عن الرقيب فان اسم الصحفى كان يدرج فى قائمة سوداء ، وتعد العدة لإبعاده فى الوقت المناسب .

**طالبة :** وماذا تعنى بالوقت المناسب . ؟

**الأستاذ :** لم يكن مسموحا بفصل صحفى لأسباب تتصل بالنقد . والا عد « شهيدا » ، ولم يكن جمال عبد الناصر يسمح بأن يكون هناك « شهداء رأى » ولهذا كان يترقب الفرصة لكى يكون لفصله ما يبرره ، وقد كان الأستاذ فكرى أباطة واحدا من هؤلاء الضحايا . . كان يكتب فى المصور بابا يوقعه باسم « المجنون » ولم يخل الكلام المنشور من « الغمز واللمز » والاشارة بطريقة تبدو مجنونة الى بعض التصرفات الخاطئة . . وتنبه الرقيب — أو نبه — الى ما يكتب فى هذا الباب ، ولكن الاجراء ضد فكرى أباطة لم يتخذ الا بعد أن كتب مقالا عن القضية الفلسطينية وجدت فيه الاداة الحاكمة فرصتها ، ففسرت بعض ما جاء فيه بأنه خروج على الخط العربى . . وبادرت فأصدرت قرارا « بفصله » وهكذا لم يسمح لفكرى أباطة أن يكون

شَهِيد رَأْيِهِ . . وَلَمْ يَسْمَحْ فِكْرِي أَبَاطَةَ لِنَفْسِهِ بِأَنْ يَكُونَ هُوَ هَذَا الشَّهِيد ، فَأَعْنِ بَعْدَ أَيَّامٍ — وَبَعْدَ مَحَاوِلَاتٍ اسْتَرْضَاءَ لَجَمَالِ عَبْدِ النَّاصِر — تَفْسِيرًا لِمَا جَاءَ فِي مَقَالَةٍ لِيَمُهِدَ بِهِ الطَّرِيقَ لِإِعَادَتِهِ إِلَى عَمَلِهِ الصَّحْفِيِّ .

وَهَكَذَا تَحَدَّدَت خُطَّةُ مُعَامَلَةِ الصَّحَفِيِّينَ ، أَنْ تَكُونَ الرِّقَابَةُ هِيَ خُطُّ التَّأْدِيبِ الْأَوَّلِ ، فَإِذَا تَجَرَّأَ صَحْفِيٌّ وَكَتَبَ رَأْيًا حَذَفْتَ هَذَا الرَّأْيَ بِحَيْثُ لَا يَصِلُ إِلَى الْقُرَاءِ . وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ تَرْفَعُ الْأَرْاءَ الْمَحْذُوفَةَ إِلَى جَمَالِ عَبْدِ النَّاصِرَ لِيَقْرَرُ بِنَفْسِهِ الْوَقْتِ الْمُنَاسِبَ لِإِبْعَادِ الصَّحْفِيِّ عَنْ عَمَلِهِ تَأْدِيبًا لَهُ وَتَهْدِيدًا لِلْآخَرِينَ . وَهَكَذَا أَصْبَحَ الصَّحْفِيُّ حَرًّا فِي أَنْ يَخْتَارَ الْمَصِيرَ الَّذِي يَرِيدُهُ . . أَنْ يَقُولَ رَأْيَهُ عَلَى وَرَقَةٍ لِيَقْرَأَهُ الرَّقِيبُ وَجَمَالُ عَبْدِ النَّاصِرِ . وَيَكُونُ بِذَلِكَ آخِرُ رَأْيٍ يَبْدِيهِ . . أَوْ أَنْ يَسْكُتَ وَيَرْضَى « بِالْإِلْتِمَامِ » . وَكَانَ الصَّحَفِيُّونَ أَمَّا أَنْ يُوَدَّعُوا مَنَازِلَهُمْ بِغَيْرِ رَجْعَةٍ إِلَى الصَّحَافَةِ أَوْ إِلَى أَى عَمَلٍ آخَرَ . وَالْبَعْضُ الْآخَرُ يَنْزِلُ ضَيْفًا عَلَى الْبُولِيسِ الْحَرْبِيِّ فِي عَمَلِيَّةٍ تَأْدِيبِيَّةٍ مُؤَقَّتَةٍ تَوْهِّلُهُ لِلدَّخُولِ فِي زَمْرَةِ الْخَاضِعِينَ . . وَكَانَ الْبَعْضُ الثَّلَاثُ يَحُولُ إِلَى الْعَمَلِ فِي مَوْسِسَاتِ التَّغْذِيَةِ أَوْ الْمَحَلَّاتِ التِّجَارِيَّةِ أَوْ فِي بَيْعِ الْأَحْذِيَّةِ إِلَى أَنْ يَسْتَسْلِمَ . . أَوْ أَنْ يَرْضَى بِالْمَصِيرِ الَّذِي اخْتَارَهُ .

**طالِب :** غَيْرَ مَعْقُولٍ .

**طالِب آخِر :** قَدْ يَكُونُ لَهُذِهِ الْإِجْرَاءَاتُ كُلُّهَا مَا يَبْرِرُهَا ؟

**الْأَسْتَاذ :** الَّذِي وَصَفَ كَلَامِي بِأَنَّهُ غَيْرَ مَعْقُولٍ . يَجِدُ الْأَدْلَةَ عَلَى ذَلِكَ فِي مَلَفَاتِ الصَّحَفِ . وَفِي الْقَرَارَاتِ الَّتِي كَانَتْ تَبْلُغُ لِإِدَارَاتِ الصَّحَفِ لِتَنْفِيزِهَا وَفِي مَلَفَاتِ الْمَوْسِسَاتِ الَّتِي نَقَلَ إِلَيْهَا هَؤُلَاءِ الصَّحَفِيُّونَ .

أَمَّا الَّذِي قَالُ أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ لَهُذِهِ الْإِجْرَاءَاتُ مَا يَبْرِرُهَا ، فَأَنَا أَتَّفَقُ مَعَهُ فِي الرَّأْيِ ، بِشَرَطِ أَنْ نَتَّفَقَ أَوَّلًا عَلَى أَنْ يَكُونَ

لكل اجراء التبرير المعلن للناس . والذي يسمح في نفس الوقت بمناقشته ، امام الراى العام وهذا ما لم يحدث . ومعناه ان الحاكم لم يكن في الموقف الذى يسمح له بالدفاع عن تصرفاته امام الراى العام .

**طالب :** ولماذا ظلت هذه الوقائع حبيسة حتى اليوم ؟

**الأستاذ :** ومن الذى يعلنها لك ؟ ليست الصحافة هي الوسيلة الاعلامية الشرعية الوحيدة القادرة على ان تقول لك ما يحدث ويجرى .

**الطالب :** كان في امكان رجال الصحافة انفسهم ، ونقابة الصحفيين ان تقف موقف الحزم من هذا كله ؟

**الأستاذ :** هذا هو الاتجاه السليم بطبيعة الحال ، ولكن بعض اقطاب الصحافة كانوا يتسابقون الى مكان قريب من الزعامة .. والبعض الآخر اختار طريق الامان وضمان لقمة العيش . والشباب الصحفي يقتبس من هؤلاء وهؤلاء ويشهد التسابق الذى يحركه الخوف والنفاق فلا يجد من يأخذ بيده او يعلمه . واني لاذكر قصة رواها لى صحفى قديم لس في بعض الشبان طاقات صحفية متفتحة فقال انه اقترح ان يشغلوا بعض المناصب القيادية في مجال العمل الصحفي فابوا ورفضوا وكانت حجتهم انهم يفضلون ان يعيشوا في « الظل » لئلا تقطع رقابهم . وهكذا انتقل الخوف الى الجيل الجديد .. ولا دليل على صحة هذا القول الا سؤال اوجهه اليكم : حددوا اسما صحفيا واحدا لمع في خلال الفترة التى عاشتها الصحافة المصرية ملكا لفرد واحد ؟

وساد المكان صمت عميق .. وتطلع الطلبة بعضهم الى بعض .. ثم خرج طالب بسؤال آخر تسليما منه ومن اخوانه بانهم لم يجدوا اجابة على السؤال .

**طالب :** وهل يعنى هذا ان كل ما سجل فى الصحف خلال هذه الفترة الطويلة لا يصلح أن يكون قاعدة لكتابة التاريخ ؟

**الأستاذ :** ان المؤرخ لا يقبل الاعتماد على وجهة نظر من جانب واحد . ولو أن مؤرخا اتخذ ما كتب فى الصحف أو ما جاء فى الخطب المنبرية كمرجع له فإنه سيخرج بنتائج مذهلة ، تناقض وكذب ونفاق وهى الشعارات الثلاثة التى توجت صحافة مصر فى تاريخها الثورى الحديث .

**طالب :** وهل تغير الوضع الآن ؟

**الأستاذ :** لكى تغيره فأنت فى حاجة الى « وقت » والى « فترة نقاهة » والى فترة اعداد جيل جديد كم يلوث .. وآخرى الى ضمانات تؤكد أن الصحفي لم يعد قطعة من شطرنج يحركه الحاكم وينقله من مكان الى مكان أو من موقع الى موقع غير صحفى .

وهذه الضمانات نفسها فى يد « رجل الصحافة » وفى شخصية هذا الصحفي ، هو صاحبها . وهو محركها . وهو حاميتها .

**طالبة :** لست افهم ما تعنى ؟

**الأستاذ :** ان ما أعنيه هو ضرورة اعتزاز الصحفي « بالشخصية الصحفية » وليس لازما أن تكون شخصيته هو بل يتحتم حماية الشخصية الصحفية بوجه عام ، فإذا أحست الأسرة بأن صحفيا قد مس فى كرامته أو فى رزقه فإنه يتحتم اعتبار ذلك مأسا بالصحافة والاحتجاج عليه ، ويجب ترجمة هذا الاحتجاج الى تصرف عملى كالاضراب الجماعى من العمل — مثلا — بحيث يتاح للجمهور أن يعرف الحقائق كاملة . أو بمعنى آخر يجب ألا يسمح صحفى بأن يذهب زميل له ضحية لرأيه . أو لاعتزازه بشخصيته . أو بمعنى آخر أن الصحفي يجب ألا يفكر فى نفسه لأنه ان فعل أتاح

للحاكم فرصة السيطرة على مصائر الصحفيين وأصبحت الصحافة ملكا له دون حاجة الى فرض رقابة فعلية .

**الطالب :** وهل يمكن — في رأيك — تحقيق ذلك ؟

**الأستاذ :** ان تغيير النفوس يحتاج الى جهد جبار ، واذا شئنا الدقة قلنا ان مهنتنا تحتاج الى دم جديد . دم يغلى من أجلها ، ولا يراق في سوق الرياء والنفاق ، اذ لا شيء يتحقق الا بتضحية وراء تضحية .

**طالب :** وهل اثر هذا النفاق على المجتمع المصرى ؟

**الأستاذ :** بطبيعة الحال ، لقد أصبح النفاق في مجتمعنا من العملات المتداولة والمقبولة جدا ، ولقد بدأ تدارك هذه العملية في نطاق ضيق ، وبصورة صارخة ، وظل البعض أو الكثير يرفض التعامل بها اعتمادا على خلقه وخبراته وقدراته التي تؤهله لشق طريق كفاحه ، ولكنه مع هذا وجد نفسه ضائعا في سوق أصبح النفاق يسيطر عليها وأحس هذا الفريق من الناس بخطورة المواجهة ، فكان عليه أن يختار بين أمرين ، أن ينفق . أو يضيع .

**طالب :** وماذا اختار ؟

**الأستاذ :** هذا السؤال أردته اليك .. وأنا أظلم الواقع اذا قلت ان الكثيرين ثبتوا في مواقعهم وانتصروا في حرب المواجهة لقد اضطروا أن يخضعوا .. من أجل ..

**طالبة :** .. من أجل لقيم العيش !

**الأستاذ :** نعم .. آه من أجل لقيم العيش . فقد كانت السلاح الذي لعب دوره الكبير في تشكيل المجتمع بصورة ظننا البعض تفاعلا مع النظام . بينما كانت في الواقع خضوعا لسيطرة لا أخلاقية .. سيطرة وضع أرزاق الناس وأولادهم الصغار في أيدي فئة قليلة .

**طالب :** وهل تستطيع أن تقدم لنا وقائع من حقل النفاق ؟

**الأستاذ :** يبدأ تاريخ النفاق الكبير حين قدم الى رئيس الدولة على طبق ذهبي كبير . . وكان ذلك في حفل فخم أقيم بقصر القبة ودعى الصحفيون الى الاجتماع فيه مع الرئيس جمال عبد الناصر عقب صدور قرار تنظيم الصحافة في عام ١٩٦٠ . وبدأ الرئيس في هذا الاجتماع بشرح طويل جدا ، قد يكون المقصود منه أن يخدر الجالسين أمامه في أدب وانصياع ، وأن يزيد من احتمالات الاستسلام للواقع . ومن واقع ما أعرفه عن الرئيس أرى أنه كان يتوقع أن يواجه مناقشة حول « مبدأ التنظيم أو التأميم » ولكنه ماكاد ينتهي من كلامه الطويل ، حتى ساد الصمت القاعة ، ثم وقف صحفي يطلب من الرئيس أن يحدد الخطوط التي يتحتم على الصحافة أن تلتزم بها ، واستطيع أنؤكد أن جمال عبد الناصر شعر بارتياح بالغ لهذا الاستسلام . . فقد اعتدل في جلسته ، وراح يحاضر في أشياء كثيرة توضح مدى اطمئنانه الى أن كافة الأقلام العاملة في الصحافة المصرية أصبحت ملكا له ولهذا تطلب منه توجيهها وتطويعها . . وتلك كانت المأساة الأولى ، أو فاتحة المآسى .

وفي ذلك اليوم ، وعند خروج الصحفيين من قصر القبة عائدين الى مكاتبهم لتنفيذ تعليمات الرئيس ، التفت صحفي كبير الى زميل له وسأله « هل تجد فارقا بين هذا الاجتماع ومذبحة القلعة عندما قضى محمد على على المماليك بضربة واحدة » .

ولم يبتسم الصحفي لهذا التشبيه . لأنه كان يحس أن الطعنات التي تلقتها صحافة مصر لم تجد من يردّها عنها ؟

وانتى لاتساعل الآن . . لو أن اتفاقا تم بين الصحفيين قبل ذهابهم الى الاجتماع على خطة لمناقشة الرئيس في مبدأ

التنظيم ، هل كان يمكن أن تكون نهاية الاجتماع بهذه الصورة المزرية ؟

**طالبة :** لقد كدت أسأل هذا السؤال ؟

**الأستاذ :** من المؤكد ان جمال عبد الناصر كان يتوقع مواجهة تتمثل فيها الكرامة ، ولكن مجموعة الكبار الذين كانت بيدهم قيادة معركة « الكرامة » كانوا في شغل شاغل عنها بمعركة أخرى ، معركة السعى نحو مكان الصدارة والتمكن من مكان الى جانب الزعامة يفتح لهم أبواب النفوذ أولا ، ثم الخير والرزق لأنفسهم بعد ذلك وكانت هذه المعركة حامية . فذهب ضحيتها الكثيرون ، ولم يبق الاقله .

لقد تحولت المهنة الى سلعة أخذ كل صحفي كبير يسعى الى احتكارها ، وتحولت اشتراكية الصحافة الى عملية احتكارية كان الصراع فيها حول من يكون المحتكر الأول ، وان شئت الدقة من يكون المنافق الأول .

**طالب :** ( مقاطعا ) : أرايت اننا على حق ، انك تعود مرة أخرى الى تحميل كل الصحفيين أوزار المهنة .

**الأستاذ :** أنا لم أقل غير ذلك ، فقد اختفت من بلاط صحابة الجلالة الصحافة كل الدوافع لخدمة المهنة . انكمش الصفار ، في مكاتبهم ، وآثروا اختيار الطريق الأسلم والابتعاد عن طريق القمة ، أو بمعنى آخر سلموا أمرهم لله .

**طالبة :** هذا عن النفاق الصحفي .. وماذا عن النفاق في المجتمع بصفة عامة .. ؟

**الأستاذ :** سأقص عليكم قصة موظف متواضع كان يتطلع الى المناصب العليا ويتعجل الوصول اليها . ولظروف خاصة كان قادرا على أن يصل الى مواقع المسؤولين ، وقد أحس ان النفاق يفتح الأبواب المغلقة ويعجل له بالترقى .



فبدأ يطرق الأبواب طرقاً خفيفاً . وينافق بوسائل مختلفة ،  
الى أن وصل الى الحد الأكبر الذى لا يتصور ، فكان اذا  
دخل على جمال عبد الناصر مكتبه خلع نعليه على الباب  
ووضعها تحت ابطيه كما لو كان يدخل المسجد متعبداً .

**طالب :** وهذا التصرف لم يقابل بأى اعتراض ؟

**الأستاذ :** الحقيقة انى لا أعرف . . كل الذى أعرفه ان الرجل كان  
يفعل ذلك فى كل مرة . . وانه تسلق سلم النفاق الى  
المنصب الذى كان يتمناه . . وهو منصب بدرجة وزير .

**طالبة :** ولكن النفاق موجود فى كل مجتمع عربى او غير عربى ؟

**الأستاذ :** لا خلاف فى ذلك . . ولكن ان يصل الى هذا المستوى .  
او ان تكون الأجهزة العاملة فى مركز القيادة بهذه الصورة ،  
فذلك دليل على نوعية « أهل الثقة » الذين فضلوا على  
أهل الخبرة . هل تستطيع أن تنكر ان الدولة حكمت بهذا  
المبدأ ؟

**طالب :** لا أعارض فى ذلك ، ولا أنكر ان أهل الثقة فضلوا على  
غيرهم ، ولكن هل كان أهل الثقة كلهم من هذا النوع ؟

**الأستاذ :** لقد كان من بين أهل الثقة من وصل الى مركزه بحكم  
قدراته ، ولكنهم لم يلبثوا أن اصطدموا بمن هم أقوى منهم  
. . فأبعدوا وانتهى الصراع الى أن ظلت دائرة أهل الثقة  
محصورة فيمن سموها فيما بعد باسم « مراكز القوى »  
وحملوا مسئولية كل الأخطاء التى قادت الى ثورة التصحيح  
فى ١٥ مايو ١٩٧١ .

**طالبة :** وهل نفهم من ذلك ان المجتمع المصرى قد انحدر الى الانصياع  
التام ؟

**الأستاذ :** بلا شك . وان كان لابد من أن نتساءل : هل تعتبر  
السلبية التى التزمت بها الأغلبية نوعاً من الاستسلام أم لا ؟

طالب : بلا شك ..

الأستاذ : والا يمكن أن ندخل في اعتبارنا الدور الذي تلعبه لقمة العيش ؟

طالبة : كيف ؟

الأستاذ : الذي لا شك فيه أن الدولة تحولت الى قطاع خاص يملكه فرد واحد ، فأنت يوم تفصل من وظيفتك بسبب رأى ، ولم يكن أحد يفصل من وظيفته لغير هذا السبب . فان الأبواب كلها تغلق في وجهك ، ذلك لأن المالك لكل شيء واحد ، وهذا الواحد هو الذي فصلك لغرض تأديى .. فكيف يمنحك وظيفة أخرى أو سبيلا آخر تصل منه الى لقمة العيش ؟

طالب : أى ان الدولة الاشتراكية .. تحولت الى دولة احتكارية ، وبدلاً من أن يكون الاحتكار في يد قلة .. أصبح الاحتكار في يد « واحد » .

الأستاذ : بالضبط .. أى أن مبدأ من مبادئ الثورة في فترتها الأولى وهو « القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال على الحكم » تطور ليصبح احتكاراً لرأس المال .. بل ولاى فرد واحد .

طالب : ولكن هل تغير الوضع الآن ؟

الأستاذ : هذا سؤال وجيه .. وإذا قلت لكم ان الوضع قد تغير تماماً أكون غير صادق . وان كنا لا ننكر ان هناك محاولات لوقف تيار النفاق .. ولكن يجب ألا ننسى أن الرواسب العميقة الثقيلة لا تزال بسرعة ، لقد كانت حياتنا كلها في الماضى . فى الصحافة . وفى المؤسسات قائمة على مبدأ النفاق . وكان النفاق هو العملة المتداولة ومن ثم فإن التغيير يتطلب بعض الوقت .

**طالبة :** انى أحس انك تحاول أن تحملنا مسؤولية كبرى ..  
مسئولية لم يكن لنا يد فيها .

**الأستاذ :** هذا هو قدركم . والانسان لا يستطيع أن يهرب من  
حكم القدر .

وانتهى الحوار فى هذا اليوم فى جو سادى الصمت الغريب ..  
كانت وجوه الشبان تنطق بالألم وتنطق بتساؤل كبير يحمل فى طياته  
حاجتهم الملحة الى المزيد من المعرفة والمزيد من الوقائع التى تفسر  
لساذا حدث هذا كله .

\* \* \*

## الحوار السابع قصص من الماضي

أصر الطلبة على أن يجرى الحوار السابع بعيدا عن أسوار الجامعة ، وفضلوا تغيير جو الجلسة لأنهم أحسوا بانتقال حوارهم الى معالجة أمور محددة ذات قيمة في تقدير موقفهم ، ولهذا أيضا رحبوا بأن يكون معهم في هذا الحوار الجديد مجموعة من غير الجامعيين ، وأن يشتركوا معهم في تقديم ما عندهم من وقائع عاشوها وتأثروا بها .

وكان الأستاذ قد لمس في الطلبة رغبة ملحة في أن يسمعوا وجهات نظر مختلفة ، وأن تتسع حلقة الحوار ، وأن يمتزج الشباب بالذين عاشوا أحداث الماضي ويعيشون تطورات الحاضر ويتبادلون وجهات النظر والصراع حول هذه الأحداث كلها .

وبدأ الأستاذ الحوار بطرح مجموعة من الأسئلة التي تحدد معالمه ، وتقود الى نتائج ، يتقرر على أساسها ما يجب أن يكون عليه « الفرد » في مجتمع جديد نبحث عنه .

وقال الأستاذ قد يكون من الصعب الدخول في موضوع حوارنا اليوم من غير أن نتفق على مبادئ معينة تحددنا الأسئلة التالية :

هل يجوز في أية حالة من الحالات أن يتعرض الفرد لأي نوع من التعذيب البدني أو النفسي ؟

وهل يجوز أن يفقد الفرد حقه القانوني في الدفاع عن نفسه باللغة ما بلغت ضخامة التهمة الموجهة اليه ؟

وهل يجوز السماح باختطاف الفرد من بين أولاده وأهله فلا يعرف له مصير فترة طويلة أو قصيرة من الزمن وما الحكم على الحالات التي يختفى فيها الانسان فلا يعرف مصيره ؟

وهل يجوز أن يسمح لأفراد قلائل يديرون جهازا للمخابرات بأن يتولوا أرغام الفرد بكل وسيلة من وسائل الارهاب والتعذيب على تسجيل اعترافات لا تمت الى الواقع بصلة ، وانما هي تنفيذ لخطة اجرامية ؟

وهل يجوز أن يتجمع زبانية في زى رسمى للاعتداء على عرض سيدة تأبى أن تعترف بشيء ضد آخرين ؟

وهل يجوز أن تفرض حراسة بقرار من فرد على أموال فرد آخر فيصبح بين يوم وليلة لا يملك شيئا وأن على هذا الفرد أن يتحول الى متسول يمد يده بالسؤال ويستجدى ما يسد به الرمق ، رmqه ورمق أولاده الصغار والذين هم في سن الرضاعة ؟

هذه بعض الاسئلة وليست كلها ، ومن المؤكد أن وقائع السؤال الواحد كافية لأن تحدد الى أى حد عاش الفرد المصرى فى ذل وخوف من أن تمتد اليه يد العدوان على كرامته وعرضه وشرفه .

ومن المبدأ لابد أن نسأل سؤالا هاما وهو : هل يمكن أن تشكل هذه الأجهزة الارهابية فى الدولة وأن تبأشر عملها من غير علم رئيس الدولة ؟ . واذا فرض ذلك فهل يمكن تجريد الرئيس من مسئوليته وتعليق الأخطاء على شناعة اسمها مراكز القوى . . ؟ ثم من هو الذى سمح بتكوين مثل هذه المراكز ؟ وهكذا ترون أن حوارنا الممتد يجب أن يستعرض بعض الوقائع التى تجيب على أسئلة الشق الاول . . ثم ننتقل للإجابة على أسئلة الشق الثانى .

**طالبة :** وعايك أن تقول بعد ذلك ماذا يكون موقفنا مستقبلا ؟

**الاستاذ :** فلنبدا بالقصة الاولى ، انها قصة أستاذ جامعى كبير بكلية حقوق القاهرة اسمه الدكتور عبد المنعم الشرقاوى ، رجل قانون ورجل علم من أسرة اختلفت مع النظام ، انفصل من الجامعة . ثم استقر كغيره من العلماء المهاجرين فى الكويت يحاول أن يكسب رزقه ونجح الرجل واستقر ، وان كانت مرارة الغربة أو الغيبة عن الوطن ظلت متمكنة منه . .

وارادت قوى الشر ان تدخله فى مؤامرة . . أو ان يشهد على آخرين لفقت ضدهم اشتراكهم فى عملية انقلاب وهمية . . وقبض على الدكتور الشرقاوى وهو فى زيارة لأسرته بالقاهرة . . وبدأت عملية الاغراء للاعتراف على الآخرين . ولم يكن الرجل يعرف واحدا من هؤلاء الآخرين ، ولم يكن يعلم شيئا عن المؤامرة فتحول الاغراء — تدريجا — الى تعذيب بطيء ، ولكن الرجل احتمل فوق ما يستطيع أن يحتمل ، لأن تكوينه الشخصى والقانونى لم يكن يسمح له بأن يشهد ظلما ضد آخرين .

وجريت كل وسيلة من وسائل التعذيب والضغط النفسى فلم تغلح ، ولم يبق أمام الزبانية الا أن يخطوا الخطوة الأخيرة . . أن يهددوه بالاعتداء على أقرب الناس اليه . . ولم يكن التهديد كلاما يقال بل كادت الجريمة أن ترتكب أمام عينيه ، ولم يحتمل الرجل — ولم يكن ممكنا لأحد أن يحتمل — فصرخ صرخة مدوية أعلن فيها أنه على استعداد لأن يوقع لهم على بياض . .

وتنهد الزبانية كما لو كانوا قد حققوا انتصارا على العدو الرابض فى سيناء . . ونجحت الخطة .

**طالبة :** لست أصدق ذلك . . ولا يمكن لا نسان أن يصدقه ؟

**الأستاذ :** ان هذه القصة ثابتة ومنشورة فى « الأهرام » لأن روائعها فاحت وانتشرت لا فى مصر وحدها ، بل فى خارج مصر . . ومن هنا كان على المسئولين أن يتحركوا وأن يوضحوا أن الأمر موضع تحقيق وأنه قد تم بغير علم كبار المسئولين . . وكتب رئيس تحرير الأهرام محمد حسنين هيكل كلاما فى صحيفته يحاول به أن يدفع التهمة عن الذى أو الذين يجب أن تظل صورتهم فى التاريخ بريئة براءة الطفل الوديع . وهدأت العاصفة بعض الشيء . . .

**طالبة :** هذا مطلق . . ولكن الا يمكن أن يكون كل هذا قد تم بغير علم المسئولين الكبار مثلا . . ؟

**الأستاذ :** هكذا نعود الى طرح السؤال الكبير .. ولكن .. لو ان هذا كان يتم بغير علم كبار المسئولين .. لماذا استمر ..؟ ثم الا يمكن أن يكون الجزاء الذى وقع على الزبانية المسئولين انما كان لانهم لم يتفنوا العملية بحيث تظل آثارها مخفية ؟

لقد كان المتبع عند اطلاق سراح المخطوفين أن ينبه عليهم بألا يتكلموا عن « فترة الضيافة » والا أعيدوا مرة أخرى . وكان مجرد تصور العودة الى تكرار هذه المغامرة كافيا لأن يجعل البعض منهم يقول : ان المعاملة كانت بالغة الانسانية . وهذا ما حدث بالنسبة للأستاذ عبد الله عبد البارى نائب المدير العام للأهرام ، فقد استضافته المخابرات بضعة أيام فى القبة ، ثم فى سجن القناطر الخيرية لانه اجتمع مع بعض اخوانه بأحد اقرباء محمود أبو الفتح صاحب المصرى فى جنيف . وكانت الضيافة كريمة لانها اكتفت بنزع بعض أظافر القدمين كنوع من الشفقة .. ومع هذا وعندما أفرج عنه كان يقول دائما أن معاملته بلغت حدا كريما وأن طعامه كان يقدم له من جروبي ..

أما الآخرون من زملاء عبد الله ومنهم الأستاذ حمدي فؤاد المحرر الدبلوماسى للأهرام .. فقد خرجوا من السجن ولكن أى أحد منهم كان لا ينطق حرفا . ولا يسمع كلاما . ولا يشهد أحدا ، اذ كانت الضيافة بالنسبة لهم أكرم من أن يجحدوها ، وبطبيعة الحال تحدثوا بهذا كله للأستاذ محمد حسنين . هيكل رئيس تحرير الأهرام والذى تدخل للأفراج عنهم . ولكنه أحجم عن تقديم الشكر لجهاز المخابرات على صفحات الأهرام ..

والقصص من هذا النوع كثيرة . ولعل أشدها بشاعة هو الاعتداء الذى وقع على السيدة . . . . . وأعذرنى اذا أحجمت عن ذكر اسم السيدة الكريمة . فان قصتها ، وان كان يجب أن تروى وقائعها الا أن الأمر لا يحتاج الى ذكر اسمها ، ويكفى أن يقال انها كانت من الأخوات

المسلمات ، وكان لابد من أن يستخرج منها اعتراف بشأن وقائع معينة ، ولم يكن لدى السيدة ما تقوله ولكن لكى ترغم على الكلام فقد سلمت للزيانية يتصرفون كيفما يشاؤون ولعل فيلم الكرنك للكاتب الكبير نجيب محفوظ قد تحدث عن هذه الواقعة .

**طالبة :** انى اعترض على الاستمرار فى سرد كل هذه الوقائع .

**الأستاذ :** بل لابد من أن تفتح ملفاتها وأن تعرفوا جيدا أن الصمت الذى ساد البلاد أزاء كل ما كان يجرى لم يكن صمت الرضاء وانما كان صمت الخوف . إذ أن مرحلة الحكم كانت قد دخلت فى دور بشع ، وكان الهدف أن ينتهى الفرد الى الخنوع والخضوع . وأن تسير الطواير فى الشوارع نردد الشعارات بلا وعى أو ادراك أو رضاء أو ايمان . . وانما بدافع الخوف والرعب والارهاب .

ومع هذا لا بأس من أن نروى قصصا فيها طرافة . . وان كانت فى نفس الوقت تكشف عن الوضع الذى وصل اليه المجتمع من تخطيط وارتباك وعدم تمييز . . واترك لأحد ضيوغنا أن يقص عليكم ما عاشه من وقائع .

**أحد الضيوف :** لا بأس من الاستجابة لهذه الرغبة . وان كنا نحب أن نسأل « أى نوع من الحكايات تريدون الاستماع اليها » ؟

**الطالبة :** ( مترددة ) ان حوارنا يدور دائما حول الماضى ، ما خفى منه وما كان السبب فى تحميل جيلنا مسئوليات كبرى نتيجة للأخطاء العظيمة التى ارتكبت فيه . . ومكرتنا فى هذا أن ( نتعلم ) وأن نتعظ وأن نكون على استعداد لمقاومة كل محاولة لتكرار تلك الأخطاء .

**أحد الضيوف :** هذا كلام سليم جدا . . ولعل أهم بادرة تحققون بها هذا الهدف ، هو أن تتمسكوا بأن تظل حرية الرأى وحرية الصحافة فى منأى عن أى تدخل أو قيود . . هذا هو السبيل الوحيد لكى تظل نوافذ الحقيقة مفتوحة إذ



بدونها يبقى الستار الكثيف الذى رفع فى ١٥ مايو والذى حجب عنكم ما كان يرتكب فى الماضى .. وهذا الستار يجب أن نعطل امكانيات استعماله فى اى وقت .. ولو انه لم يكن ما وقعت بعض الأحداث المؤسفة . والتي راح ضحيتها العديد من الأبرياء .

**طالب : مثل ماذا ؟**

**الضيف :** وهكذا نفتح باب القصص ، ناسمعو القصصة التالية ثم عليكم أن تحكموا وإن تدركوا أهمية انطلاق كلمة الحق على صفحات الصحف ، بلا توقف أو حدود .. ناسمعو .

فى فترة من الفترات ، انتقلت مهمة الاشراف على مؤسسة النقل فى القاهرة الى شخصية عسكرية ذات نفوذ جبار ، وحدث ذات يوم أن ركب مواطنان سيارة أتوبيس ووقفا فى الدرجة الأولى ، وعندما جاء الكمسارى لتحصيل قيمة التذاكر رفض الراكبان أن يدفعوا أجر الدرجة الأولى على أساس أنها واقفان .

**قال الكمسارى :** مستحيل . النظام العسكرى الجديد يحتم دفع الأجر بالكامل ..

**ورد الراكبان : ونحن لن ندفع ..**

**وقال الكمسارى :** ان التعليمات الآن غير تعليمات أمس .. ونحن فى عهد جديد .

**واستمر الكمسارى :** انه عهد الرئاسة الجديدة .. ثم انك بهذا الاعتراض تضيع وقتى ، فاما أن تدفع التذكرة بالكامل والا .

**الراكب : والا ماذا ..**

## الكمسارى : والا فلنذهب الى قسم الشرطة ..

وتحمس الراكبان واتجها مع الكمسارى الى قسم الشرطة .. ومن سوء حظهما أن السلطات المسئولة كانت تجرى عملية قبض واعتقال على أعضاء هيئة دينية — قيل وقتها انها خطر على الأمن — وتاه الراكبان فى زحمة ذلك اليوم . ثم ازداد حظهما سوءا عندما صدرت التعليمات بترحيل أعضاء الجماعة الدينية الى معتقل الوادى الجديد .. فاذا بهما يساقان مع الجميع ولم تنفع صرخاتهما من انهما « بتوع الأنوبيس » .. وانهالت الضربات عليهما لأنهما يصران على انهما ليسا من الجماعة الدينية وأنهما « بتوع الأتوبيس » .

وشحن الراكبان .. مع المجموعات الهائلة من أعضاء الجماعة الدينية .. حيث عاشا فى المعتقل الجديد لا يعرفان مصيرهما ولا يعرف أولادهما « أين ذهبا » أو ما هو مصيرهما .

ومر عام ..

ومر عام آخر .. وآخر وصرخاتهما لا تجد من يستمع اليها .. وكلما قالا « احنا بتوع الأتوبيس » انهال الحرس عليهما ضربا، وكان الرد الوحيد «بتوع الأتوبيس يا ولاد ..» واستسلم الراكبان لقدرهما رغم مرور العام بعد الآخر بلا أمل فى الخروج من المعتقل ، لم تكن هناك — وسيلة — للاتصال بمن يدافع عنهما أو يخرجهما من المعتقل .

**طالب يقاطع : واين كانت الصحافة ؟**

**الضيف : « ناظرا لأستاذة »** الا يعرف أين كانت الصحافة .. ؟ كانت فى اجازة اجبارية — تماما مثل القانون — كان الصحفيون يستمعون الى هذه الصرخات فيتظاهر البعض

بأنه لا يسمعها . . ويسد البعض الآخر أذنيه وينصرف الى  
تحصيل لقمة العيش . وآخرون نبغوا في الدعاية فحولوا  
مثل هذه المسآسى الى قصص يتسلون بها في مجالسهم ،  
مجالس « مراكز القوى » لقد كان البعض من أعضاء  
هذه المجالس يعقد جلسات ليلية للاستمتاع ( وكرر  
للاستمتاع ) بسماع هذه القصص ، كما لو كانت من قصص  
ألف ليلة وليلة . . بدأت . . واستمرت ولم تنته . . حتى  
أسدل عليها الستار في ١٥ مايو .

**طالبة :** ولكن السؤال الهام الذى نطرحه دائما . . وهل انتهى  
ذلك كله ؟

**الضيف :** ربما . . وان كنت فعلا أود أن أقول أن هناك بوادر كثيرة  
تدل على ذلك ، وليس أدل على صحة كلامى مما نشر  
أخيرا في « أخبار اليوم » في صورة رسالة من سجين هو  
الوزير السابق شمس الدين بدران يدافع فيها عن نفسه  
بسبب نشر وقائع منسوبة اليه ، وهذه دلالة صحية على  
أننا على الطريق السليم .

**الطالب :** هل نعود الى قصة « بتسوع الانوبيس » ماذا كان  
مصيرهما ؟

**الضيف :** ( ضاحكا ) صحيح . . كدنا ننسى . ان الذى حدث بعد ذلك  
أى بعد سنوات — أن السلطات الحاكمة بدأت تفرج عن  
أعضاء الجماعة الدينية . . وكان الافراج يتم على دفعات ،  
وبناء على اشارات تليفونية ترد من القاهرة ، واستغرقت  
عملية الافراج فترة طويلة الى أن « صصف » المعتقل  
على الاثنين بطلى قصتنا .

ونظر قائد المعتقل اليهما وتساءل « من أنتما ؟ »

وصمت المعتقلان ، لانهما خافا من تكرار ما كان سببها في ضربيهما .. واتصل قائد المعتقل بالقاهرة وتسائل لماذا لم يصدر قرار الافراج عنهما .. وأجابت القاهرة بأن الكشف الذى لديها قد انتهى . وانها لا تعرف عنهما شيئا .

ولم يجد قائد المعتقل الا أن يأخذهما معه ويذهب الى القاهرة .. وأمام الضابط المختص سألهما : ايه حكايتكم مين أنتم ؟ ونظر أحدهما للآخر .. وتشجع أحدهما وقال « ما قلنا لكم .. دا احنا بتوع الاتوبيس » .

وعاد الرجلان الى منزليهما بعد سنوات طويلة من الغياب .. ولكنهما فى هذه المرة لم يركبا الاتوبيس ..

**طالبة : هذا لا يصدق ؟**

**الضيف :** ان هذه واقعة من عدة وقائع .. ولو شئتم ان تسمعوا الى « حكايات » أخرى تقطع القلوب فأننا على استعداد لأن نمضى معكم الى مطلع الفجر .

**طالبة :** وما الفائدة من الاستماع الى ذلك كله . ما دامت تروى على الألسنة ، ولا تسجل فى محاضر ..

**الأستاذ :** أى محضر تقصدين ؟

**طالبة :** محاضر المحاكم .. انه لا سبيل الى تحقيق عدالة كاملة ما لم يتحقق انزال العقاب بكل من ارتكب اثما فى حق مواطن .. مهما كان هذا المواطن .. اننا نطالب بمحاكمات علنية يقال فيها كل شيء .. ويكشف فيها الستار عن كل شيء .. اننا لا نقبل أقل من ذلك .. ردا لكرامة الذين أساء اليهم .. مجرد انهم « بشر » .

**الأستاذ :** هذا كلام سليم . وأسلم منه أن نفكر كيف نسمى الى تحقيق هذه المحاكمات . . كيف نحقق تحركا شسعبيا يفتح الباب لتقول العدالة كلمتها . . وتعيد للانسان الذى هذب وأهين . . بعض حقه . . وبعض طمأنينته وإذا كان الوقت لا يسمح الآن بأن نطرح أفكارا معينة فلننتقل الى قصة أخرى .

**طالب :** لست أوافق على الانتقال الى قصة أخرى . . بل انى أود التدخل مدافعا من كل هذه التصرفات .

**الأستاذ :** هذا من حقل الكامل ، والا كنا فى وضع تناقض مفضوح .

**الطالب :** ان كل ثورة تحتاج دائما الى دفاع عن نفسها وعن مبادئها . وفى سبيل ذلك يجب ألا تتوقف عن متابعة أعداء الثورة ، وهؤلاء يمكن أن يكونوا من الاقطاعيين القدامى الذين قامت الثورة للقضاء عليهم ، أو يمكن أن يكونوا من أدوات الاستعمار الذين يحاولون إثارة المتاعب فى وجه النظام ، وقد يكونون من أعداء الاشتراكية التى اتجهت اليها الدولة كنظام أساسى لا بديل عنه . . ان التاريخ عندما يتطلع الى دولة ما من أعلى لا يركز كثيرا على وقائع التعذيب والحريات بقدر ما يركز أولا على ما تحقق من نواحي الإصلاح العام .

**الأستاذ :** هذا كلام سليم ومنطقي ، ونحن فى حوارنا انما نتجسه هذا الاتجاه ، ولابد أن نصل فى النهاية الى تقسيم عام ونقارن مقارنة عادلة ، وإذا كنا قد بدأنا بكرامة الفرد وحرية الرأى فما ذلك الا لأنها عاملان من أهم عوامل تقييم المجتمع ككل ، وكل ثورة فى بدايتها — وما دامت مؤيدة من الشعب — انما تندفع فى اتجاهاتها وبكل الوسائل بشرط أن يكون ذلك لفترة محدودة . . تبدأ بعدها فى تعديل مسارها والعودة الى الحياة الطبيعية خطوة خطوة وقد حددت الثورة أهدافها فى ست نقاط أساسية رتبها بالترتيب التالى : القضاء على الاستعمار وأعوانه ، القضاء

على الاقطاع . القضاء على الاحتكار وسيطرة رأس المال  
على الحكم . اقامة عدالة اجتماعية . اقامة جيش وطنى .  
اقامة حياة ديمقراطية سليمة .

وواقع المجتمع المصرى ، قبل الثورة ، يقول أنه كان مليئا  
بالأخطاء ولكن تاريخ هذه الفترة يؤكد أيضا أن محاربة  
الاستعمار كانت قائمة ومستمرة وتحتاج الى مزيد من  
الجهد . ومع هذا فان تحركات الثورة ، غير المدروسة ،  
قد أدخلها فى مغامرات ، أبدلت الاستعمار البريطانى  
باستعمار اسرائيلى .

كذلك كان الاقطاع شرسا فى ثرائه ، وسيطرته ، ولكنه  
بالقطع كان يقاوم بصورة مستمرة ، وكانت الصحف  
لا تتوقف عن متابعة وفضح تأثيره على الفرد ، بل ان  
محاضر مجلس الشيوخ زاخرة بالحديث عن الاشتراكية  
وتحديد الملكية الزراعية . . قد يقال ان الصوت الذى  
نادى بهذا كله كان خافتا ، ولكن البذرة كانت موجودة  
وكان نموها بطيئا ولم يكن مطلوبا من الثورة الا أن تمضى  
فى تحقيقها على أسس مدروسة بلا تخبط أدى فى النهاية  
الى أن تكونت طبقة اقطاعية جديدة تملك الثروات الطائلة ،  
مما أعاد المجتمع الى صورته القديمة وجعل الناس  
يتساءلون من أين لهم هذا ؟ . . ولهذا كان لابد من تحرك  
جديد للقضاء على الاقطاع الجديد .

ثم ان عمليات التأميم التى بدأت فى صيف عام ١٩٦١  
كانت الخطوة الأولى للقضاء على الاحتكار وسيطرة  
رأس المال على الحكم ، ولكن مرة أخرى نرى أن هذه  
الخطوة كانت أيضا غير مدروسة ولم يخطط لها التخطيط  
العلمى السليم . وفى نفس الوقت اتجهت الدولة بكلياتها  
الى مغامرات خارجية — قد تكون فى بعضها مدفوعة بدوافع  
قومية عربية — ولكنها ابتلعت كل ما استولت عليه من  
أموال التأميم وحولنا الى دولة غارقة فى الديون الخارجية  
بحيث اضطرت الحكومات المتتالية الى أهمال كل المرافق

العامّة وغيرها من المشروعات الأساسيّة ، صحيح أن هذه الخطوات أدت إلى القضاء على الاحتكار ، الذي كان قائما قبل الثورة . . ولكنها حولته إلى احتكار من نوع آخر . احتكار فرد في أموال الدولة كلها يوجهها سبلا رقيباً لتنفيذ مغامرات لم تنجح .

أما عن إقامة عدالة اجتماعية . فلست أظن أنه كان مقصود منها العدالة التي تحقق المساواة في الفقر والحاجة بل كان هدفها الأساسي أن توقف الانطلاق في الثراء المقصور على قلة ، وأن تحدد الدخول مقابل أن ترفع من مستوى الطبقات المحتاجة بحيث يحس كل فرد أن هناك تغيراً في حياته ومستواه . ولست أنكر أن محاولات ما بذلت لتوفير الدواء وتوسيع مجانية التعليم وتوزيع الأراضي الزراعية وكل هذه المحاولات امتزجت بعوامل معينة أثرت على فاعليتها ، أولها وأهمها عامل الارتجال وعدم التخطيط . وثانيها عامل العنف في التطبيق ومفاجأة الناس بإجراءات غير مدروسة مما أغرقه في تشريعات سمحت لذوى النفوس الضعيفة من استغلال الدواء والعلاج والتعليم . والجمعيات التعاونية لفتح أبواب الرشوة والفساد على مضاريعها بحيث أصبح الفرد يتساءل : أهذا هو نعيم الاشتراكية التي وعدنا بها ؟ بينما الاشتراكية الأصلية بريئة من هذا كله . لقد كانت الاشتراكية — وما زالت — هي العلاج الوحيد للمجتمع المصري . . ولكن بشرط أن تطبق بلا هدم للعدالة الاجتماعيّة . وبلا انطلاق لطبقة محدّدة كي تثرى ويطلق عليها اسم طبقة الاشتراكيين الأثرياء .

ولا أريد أن أتكلّم كثيراً عن الهدف الخامس للثورة وهو إقامة جيش وطني قومي ، فإن الحروب التي خاضها جيش ما قبل أكتوبر ١٩٧٣ ، توضح — بلا حاجة إلى تقديم دليل — أن هذا الجيش الذي وعدت به الثورة لم يكن هو الجيش الوطني القوي .

ويبقى بعد ذلك الهدف الأخير . إقامة حياة ديمقراطية سليمة . والرد على هذا موجود بينكم . وفي صحف الحائط .

وفي هتافاتكم . وفي مظاهراتكم . وفي التجارب الديمقراطية التي أثبتت ان الفرد الحاكم كان قد وصل الى مرتبة الايمان بأن هذه الحياة الديمقراطية لا تصلح له . ولا تحقق أهدافه .

**الطالب :** ولكنك تنسى في هذا كله أمورا هامة . أولها اليقظة العربية في المنطقة . السد العالي . القطاع العام وأثره على مقاسومة التحديات .

**الأستاذ :** أنا لا أنسى ذلك أبدا . بل اعترف بها وأن كان اعترافي متحفظا ، فكل ذلك كان يمكن تشكيله والاتجاه به الى أهدافه ولكن من قاعدة قومية . فلم يكن في استطاعتي على الاطلاق تغيير الكيان العام كله في يوم وليلة . ولم يكن بمقدوري — كدولة نامية — تريد أن تبني نفسها من جديد ، أن أحارب في أكثر من جبهة ، وأن أقاوم العالم كله . ان أخاصم النظم العربية كلها متخلفة وغير متخلفة ، ان أدخل الحرب تلو الحرب وأن أوزع جيوشي شرقا وغربا .. وان ..

**الطالب :** ( مقاطعا ) — معنى هذا انك كنت تريد أن تتوقف الثورة ..

**الأستاذ :** لا . بل كنت أريد أن أقيم أولا قاعدة داخلية قوية غير منخلفة قادرة علي الصمود في وجه التحديات ، كان لابد من أن تكون جبهتي الداخلية نموذجا يحتذى في اشتراكيتها . في عدالتها الاجتماعية . في متانة اقتصادها القومي . في كرامة فزدها . في قوة صحافتها . في قوة نظامها الديمقراطي في خلو أراضيها من المستعمر الكبير فما بالك بالمستعمر الصغير « إسرائيل » .

ثم ألم تكن مصر في وقت ما أغنى دول المنطقة وأكثرها احتراما .. فما الذي أدى الى أن تصبح أفقر دول المنطقة ، كما قال رجل الثورة أنور السادات في صيف ١٩٧٥ .



من هذه الزوايا .. يحكم التاريخ على فاعلية النظام .  
ومكانه صانعه وانجازاته الايجابية . ولسنا ننكر انه كانت  
هناك محاولات ، وكانت هناك نوايا . ولكن هل كانت  
المحاولات مدروسة أم بدائية لا تستند الى تفكير علمي  
سليم ؟ واذا كان التخطيط لهذه المحاولات الاصلاحية قد  
انطلق من نقطة لا علمية فما هو السبب ، واين كانت العقول  
المفكره ؟ ثم أى النوايا كانت الصادقة .. نوايا الاصلاح  
الداخلي .. أم نوايا اقامة امبراطورية دون أن تتسافر  
عناصر اقامتها .. ؟ وهل نحن الان في عصر تكوين  
الامبراطوريات أم التخلي منها ؟ ثم .. لو أن الانجازات  
التي حققها النظام كانت ملموسة وناطقة وقائمة مثلاً ،  
هل كان الأمر يحتاج من رجل الثورة أنور السادات الى  
أن يقترح تكوين لجنة تقوم باجراء عملية تقييم لكل هذه  
الانجازات .. أليس وجود هذه اللجنة وقيامها يعنى أن  
الأمر موضع خلاف مستحکم ويحتاج الى تحقيق ودراسة .

**طالب :** ان الأمر ما زال في حاجة الى مزيد من الكلام ومزيد من  
الشرح .. واذا كنا قد خرجنا عن مسار حوارنا ..  
فانى أقترح العودة الى وصل ما انقطع . على أن نتناول  
كل النقاط التي أثرت في خلال رحلتنا الى الحقيقة ..

**أحد الضيوف :** انا أوافق على هذا الرأي .. لأنى لاحظت أن كلام  
الأسناد قد تعرض لأمر أساسي وهو التخطيط . ولو أن  
كل محاولة كانت مدروسة . أو كل النوايا الصادقة قد  
انقن التخطيط لها . وطرحت أمورها على بساط البحث  
العلني بحيث تتاح الفرص لكل العقول المفكرة المساهمة  
في تقديم الفكرة أو الرأي ، لما انتهت هذه المحاولات  
الى ما انتهت اليه . وهذا بالقطع يرجع الى فساد في  
اتجاه النظام .. وفي رأيي أنه يرجع بالدرجة الأولى الى  
انعدام وجود الفرد في المجتمع .

**طالبة :** ولكن هل كان التعذيب والإرهاب الذي كانت تقوم به أجهزة  
المخابرات هو السبب الوحيد وراء اختفاء الفرد ؟

**الضيف :** لا .. بل كان هناك سلاح آخر كان أشد ايلاما وقسوة على المواطنين وهو سلاح الحراسة . فقد كانت تقضى بأن يوضع الشخص وكل ما يملك تحت سيطرتها . فتجمد أمواله . وتصادر كل ما يملك ثم يصرف له مرتب بسيط يعيش منه هو وأولاده ..

**طالب :** ولكن هذه الحراسة كانت ضرورية لحماية الثروة من سيطرة رأس المال على الحكم . فلم يكن معقولا أن يترك قلة من أصحاب الثروات يستعملونها لاثارة الفتن في طريق النظام القائم .

**الضيف :** ولو انى ضد كل اجراء يمس حرية الفرد . الا انى لن أناقش حق الثورة في أن تستولى على الفائض من الأموال وأن تفرض نفسها حارسة على الأثرياء ، فتحرم الكثيرين من الأبرياء من حقهم في مال جمعوه بنزاهتهم ويعرقهم والأمثلة على ذلك كثيرة ، ولا يرجع ترددى في مناقشة هذا الحق الى الموافقة عليه فربما كانت هناك سبل أخرى لتأمين الثورة من سوء استعمال هذه الثروات ضدها ، ولكن لأنى لا أريد أن أخرج بالمناقشة أو أدخل بالحوار الى متاهات وخلافات في الراى ..

ولكن اذا كان المبدأ في الحراسة تأمين الثورة . فلماذا استعمل هذا السلاح ضد من لا ثروة لهم أو نفوذ ؟ لماذا استخدم للقتل البطيء ، أو كما نقول للقتل على البارد ، ولماذا تطور جهاز الحراسة ليصبح جهاز لاذلال أصحاب الراى ؟

**طالبة :** وهل من دليل على ذلك ؟

**الضيف :** من حسن الحظ أن لدينا مثلا مستكملا . بدأ بفرض الحراسة . ثم انتهى برأى قضائى عندما أعيد القانون من أجازته . واسمعوا القصة التالية :

قالت محكمة القضاء الإدارى بالأسكندرية فى حيثيات حكمها بتعويض الدكتور رشوان فهمى نقيب الأطباء الأسبق والاستاذ بكلية طب الأسكندرية « ان كلمة النقد التى تصدر من موقع المسئولية وبدافع الغيرة على صالح الوطن وتقدمه لا تكفى لأن تكون سببا قانونيا لفصل الأستاذ الجامعى من الخدمة بغير الطريق التأديبى » .

وكان الدكتور رشوان فهمى استاذ الرمد السابق ونقيب الأطباء قد فصل من منصبه الجامعى ، وفرضت عليه الحراسة دون أن تذاع الأسباب وقتذاك . . ثم صدر قرار فى يونيو ١٩٧١ أى بعد ثورة التصحيح فى ١٥ مايو من العام ذاته بتعيينه استاذاً غير متفرغ بقسم الرمد — لأنه كان قد بلغ سن الإحالة الى المعاش — وبإدار الدكتور رشوان فرفع قضية يطالب فيها بتعويض عن فصله . . وقد أصدرت محكمة القضاء الإدارى برئاسة المستشار عادل البندارى وعضوية المستشارين عزيز بشاى وعصام هلام وبحضور مفوض الدولة المستشار فوزى المنيلوى حكماً يقضى بإلغاء القرار الجمهورى الصادر بفصل الدكتور رشوان فهمى من خدمة الجامعة والزام الحكومة بأن تدفع له تعويضاً قدره ثمانية آلاف جنيه عن الأضرار التى لحقت به من جراء فصله بغير الطريق التأديبى على خلاف حكم القانون وفرض الحراسة عليه . وقد حضر النطق بالحكم حوالى ٣٠ من أعضاء هيئة التدريس بجامعة الاسكندرية ومجلس إدارة نادى الاسانذة . . وظهر أن وراء القرار الجمهورى بفصل الدكتور رشوان فهمى قصة :

ففى الأعوام السابقة لحركة التصحيح وقف الرئيس عبد الناصر يتكلم فى مؤتمر من المؤتمرات القومية فقال : لو أن شئون القصر العينى أديرت كما تدار شئون هيئة قناة السويس لأصبح لهذا المستشفى شأن كبير . وبلغ الأطباء هذا الكلام ، فلم يتكلموا ، ولو كانت هناك حسرية رأى لنوقش مناقشة علنية . وفى مناسبة حفل عشاء أقيم بنادى الجزيرة الرياضى بالقاهرة — عقب هذا المؤتمر —

تكلم الدكتور رشوان فهمى بصفته نقيباً للأطباء فقال فى كلمته : لو أنه توافر لمستشفى القصر العينى الامكانيات التى توافرت لهيئة قناة السويس ، لأصبح لهذا المستشفى شأن كبير ..

وأعتبر الرئيس عبد الناصر هذا الكلام الصادر من نقيب الأطباء تعريضاً بما جاء فى خطابه أمام المؤتمر القومى ، فبادر فوراً وبلا ابطاء وأصدر قراراً جمهورياً بفصل الدكتور رشوان فهمى من منصبه كأستاذ للرمذ بكلية طب جامعة الاسكندرية ، كما أصدر قراراً آخر بفرض الحراسة عليه .

وسكتت الجامعات ولم تحرك ساكناً أمام هذا الرأى ، وعندما ذهب مندوب الحراسة الى سكن الدكتور رشوان فهمى بالاسكندرية ،لقى نظرة على محتويات الشقة ، ثم سأله : هل هذا كل شئ ؟ وأجاب الدكتور رشوان ان بعضه لا أملكه ، أما عن حسابى بالبنك .. « فقاطعه مندوب الحراسة وقال « لقد كشفت عن هذا الحساب ووجدته مديناً » .. ثم سأله المندوب لماذا فرضوا عليك الحراسة اذن ؟ »

وضحك الدكتور رشوان وقال « اسأل الذى أصدر القرار ولا تسألنى أنا » . ومما يجدر ذكره أنه حدث خلال الحفل الذى أقيم بنادى الجزيرة الرياضى ، وعقب ما قاله الدكتور رشوان — مما كان سبباً فى فصله — أن بادر عدد كبير من المسئولين فتسللوا من الحفل هاربين ، حتى لا يقال أنهم شركاء فى التصفيق الذى قوبلت به كلمة الدكتور رشوان .

وقد كان المسئولون الهاربون على حق فى تخوفهم ، لأن أحد أساتذة كلية طب القاهرة وهو الدكتور عثمان وهبى تحمس لكلمة الدكتور رشوان أكثر من غيره ، فكان نصيبه كذلك الفصل والوضع تحت الحراسة مع أسرته المؤلفنة

من زوجته وأولاده الصغار . . ومرت الأيام وواجه الدكتور رشوان وضعه الجديد بشجاعة ثم حاول بعض الأطباء من زملائه أن يتوسطوا له — دون علمه — فقبل لهم أنه لا مانع من أن يصرف مرتب الدكتور رشوان فهمي ، لكن على ألا يعود إلى تولى وظيفته كأستاذ بكلية الطب .

وظن زملاء الدكتور رشوان أنهم حققوا نصرا كبيرا . . فأسرعوا لإبلاغه الخبر ، واستمع منهم إلى القصة وهو صامت ولما انتهوا سألهم « هل طلبت منكم أن تتوسطوا » وأجابوا : لا . . لم تفعل .

وقال د. رشوان : اذن كيف سمحتم لأنفسكم بذلك وانتم تعلمون اني لن أغير موقفي ، اني أرفض المرتب وأرفض الوساطة .

ولم ينفع الاحاح ولم ينفع الرجاء وظل الدكتور رشوان متمسكا بموقفه ، حتى قامت حركة التصحيح وفتحت أمامه ابواب القضاء فقال كلمته وسجل حق كل فرد في أن ينتقد ، ما دام هذا النقد بدافع الغيرة على صالح الوطن . رحم الله الدكتور رشوان . فقد مات بعد أن واجه كل المواقف بشجاعة .

هذه وقائع كاملة تسمعونها لأول مرة عن قصة أستاذ شجاع . أستاذ لم يتهرب من مواجهة المسئولية وتحمل تبعاتها . . بل أن شجاعته ترجع إلى أول أيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ عندما رأى أنه لابد من تأييد هذه الحركة فبادر إلى إرسال برقية تأييد باسم اساتذة الجامعة قبل تكشف النتائج . لم يكن يعنيه أن يؤيد ( الحاكم ) بقدر ما كان يعنيه أن يؤيد ( الفكرة والهدف ) . ولهذا الموقف الشجاع اخنارت الثورة جامعة الإسكندرية مكانا لاحتفالات المدينة بأعياد الثورة . . ومع هذا كان مصير الرجل الذي قاد هذه الحركة الجامعية أن شرد وفرضت عليه الحراسة لجسد أنه أبدى بعض ملاحظات .

وهذه القصة هي واحدة من القصص الشجاعة النادرة

التي سجلت في تاريخ جامعاتنا ، ولعلها نكون — وبهذه النتائج التي حققها حكم محكمة القضاء الإداري — فأنحة الطريق الى تجمع القوى الجامعية ، وادراكها ان كرامة الأستاذ الجامعي هي في أن يقول الحق ، وأن يلزم نفسه بالدفاع عن كل ما يؤمن به .

لقد قدم رشوان فهمي المثل وأصبح حتما على الجامعيين أن يقتدوا بالمثل .

**الأستاذ :** ( مبدخلا في الأمر ) ان هذه الواقعة ليست الوحيدة في دنيا الحراسيات الظالمة ، ولكن الباقي منها وهو كثير يكاد ينشأ به . والذي أحب أن أركز عليه هو ان المرحوم رشوان فهمي لم يكن عدوا للثورة ، بل كان منطلقا مع الثورة من بدايتها . ولم يكن غنيا ليقال انه عادي الثورة لأنها أخذت ثروته ، ولم يكن من أصحاب الاقطاع حتى يقال انه غاضب لأن أرضه قد ضاعت منه . كل ذنب رشوان فهمي انه كان يأمل الكثير من الثورة ، فأيدها من اللحظة الأولى ، ولما ضاع أمله بدأ يستخدم حقه للمساهمة في تصحيح مسار الثورة . . واختار طريق المكاشفة والنقد . والمواجهة . . فكان جزاؤه العقاب . .

**طالب :** انت ترى أن نوقف عند هذا الحد . وكما تعودت فأنى أصرحك القول بأنى « منردد » في التسليم بما نقول . . وأحب أن أستجمع طاقتي للعودة الى المناقشة فهل نترك ذلك الى حوار آخر . . وليكن غدا ؟

\* \* \*

## الحوار الثامن حوار حول الحراسات

كان الأستاذ يتوقع أن يركز الطلبة حوارهم حول الحكم في القضية التي رفعها الدكتور رشوان فهمي تقييب الأطباء الأسبق وأستاذ الرمد بكلية طب الاسكندرية سابقا — والتي طالب فيها بتعويض عن الأضرار التي أصابته نتيجة لفصله من منصبه .

وكان توقع الأستاذ في محله ، فقد كان الطلبة حيارى أمام هذه الأوضاع الشاذة التي كشف عنها القضاء بحكمة العادل ، وسجل فيه أن حق الأستاذ الجامعي في ممارسة حق النقد ما دام ينبع من موقع المسؤولية — يجب ألا يمس ، وفي نفس الوقت كان الطلبة لا يفهمون ما هي هذه الحراسات التي كانت تفرض على «خلق الله» الذين لا يملكون ما تفرض عليه الحراسات .

**الطالب :** ( المتردد الذي عايش في جو الأنغام والشعارات والأناشيد التي تتفنى بالانتصارات والحريات والأمانى الكبيرة ) .  
ان قصة الدكتور رشوان فهمي تثير تساؤلات كثيرة ، وأنا لا أريد أن أطرح مبدأ النقد وحرية النقد الى آخر ما تعرضت له في أكثر من حوار ولكني أريد أن أسأل سؤالاً عاماً : ما هي هذه « الحراسات » . . صحيح أنك أشرت إليها إشارة عابرة ولكنني أطلب المزيد من الشرح .

**الأستاذ :** هذه الحراسات سمعت بها أول مرة خلال الحرب العالمية الثانية . فعندما قطعت مصر علاقاتها مع دولتي المحور — ألمانيا وإيطاليا — وضعت أموال رعايا الدولتين تحت الحراسة . وكان معناها أنه لا يجوز لهؤلاء الرعايا التصرف في أموالهم ، وذلك على أساس اتخاذ الاحتياطات الضرورية لحماية أمن الدولة الداخلي . ومع هذا وعندما انتهت الحرب

العالمية الثانية أعاد الحراس الأموال الى أصحابها . فقد انتهت مهمتهم . وانتهت فترة الطوارئ .

**الطالب :** ولكن ما هي الحكمة في تطبيقها على « المصريين » ؟ وهل أعيدت لهم أموالهم أخيرا ؟

**الأستاذ :** هذا هو السؤال الذي قد نختلف في الإجابة عليه . فقد أرادت السلطات الحاكمة أن تفرض هذا المبدأ ونطبقه على أفراد من الشعب المصري على أساس أنهم — بأموالهم — خطر على أمن الدولة الداخلي .

**طالبة :** وكيف يكون ذلك ؟

**الأستاذ :** لقد ظنت السلطات الحاكمة أن هذه الأموال التي يملكها الناس يمكن استخدامها في تدبير مؤامرات ضد الدولة ولهذا كان يجب — في رأيها — أن تؤخذ منهم . ومع هذا فقد سلبت هذه الأموال سلبا حتى أنه منذ رفعت الحراسات . ظهرت المآسى ، واتضح أن الكثيرين من المحروسين تحولوا الى مدينين . . كيف لست أدري .

**الطالب :** ( متسائلا ) وهل فرضت الحراسات من غير أن يثبت أن هؤلاء يستخدمون أموالهم ضد الدولة ؟

**الأستاذ :** أجل ، والدليل على ذلك أن بين الذين فرضت عليهم الحراسات — وهذا ثابت في الأوراق الرسمية — بعض الصغار حديثي الولادة .

**الطالب :** هذا غير معقول ؟

**الأستاذ :** بل هو ثابت كما قلت لك ، والسبب في ذلك الخوف من أن يكون رب الأسرة — التي فرضت عليها الحراسة — قد كذب مالا بأسماء هؤلاء الصغار .



**طالبة :** اذن . . كانت الفكرة في فرض الحراسة هي « التشفى »  
لا حماية أمن الدولة .

**الأستاذ :** هذا صحيح في حالات كثيرة . ومنها حالة الكنور رشوان  
فهى . فهو لم يكن يملك شيئاً ، بل هناك افراد فرضت  
عليهم الحراسة لأنهم « يكتسبون » مالا حلالا ، ويؤدون  
لأمتهم خدمات كبرى ، ومنهم على سبيل المثال رجل عصامى  
اسمه « إحيى الطويل » من دمياط . فان هذا الرجل بنى  
نفسه بنفسه . وكان كريما اذا أعطاه الله قرشين . وهب  
نصفهما للفقراء المحتاجين من أهله وغير أهله . وفتح الله  
عليه أبواب الرزق ، وكان اذا وضع فكره وجهده في مشروع  
صناعى ما — ولو كان فاشلا — عادت اليه الحياة . . وتدفق  
عليه الرزق من جديد . . وكان يباشر عمله لخدمة بلده .  
ولم يكن يهتم من يحكم مصر أو ما هى سياسة مصر ، كان  
يريد أن يخدم بلاده بصرف النظر عن أى اعتبار .

#### وجاءت الحراسات :

ووجد الرجل نفسه ، وأسرته وأولاده ، وكل من لهم  
صلة به تحت الحراسة . . ثم وجد نفسه يذهب أول كل  
شهر الى الحراسة « ليقبض مرتبا » لا يكفى لطعامه . .  
وكانت نظرات الرجل الحائرة تكشف عن مأساة . لم تنته  
الا عندما مات . . ولا أريد أن أزيد من آلامكم بأن أقص عليكم  
كيف كانت حالة هذا العصامى في أيامه الأخيرة . . تلك  
مأساة .

**طالبة :** ولماذا لم يقدم بشكوى الى جهة ما ؟

**الأستاذ :** اذا حددت لى « جهة ما » كان في مقدوره أن يشكو اليها  
فلك منى جائزة كبرى : لقد كانت كل الأبواب مغلقة ،  
حتى القضاء أقفلوا عليه الأبواب ، على أساس أن كل  
قرار من فوق ، لا يجب أن يطعن فيه . . ولهذا شرد  
الناس . . وخربت ببوتهم .

**الطالب :** وهل من حالات أخرى ؟

**الأستاذ :** ان القائمة طويلة . والحكايات مشابهة . وان كانت هناك حالات خاصة ، هي أن شقيقا لأحد المسئولين يقدم لخطبة فتاة من أسرة في الأسكندرية ، فرفضت الفتاة هذا العرض . وكان من السلطات المسئولة ان فرضت الحراسة على الأسرة بأكملها .

**طالبة :** مش ممكن . . هذا محال ؟ .

**الأستاذ :** لم يكن هناك محال . . لقد كان الهدف من كل هذه الاجراءات حماية النظام القائم . .

**طالبة :** ( مقاطعة ) ولكن النظام الذى يلجأ الى هذه الاجراءات لا يمكن ان يكون نظاما قويا . ؟

**الأستاذ :** انه الخوف . . او لعله الحقد . الحقد على الذين يملكون مالا حلالا . او لعله الرغبة فى السيطرة على « لقمة العيش » وان يصبح حق الحصول على هذه اللقمة محصورا فى ايد قليلة . . ان « لثمتها » فى الصباح أغدقت عليك النعم . وأن رفضت فمصيرك هو « الحارس » الذى تلثم يده أول كل شهر .

**طالبة :** ولكن من هو صاحب « الفكرة » المرعبة . ؟

**الأستاذ :** ليس من الضرورى — فى هذا المجال — ان نحدد من هو المسئول ، فان المسئولية كبيرة ومتشعبة . . وليس من الضرورى التسرع فى تجميع هذه المسئوليات كلها بفسير اعداد « لعملية حساب كبرى » المهم ان هذه الحراسات قد رفعت أخيرا ، وعادت الطمأنينة الى القلوب . ولعل من أهم ما يجب أن ندخله فى اعتبارنا الآن هو أن نفكر فى الحيلولة دون الوقوع فى هذه النكبات مستقبلا وهذا

يتطلب دراسات أخرى ، وجلسات أخرى . . أفلا نؤجل ذلك الى حوار آخر ؟ .

**طالبة :** بل أرى أن نمضي في هذا الحوار ، فان الأمر يحتاج الى مزيد من الشرح ، ومزيد من التحليل ، ولست أعنى شرح حالات الحراسة أو الاستماع الى مزيد من القصص ، بل اننا نريد التركيز في تحليلنا على العقليات التي فكرت ، ودبرت ، ونفذت هذه التدابير القاسية المؤلمة ، فليس من المعقول أن يسند الحكم الى أصحاب قلوب خلت من الرحمة قلوب متحجرة . لاهم لها الا أن تقول لناس أن لقمة عيشكم في يدي فأما أن تقبلوا أمري أو أن تجوعوا . ان الله لايرضى بذلك ؟ .

**الأستاذ :** وهو لم يرض فعلا . . ولو أنك تطلعت الى ما حولك لأدركت أن غضب الله كان واضحا . . ولقد أصبح أصحاب القلوب المتحجرة في خبر كان . . ولعلك بعد ذلك توافقين على أن الكلام عن أصحاب هذه القلوب يحتاج الى معالجة موضوع آخر .



## الحوار التاسع

### الكرامة المصرية .. العائدة ..!

وكان الأستاذ ينوى في هذا اليوم أن يحول زاوية الحوار ١٨٠ درجة . وأن يتجه به عكس اتجاهه القديم ، وأن يدعو طلبته الى أن يعيشوا معه ذكريات السنوات الأولى للثورة .

وكما كان رشوان فهمى متحمسا لفكرة الثورة من بدايتها ، كذلك كان الأستاذ أحد الصحفيين الذين لعبوا دورا في تأييد الثورة بلا حساب . . وأحيانا بلا تفكير واع . فقد كان مؤمنا بأنه لابد من ثورة تغير الأوضاع الداخلية الى أحسن . وهو يؤمن أيضا بأنه لا قيمة للفرد اذا تناقض مع نفسه أو ظهر أمام الناس بأكثر من صورة . صحيح أن الجمود في التفكير لا يفيد ، بل لابد للإنسان من أن يطور نفسه مع الأحداث ، ولكن الأصح من هذا هو أن هنالك مبادئ معينة لا يقبل فيها التغيير أو التبديل مهما تكن الظروف ، وأهمها جميعا الالتزام بالنزاهة والكرامة والشرف ، لا بالنسبة لنفسه بل بالنسبة للناس الذين يتعامل معهم . والصحفي يتعامل مع جموع الجماهير فهو اذن مرتبط أمامهم بهذا الجانب من المبادئ وكل تناقض أو تصرف مخالف لها يعنى الكثير بالنسبة له ولمركزه .

وهو لهذه الأسباب ، وللرغبة في أن يشرح لطلبته موقفه بالنسبة للثورة وبالنسبة لجمال عبد الناصر بالذات فقد حرص أحد طلبته أن ينبش هذا الجزء الأخير من الماضي ، وأن يفتح به هذا الحوار .

وبدا الطالب سؤاله بقوله :

لقد تكلمت معنا كثيرا عن أخطاء عيد الناصر ونظامه . . أفلا تعتبر نفسك جزءا من هذا النظام خاصة أننا قرانا لك كلاما كثيرا في السنوات الأولى من الثورة .

**الأستاذ :** ( مبتسما ) ان الفترة التي تشير اليها هي فترة بالغة الأثر في مصير هذا النظام . ولا أنكر أنى كنت من أشد المؤيدين لجمال عبد الناصر والمعجيين به . فلم يبدأ اتصالي المباشر به الا في نهاية عام ١٩٥٤ ولعلكم تذكرون انه في أوائل عام ١٩٥٤ كان الصراع على أشده بين فريقين من ضباط الجيش بسبب الخلاف على علاقة النظام بالأحزاب السياسية القديمة ، وبخاصة الإخوان المسلمين ، وقامت دعوة للمطالبة بعودة الجيش الى الثكنات ، وانهاء الحكم العسكرى فورا . ولم تكن الثورة قد حققت شيئا من أهدافها بل كانت ضائعة في تيارات قوية أغلبها عسكرى . ولست أنكر أنى كنت أرى اعطاء الثورة فرصتها أو على الأقل — وهذا مسجل فيما كتبتة بالأخبار ، في مارس عام ١٩٥٤ — اعطاء الجيش فرصته كي يعود الى نكته معززا مكرما ، والا كنا ناكرين لجميل صنعه في أنه خلصنا من حكم الملك فاروق بل كنت أعارض بشدة في طعن الذين خرجوا في صباح ٢٣ يوليو ١٩٥٢ وهم لا يعرفون أيعودون الى ذويهم أم لا يعودون . وقد تعرضت من أجل هذا الراى الى هجوم شخصى شديد من جريدة المصرى التى كانت تنزعم الراى المعارض . . . وكانت الصحافة في تلك الفترة تتمتع بجانب من حريتها أو لعل أحداث هذه الفترة أو الفوضى التى سادت البلاد قد سمحت بهذه المناقشات والمحاولات المفيدة .

وانى لا أذكر جيدا أن صديقى الأستاذ محمد زكى عبد القادر — أحد رؤساء تحرير الأخبار — قد مر في تلك الليلة في صالة التحرير وعانبنى على موقفى ، وقال كلمة لا أنساها « ان النظام العسكرى واحد في كل الأزمنة . وهو يوم يمسك بزمام الحكم فلن بتركه أبدا » .

في تلك الفترة كان هناك خوف على حياة عبد الناصر حتى نصحه أخوانه بالاختفاء بعض الوقت فسافر الى الاسكندرية وظل في شقة ضابط زميل هو القائم مقام عبد الرؤوف نافع الى أن استقرت الأوضاع لفريقه . وأنا

هنا لا أريد الدخول في تفاصيل تاريخية هذا ليس مكانها .  
ولكن الذى أذكره ان جريدة الثورة الشابة — ولم يسكن  
عمرها قد تجاوز عاما — كانت تعاني من سوء في التحرير  
وهبوط فظيع في التوزيع الى الحد الذى حمل جمال  
عبد الناصر على أن يدعمها من أموال خاصة بالقنوات  
المسلحة . وجرى اتصال بينى وبين أنور السادات المشرف  
على الصحيفة وبين عدد من الصحفيين القداماء ، ومنهم  
محمد حسنين هيكل لانقاذها بتولى المشاركة في الاشراف  
التحريرى عليها ، ولكنهم جميعا رفضوا . . وقد بذلت  
آخر المحاولات معى فلم أردد في القبول لانى اعتبرت الطلب  
نكليفا يتحتم قبوله . . وما زلت أذكر ان كافة زملائي اعتبروا  
هذا العمل من جانبى انتحارا . بل جاءنى محمد حسنين  
هيكل بمكتبى بالاخبار وسألنى عما اذا كان ما قيل صحيحا ،  
فقلت له بلا تردد « ان رفضكم جميعا المشاركة في انقاذ  
جريدة الثورة يعد تهريا من المشاركة في المسئولية وهذا  
الى جانب ان ذلك يولد في نفوس قادة الثورة خاصة  
جمال عبد الناصر حقدا علينا جميعا . . » وابتسم هيكل  
اولم يرد . وتركنى وانصرف .

وفي صيف ١٩٥٤ كان اول لقاء طويل بين جمال  
عبد الناصر وبينى ا منذ الى ساعة متأخرة من الليل وكان  
ثالثنا هو الرئيس أنور السادات . وفي تلك الليلة نكلمنا في  
كل شيء . وكان همى الأكبر ان أتعرق في دراسة شخصية  
عبد الناصر . وأشهد انه شددنى الى جانبه بكلامه وآرائه  
واتجاهاته . ذلك لانى توقعت الكثير . كان متواضعا .  
وكان منزله يبدو بسيطا . وكان يجلس مرتديا بنطلون .  
« البيجامة » فقط . يتحدث في الصحافة ، وفي الاستعداد  
لافتتاح الجامعات ، واحتمالات تحركات للطلبة ، وفي  
مشروعاته الداخلية . . وخرجت في تلك الليلة مقننعا ، بآنى  
لم أخطئ في الاختيار . وآننى أستطيع ان أفعل الكثير مع  
هذا الرجل . وكثيرا ما كان يثور لخطأ يقع فيه أحد  
المحررين ، ويصل غضبه الى حد الأمر بفصله فوراً من  
عمله . ثم لا يلبث ان يعود بعد ساعة فيطلب في هدوء

الاكتفاء بلفت نظر المحرر الى عدم الرجوع الى هذا  
الخطأ : -

ووقع حادث محاولة الاعتداء عليه في ميدان المنشية  
بالاسكندرية في يوليو ١٩٥٤ فاهتز الشعب لهذا الحدث ،  
واهتزت كذلك شخصية جمال عبد الناصر لأنه لم يكن  
متوقعا أن يقابل صنيعه للشعب بهذا الجحود ، وهو الذي  
علم « الشعب العزة والكرامة » كما قال في كلماته  
القليلة الثائرة التي أطلقها من شرفة الاتحاد القومى بميدان  
المنشية . والواقع أن الشعب لم يكن في حاجة الى من  
يعلمه العزة والكرامة ولكنه كان في حاجة الى قيادة عاقلة  
تؤكد له عوامل العزة والكرامة .

**طالب :** وهل يمكن أن ننكر أن عبد الناصر هو أول من أعطى الشعب  
المصرى الاحساس بالكرامة ؟ .

**الأستاذ :** ان هذا التعبير الذى يتكرر على السنة الكثيرين على أنه  
من ايجابيات النظام يحتاج الى وقفة طويلة لأنه يعنى أن  
شعب مصر قد عاش بلا احساس بالكرامة . وأنا شخصا  
بصفتى مصرية عاش فترة من التاريخ السابق للثورة يدرك  
أن شعب مصر قد عاش بالكرامة وللكرامة والذين يقولون  
أن عبس الناصر قد أعطى الشعب الاحساس بالكرامة  
معذورون لأنهم ولدوا على أصوات تؤكد هذا وتمسح التاريخ  
المصرى كله ، وتحرم تعليمه في الكتب الا بالقدر الذى  
يسمح بتأكيد هذه الواقعة . كما أن بعض المخضرمين  
الذين ما زالوا يكررون هذا الكلام الآن ، يخافون أن يقولوا  
الحقيقة لأنهم يعتبرون أن الفترة الحالية امتداد لفترة  
عبد الناصر .

ومع هذا لا أريد أن افرض هذا الذى افرضه عليكم .  
بل ان دراسة التاريخ غير المزور هى التى تبين لكم الحقيقة  
هل كان الشعب المصرى على مدى تاريخه الطويل يحس  
بكرامته أم أنها « منحت » له بقيام ثورة ٢٣ يوليو .

انه لا يمكن ان احاسب زعيمنا على كلام صدر منه بعد  
ان تعرض لمحاولة اغتيال مدبرة . ومع هذا عندما تحدثت  
مع عبد الناصر في اليوم التالي سألت عما اذا كان صحيحا  
ان السفير المصرى فى واشنطن الدكتور أحمد حسين سبق  
ان أخطره بما عرفه — عن طريق الحكومة الأمريكية — من  
تدبير مؤامرة لاغتياله ؟ ولا أذكر ان عبد الناصر رد على هذا  
السؤال مباشرة ، فقد كانت له طريقة خاصة فى التهرب  
من الرد اذا لم يكن راغبا فى ذلك ، ومن المؤكد ان الحكومة  
الأمريكية كانت تعتبر جماعة الإخوان المسلمين من الهيئات  
غير المرغوب فيها ، بدليل ان محكمة الثورة حينما حكمت  
على رئيس الوزراء الأسبق إبراهيم عبد الهادى أخير  
رئيس للحزب السعدى بالاعدام أبلغت الحكومة الأمريكية  
سفارتنا فى واشنطن انها ترى انه لابد من تخفيف الحكم ،  
لانه ليس من المعقول ان يحكم بالاعدام على الرجل الذى  
واجه الإخوان المسلمين بشجاعة ، وقد قام الدكتور أحمد  
حسين بأبلاغ جمال عبد الناصر نص هذا الاحتجاج تليفونيا  
وفى اليوم التالى خفف مجلس الثورة الحكم ، وأبدله  
بالشغال الشاقة المؤبدة .

واذا كانت شخصية جمال عبد الناصر الوديعه قد  
تطورت بعد هذا الحادث . فأصبحت الخصومة بينه وبين  
الإخوان المسلمين بالغة القسوة . . فان أحدا لا يستطيع  
ان يوجه اليه لوما ، اذ كان يرى آماله فى تحقيق أهداف  
ثورته — وهى لم تكن قد تحددت بعد — تكاد تنهار .

وقد تفرغ جمال عبد الناصر لمتابعة التحقيق مع مدبرى  
محاولة الاغتيال ، ولعلنى لا أكون مخطئا اذا اعتبرت هذا  
الحادث بداية تكوين أجهزة مخبرات مختلفة تتولى عمليات  
استخلاص الاعترافات من المتهمين . فأنى أذكر انه طلب  
منى أن أبقي بمكتبى بجريدة الجمهورية فترات أطول من  
الليل ، لانه كان حريصا على أن يملأ على ما يبلغ اليه  
أولا بأول عن هذه الاعترافات لنشرها بالجمهورية ، وكثيرا  
ما كان يعطى سماعة التليفون لبعض الشخصيات البوليسية



التي كانت نرفع اليه تقارير كل يوم ، لاملأى بيانات أخرى  
وعندما بدأت المحاكمات كشف المتهمون عما تعرضوا له  
من وسائل التعذيب على يد هؤلاء السذجين كانوا يبلغون  
عبد الناصر بتفاصيل الاعترافات أولا بأول .

**طالب :** ولكن هل كان عبد الناصر يعلم الوسائل التي استخدمت مع  
المتهمين لاستخلاص هذه الاعترافات ؟

**الأستاذ :** لا أستطيع أن أجزم بذلك . بل سأفترض هنا أنه لم يكن  
يعلم ، أو أنه كان يعلم وفضل أن يسكت ، ولكي يكون  
حوارنا منصفاً أقول أن عبد الناصر تكلم عن هذه التساؤلات  
كلها في نوفمبر ١٩٦٨ أى بعد هزيمة ٥ يونيو بأكثر من سنة  
ونصف السنة . فقال فيما قال : « الانحرافات في جهاز  
المخابرات التي تكتشفت . . حصل أنه اكتشفت انحرافات  
في جهاز المخابرات ، وحينما اكتشفت ما سببهاش ، اللي  
اشتركوا في هذه الانحرافات اعتقلوا وتعرضوا للتحقيق  
وحيروحو للمحاكمة وحيروحو لإحكمة الثورة فيه ناس  
طبعاً بيلقوا لوم هذه الانحرافات على النظام . . أنا بسدى  
أقول أن الانحرافات بتحصل في كثير من أجزاء العالم . .  
المهم أن احنا نلحق نفسنا ونبتر هذه الانحرافات . .  
الانحرافات اللي حصلت في هذا الجهاز وعرفتوها أو يمكن  
سمعت عليها . . أكثرها انحرافات رخيصة . . ومثله  
المجال اللي أنا أتكلم فيه . حصلت في كثير من أجزاء العالم  
أمثلة متشابهة . . برضة جاءت لى جوابات . . ازاي أنت  
ما كنتش وازاي الرئيس ماكانش يعرف باللى جارى وبهذه  
الانحرافات . . أنا بأقول النهاردة فرصة أنى أنا أرد على  
هذه التساؤلات يمكن أنتم بينكم وبين بعض أثرتم هذه  
التساؤلات . . إذا كانت الانحرافات حصلت في المخابرات . .  
إذا كانت المخابرات هي المقروض أنها تقول على الانحرافات  
اللى بتحصل في البلد . . ماكانش ناقص إلا أنى أنا أهمل  
مخابرات على المخابرات . . وأعمل مخابرات على جهاز  
المخابرات وهكذا . . لا تنتهى . . يمكن أنا بأقول اللي  
حصل برضه كان نتيجة الاتجاه نحو مراكز القوة ، والاتجاه

نحسب خلق مجموعة تستطيع أنهما في المستقبل تحكم ،  
ونسيت نفسها . فأنحرفت وما وصلتش الى أهدافها التي  
هو الحكم ، وجدت أنه سهل الانحراف فأنحرفت .

أنا بأقول لكم بصراحة انى أنا كنت أرى بعض مظاهر  
الانحراف قبل ٥ يونيو ولكنى لم أتصور مداه حاولت بكل  
ما أستطيع ، نجحت أحيانا ، وأنا فعلا كنت أشفق على  
البلد من نكبات القوى ومراكز القوى . . وكان حديثى  
دائما أيام انتخابات الرئاسة وبعد كده وعندكم هنا ومرة  
جيت قلت لكم . . هل نعمل حزب أو حزبين أولا ، ووضعنا  
لكم مجموعة من الأسئلة وكان حديثى عن الديمقراطية  
والمزيد من الديمقراطية ، إلا أن ده كان السبيل الوحيد  
أن احنا نعطى على الانحرافات .

هو أنا من تجربتى الماضية الناس بتخاف من إثارة  
أى شىء أما فى مجلس الأمة وأما فى الصحف ، ولكن بعد  
كده ما بيهمهاش أن الشخص ينحرف والناس تتهمهم  
مبيهمش . . طالما الموضوع ما نتشرشى ما انفتحتشى فى  
مجلس الأمة أو ما انتشرشى فى الجرايد خلاص ، ولهذا  
أنا أيضا مرة انكلمت معاكم هنا على أساس احنا بحاجة  
الى مجتمع مفتوح ، لكن طبعا بتوع المخابرات كانت وسائل  
الاخفاء كانت مباحة بالنسبة لدولة المخابرات التي وجدت ،  
والتي سفلت والتي انحرفت ، أنا باعتبار أن هذه الدولة  
سقطت . . وأن هذا السقوط مسألة فى منتهى الأهمية ،  
وأنا اعتبرها من أهم الجوانب السلبية التي تخلصنا منها  
فى سبيل تطهير الحياة العامة فى مصر .

هذا هو كلام عبد الناصر ، وأول ما يعينى منه قوله أن :  
« الانحرافات بتحصل فى كثير من أجزاء العالم » إذ هذا  
كلام لا يقبل من نايبر جاء الى السلطة لأن الحكم الذى سبقه  
ارتكب انحرافات ، وقطع على نفسه عهدا بالقضاء على  
هذه الانحرافات ، هذا الى أنه يعطى الحكم الملكى الحق  
فى الدفاع عن نفسه بهذا المنطق فيقول : ان الانحرافات

تحصل في كثير من أجزاء العالم ، ومن ثم يجب أن ندرس هذه النقطة جيداً ونحللها تحليلًا علميًا سليمًا ، ولكم أتمنى أن يقرأ كلام عبد الناصر كله مرة ، وأخرى ، وأن يوضع مع ما كان يقوله قبل هذا في الخطب والبيانات من أنه « يعرف كل شيء » ولا يفوته شيء مما يجري في الدولة ، فقد قال ذلك في خطابه الذي ألقاه بقاعة الاحتفالات بالجامعة في ٢٣ يوليو ١٩٦٧ ، وقاله في مناسبات كثيرة وهذا يدل على أنه هو الذي يحكم ، ويستهيء بكل ما كان يتردد عن مراكز القوى .

كل الذي استطيع استنتاجه — ولا أقول تأييده — هو أن عبد الناصر كان راضياً بما يجري ، لأنه كان يشعر أنه يجري منذ وقعت محاولة الاعتداء عليه في ميدان المنشية بالاسكندرية الى أن نمت النكبة في ٥ يونيو ١٩٦٧ بنجاح . . ومما يزيد الشك حول ما اذا كان عبد الناصر يعلم أو لا يعلم أنه عقب النكبة الكبرى بعام كامل اجتمعت الجمعية العمومية لقضاة مصر واصدرت بياناً في ٢٨ مارس ١٩٦٨ هز مصر كلها .

وأود قبل أن أنقل اليكم تلخيص « مجلة القضاة » لهذا البيان — الذي منع نشره في الصحف — أن أنبهكم الى أن الناس كانوا قد فهموا أن أوضاعنا الداخلية ستأخذ طريقها الى التحسن ، فتزول المعوقات ، وينتظم الصف الداخلي تحت ظل الحريات . . وقد توقعوا وقوع ذلك . ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث ، مما دفع الطلبة الى التظاهر بعنف ، ودفع بالقضاة الى أن يجتمعوا ويحذروا ، ودفع مصر كلها الى أن تتحفز . . وهنا ولد بيان ٣٠ مارس المليء بالعظات والوعود والأمانى والحريات والمبادئ . . وكانت كلها من نوع المخدرات . . ولكن جسم الأمة كان قد امتلأ بالمناعة ضد هذه المخدرات . .

فماذا قال القضاة ؟ ؟ . .

قالوا : « ان القضاة هم أبناء هذا الشعب فلاحيه وعماله وجنوده ومثقفيه ومخلف فئانه يعيشون واقعه ويتمثلون أحلامه » .

ولعل القضاة أحسوا بأنه لابد من تحديد هذه الصورة كي لا يقال انهم من الاقطاعيين أو أعوان الاستعمار . . ثم مضى القضاة يقولون :

« ان صلاحية الجبهة الداخلية تقتضى اول ما تقتضى ازالة جميع المعوقات التى اصطنعتها أوضاع ما قبل النكسة أمام حرية المواطنين ، ليأمن الكل على حرياتهم ، وحرماتهم فلا تسلب أو تنقص إلا طبقاً لأحكام القانون العام وحده . وبحكم من القضاء العام وحده وباجراءاته المتبعة أمامه وحدها » .

هكذا أعلن القضاء جميعاً بما فيهم اولاد الفلاحين ، والعمال ، رأيهم فيما كان يجرى . ولأنهم كانوا يعلمون أن رجال النيابة لا يباشرون سلطاتهم كما يجب خوفاً من العقاب أصدروا قراراً ثالثاً جاء فيه :

« النيابة العامة جزء لا ينفرد من السلطة القضائية المستقلة ، ويتعين أن يسرى على رجالها ما يسرى على القضاة من ضمانات ويتوافر لهم ما لهؤلاء من حصانات » . وفى يوم وليلة ، وبدلاً من أن يعطى لرجال النيابة الحصانات والضمانات المعطاة للقضاة ، امتدت الأيدي لتذبح القضاة وتفصلهم بالجملة .

فهل يمكن أن يتم ذلك الا بقرارات جمهورية ؟

وهل وقع جمال عبد الناصر على هذه القرارات دون أن يسأل عن السبب ؟ وإذا كان السبب الحقيقى قد قيل له . . أفلم يفكر كرئيس للدولة — أن يسأل عما جرى

ويجرى وعن سبب غضبة رجال القضاة . . ؟ هذه أسئلة  
أتركها لكم ولذين سيكتبون التاريخ .

ونرجع الى موضوعنا الأصلي فأقول : انه من ذلك  
الوقت بدأت الدولة تعد عدنها كي تتحول الى دولة بوليسية  
تتعدد فيها أجهزة المخابرات . وتنوع وسائل التعذيب .  
ويتقدم الصفوف فيها هؤلاء الذين رأوا فرصتهم في كسب  
مكان الصدارة ببلاط الرئاسة واتمساع عبد الناصر بأنه  
لا سبيل لحماية الثورة الا باجراءات بوليسية بالغة العنف  
ضد من دعوا باسم « أعداء الثورة » .

وهذه الكلمة كانت مطاطة تسمح بعمل الكثير . .  
وبتأديب الكثيرين وباخضاع الكثيرين . .

**طالب :** لكن . . هل كان يمكن تلافي الالتجاء الى هذه الاجراءات ؟ .

**الأستاذ :** من الصعب الاجابة على هذا السؤال بمنطق معقول لأن  
جبهة الخصومة للثورة كانت قد بدأت في الاتساع .  
خصومة من داخل الثوريين أنفسهم . وخصومة من خارج  
الجهاز الثوري ، ولكن كان واضحاً أن جمال عبد الناصر  
بدأ ينجبه نحو تركيز السلطة في يديه ، ويؤثر الشك في  
الكثيرين من حوله ، وكان أول من تخلص منهم الرئيس  
السابق محمد نجيب . . ولو أنه لجأ مع بداية رئاسته  
للمهورية الى تكوين جبهة مدنية من حوله تخطط له وترسم  
خطاً ثوريا معتدلاً يقود البلاد الى التطور الذي كان الشعب  
يتطلع اليه . . لو أنه فعل ذلك ما اضطر الى الانطلاق  
بالدولة في الانجاء البوليسي حتى انتهى الأمر بالثورة الى  
أنها أكلت اولاً . . أولادها جميعاً . . ثم لم تلبث مع تطور  
الأحداث أن أكلت مبادئها أيضاً .

**طالبة :** قد يعذر بأنه لم يجد من المدنيين من يشاركه الرأي الثوري .

**الأستاذ :** أهذا منطق بقبله العقل ؟ لقد كان الشعب كله يقف وراء

عبد الناصر — حتى مع قيام هذه الخصومات المتفرقة هنا وهناك — بل كانت كل العقول المصرية — التي لم يتأثر أصحابها بأى اجراء ثورى من اجراءات تحديد الملكية الزراعية وغيرها — على استعداد كامل للمشاركة فى التخطيط وفى ارساء قواعد الانطلاقة الثورية الاصلاحية . ولا انكر ان عبد الناصر تظاهر بأنه حاول ولم يجد . . فأنى اذكر حديثا دار بينى وبينه فى تلك الفترة شكافيه من أنه لا يجد أحدا يعاونه فى العمل أو يشاركه فى تحمل عبء المسؤولية الضخمة ، وقد تأكدت من سير المناقشة أنه لم يكن جادا فى محاولته . لأن الذين اتصل بهم أو اجتمع معهم لم يكونوا من النوع الذى يصلح ، ولا شك ان الذين اختاروه « نوع الرجال » هم من الذين أرادوا له ان يدخل دائرة العزلة عن المجتمع ، وأن يبقى نحت سيطرتهم البوليسية أو الفكرية .

**طالب :** وهذا ما كان يحدث فى كل الثورات ؟ .

**الأستاذ :** اذن فقد كانت هناك سوابق تاريخية كافية لأن تنبئه عبد الناصر ، الى أن الالتزام بهذا الاتجاه البوليسى سيؤدى حتما الى أوخم العواقب ، ويقود ثورة مصر الى ما انتهت اليه الثورات الأخرى . وهنا يجب أن تسأل : هل كان عبد الناصر على مستوى المعرفة بهذا كله ؟ هل قرأ التاريخ جيدا وحاول أن يأخذ منه العبر ؟ أم أن اتجاهه الى دراسة ثورة بيرون فى الأرجنتين ، وتمسكه بنقل مبادئ ديكتاتور البرتغال بينالازار الذى عاش نظامه فترة طويلة يعنى أنه قد اختار النظام البوليسى قاعدة لانطلاقه الى تحقيق أهدافه الثورية ، ولو أدى الى اتساع قاعدة الخصومة فى الجبهة الداخلية .

**طالب :** لقد كان بالقطع رجلا شعبيا ، لا يعنيه أن تخصمه قلة ، ما دامت الارادة الشعبية ، تسنده بقوتها ؟

**الأستاذ :** هذا الكلام لا اعترض عليه الا فى ان هذا التأييد الشعبى

لا يصلح وحده لتدعيم نظام حاكم واحد ، لأن هذا التأييد له حدوده وله مقابله وهو : أن يحس الشعب بالتطور الى الأحسن . وهذا التطور لا يمكن أن يتحقق بتفكير فرد . بل بتفكير مجموعة ضخمة من العقول . . فهل كانت هذه العقول متوافرة في بلاط الرئاسة ؟

**طالب :** بلا شك . . والا ما عاش النظام هذه الفترة وتحقق ماتحقق من انجازات ؟

**الأستاذ :** لقد سبق لنا أن تعرضنا لنوعية هذه الانجازات . . ولكن لا بأس أن نسأل سؤالاً آخر : لو أن هذه الانجازات جاءت وليدة التفكير العلمى السليم . أفلم يكن ممكناً أن تكون أقل أخطاءً وأكثر إيجابية في خدمة المجتمع ؟ وكيف نفسر تأرجح هذه الانجازات بين الخطأ والصواب حتى هذه اللحظة التى نتكلم فيها . أى بعد ما يقرب من عشرين عاماً ؟ .

ان هذا التصرف يذكرنى بقصة قديمة تتعلق بأحد أثرياء مصر ، فقد أراد في بداية القرن العشرين أن يبنى لنفسه قصراً ، فاختار قطعة الأرض . ثم رسم بعصاه على الأرض النضاء مسقط القصر . ثم أشار على العمال بالبداية فى البناء . وكان هذا الثرى يجد متعته فى متابعة البناء والاستمتاع بقصره ، وهو يرتفع شاهقاً مدلاً على عبقريته الهندسية التى لم يتعلمها من أحد .

وانتهى القصر . . واستعد الأهل والأصدقاء للاحتفال بافتتاحه ، وإذا بهم يواجهون بالحقيقة المؤلمة وهى أن الثرى العبقرى نسى أن يشيد السلم الذى يسهل له ولأهله سكنى القصر والاستمتاع به . .

وهكذا فعلنا فى أواخر القرن العشرين . . بدأنا نبني ونشيد ونفخر بما أقمناه . . ثم اتضح لنا أن العقول التى حققت كل هذه الانجازات كانت عقولاً قاصرة عن فهم قيمة التخطيط العلمى الذى يوفر لكل مشروع أن يقدم للشعب العائد الذى يفخر به . .

فالمعملية اذن لم تكن عملية انجازات تتم ، بل كان لابد ان تكون وراء هذه الانجازات من بدء قيامها العقول التي توفر لها كل امكانيات النجاح والبقاء .. وتقديم العائد الجيد الذي لا يسمح بان يتسابق الناس لشراء البضائع المهرية . بعد ان ارتفع ضيق الجميع برداءة الانتاج المحلي .

**طالب :** وهل يصح ان ننسى ان العوامل والنحديات الخارجية قد لعبت دورها في هذا كله ؟ .

**الاستاذ :** انا لا اريد ان اظلم جمال عبد الناصر فاقول انه المسئول عن هذا كله ، ولكنى اعود مرة اخرى الى التخطيط الخارجى الذى يحتاج الى عقل سياسى . قبل ان يحتاج الى عقل ثورى ، صحيح انه كانت هناك تحديات وصحيح ان قضية فلسطين كانت قائمة بلا حل ، وصحيح ان قوتنا العربية الشعبية قد تضاعفت .. وصحيح ان مركزنا الخارجى قد اصبغ يلفت الانظار . ولكن علينا ان نسال انفسنا بعد ذلك كله .. هل كان يمكن ان يتم ذلك كله « طفرة واحدة » وجبهنا الداخلية ما زالت فى حاجة الى عمل كبير ؟ ام انه بسبب عدم تحقيق نجاح داخلى اتجهنا الى المغامرات الخارجية التى تبهر وتثير ، ولكنها لا تدفع عائدا ؟ .

كل شعوب البلاد العربية استفادت .. الا الشعب المصرى ...

وبعد ان بدأ كفاحنا العربى الثورى لاستعادة حقوق شعب فلسطين ، انكمش هذا الكفاح وتركز فى استعادة حدود ما قبل نكسة ٥ يونيو ١٩٦٧ بينما الدول العربية مضت فى طريقها تبثى نفسها ، حتى اصبحت بالنسبة اليها كالذى يمد يده ولسان حاله يقول « حسنة لله » .

لقد كان فى امكاننا ان نحقق كل اهداف الثورة . لو كان وراء خطواتنا عقول تفكر ، وترسم ، وتحدد الوقت المناسب ، واو لم يكن الجهاز الذى احاط بعبد الناصر



وحاصره وأرغمه على أن يعيش في عزلة عن الحقائق ثم اتجه إلى تكوين « طبقة جديدة » تثرى باسم الاشتراكية وتنعم بما كان يجب أن ينعم به الشعب أولا . ولست من الذين يقبلون القول بأن الأخطاء من صنع المحيطين بالزعيم ، وأنه غير مسئول عنها ، فقد قيل مثل هذا عن أخطاء زعيم الشعب مصطفى النحاس باشا يوم أسلم القيادة لزوجته والمحيطين به حتى جعلوا منه في نهاية حياته السياسية رجلا من رجال الملك فاروق ضمانا لبقائه في الحكم وتلافيا لتكرار الانقلابات من الحكم . ان الزعيم الناجح هو الذي يعترف كل ما يدور حوله ويحاربه ويقاومه أما أن يسمع ويسكت فذلك مشاركة في الخطأ . بل هو المسئولية الكاملة عن كل الخطأ .

**طالب :** أى أنك تريد أن تحمل عبد الناصر كل المسئولية ؟

**الأستاذ :** أننا هنا نتعامل مع « الزعامة » فهي الواجهة . وهى المرأة التى تعكس أفكار الذين يحيطون به ، فان كانت هذه الأفكار سليمة والاتجاهات بريئة فان الزعامة تظل سليمة وبريئة وقادرة على مواجهة أى خطأ واصلاحه .

ان « نوع الرجال » الذين يحكمون الشعب هم سندا الدولة وقواتها ، وعظمة الرجال تنبع من تصرفاتهم بالنسبة لأنفسهم وبالنسبة للمحيطين بهم في حالات ارتكابهم للأخطاء وقد كان السر الكامن وراء فشل الحكم المصرى فى «تلميع» انجازاته هو انه رفض التعامل مع عقول أهل الخبرة ، للشك فى نواياهم وتمسك بأهل الثقة . هؤلاء هم الذين قادوا البلاد الى ما هى فيه الآن . ونحن بهذا لا ننكر وجود محاولة انجاز أشياء كثيرة . . . ولكننا نرفض أن يقال أنه انجاز يستحق ما أنفق عليه . . . وقد قاد البلاد الى هذا الخراب الذى تواجهه الآن وتحاول أن تعالجه . .

ان المشكلة التى يواجهه مصر الآن . . هى مشكلة « رجال » .

\* \* \*

## الحوار العاشر مشكلة الرجل

كان الطلبة وقد انتهوا من آخر محاضرات في مادة العلوم السياسية بدأ عليهم الاجهاد ، ولكنهم يحاولون اخفائه عن اسنادهم ، وكان بدوره يشفق عليهم من « رهبة الامتحان » ويشعر بأنهم مقبلون على فترة صعبة شاقة . . ومع هذا أحس بأن وراء هذا الاجهاد تحفزا واصرارا على أن يعقدوا جلساتهم الأسبوعية .

وبدا الأستاذ حديثه . .

**الأستاذ :** يخيل الى أنكم مجهدون غاية الاجهاد . . لأن الصفرة تعلو وجوهكم . . والصمت يخيم على مجلسكم . . هل نؤجل حوارنا الى وقت آخر . .

**طالب :** بالعكس . . اننا نريد أن نستريح ، والحوار يريحنا ، ولو أننا وجدنا من استأذنا فرصة — داخل المحاضرات — لاجراء مثل هذا النوع من الأخذ والعطاء وتبادل الآراء ما أحسنا بثقل الدراسة في المدرجات .

**الأستاذ :** ولكن ما يدور في أذهانكم هو الامتحان والذاكرة ، وقد لا تكونون على استعداد لفتح موضوع .

**طالبة :** (مقاطعة) — اننا انتهينا الآن من مقرر العلوم السياسية . والموضوع الذي نريد أن نطرحه للحوار هو هذه الاستقالة التي هزت العالم الخارجي .

**الأستاذ :** تقصدين استقالة المستشار الألماني فيلي برانت ؟

**الطالبة :** نعم . ان الرجل ، وسياسة الرجل ، واخلاصه ، كل هذا كان يملأ العالم برنينه ، وفجأة وبدون مقدمات ، تطلع علينا الصحف المحلية بتأته قدم استقالته .

**الأستاذ :** هذا امر طبيعي . . اذ يبدو أنه أخطأ ، والخطأ يجب أن يذهب . .

**طالب :** بهذه السهولة ؟ ثم ما هو نوع الخطأ الذى يجعل شخصية عالمية حققت انتصارات ضخمة يذهب هكذا بسهولة ودون مقدمات . تم انه الرجل الذى فاز بجائزة نوبل للسلام . وأجمع العالم كله على أن هذه الجائزة قد أختير لها الرجل الذى يستحقها فعلا . . حتى خصومه اعترفوا له بهذا الحق . .

**الأستاذ :** هذا صحيح . ولكنه أخطأ . ولم يكن الخطأ بسيطا . فقد كان يعلم أن شخصا من المقربين اليه — أو ما نسميهم هنا « أهل الثقة » — لم يكن أميناً اذ كان يعمل — جاسوساً — لقطاع المانيا الآخر .

**طالب :** الا يكفى أن يطرد هذا الجاسوس ويبقى الرجل العظيم ؟

**الأستاذ :** ولكن الرجل العظيم أخطأ فى حق « الوظيفة » الكبرى التى يشغلها . . لقد تردد فى البداية فى اتخاذ القرار الحاسم بالنسبة لمن أخطئاً . . فلما اتسع الموضوع وتفجرت الفضيحة قرر أن يذهب هو أيضا . .

**طالبة :** ولكن اليس لتاريخه العظيم شفيع فى هذا ؟

**الأستاذ :** قد يرى بعض أفراد الشعب ذلك . . ولكن لأنه رجل عظيم . . قال فى استقالته : « أننى أتحمل المسئولية السياسية الكاملة للاهمال الذى أدى الى أن يصل الجاسوس جوبلوم ( وهو اسم نائبه ) الى منصب مساعد للمستشار . .

وهذا الاعتراف نابع من عظمة الرجل ، بل انه دليل آخر يضاف الى الأدلة على أن عظمة الرجل لا تكون «مجرد كلام» بل تتضح في التصرفات التي تصدر عنه ولو كانت ضده ..

**طالب :** ولكن ألم يكن ممكنا أن تحل هذه المشكلة عن طريق احاطة هذه القضية بسياج من الكتمان ، فلا يقال للشعب عنها شيء أو تعرض الصحف على الشعب الوقائع التي لا تمس «الرجل العظيم» ؟ .

**الأستاذ :** هذا غير ممكن على الإطلاق «هناك» في بلد تحس صحافته أنها هي أيضا مسئولة مسئولية كاملة أمام الشعب وأن عليها أن تقول كل الحقائق ، حتى ولو كانت مؤلمة ، قاسية ، وماسة «برجل عظيم» منحه العالم جائزة نوبل للسلام ..

**طالبة :** ولكن الصحف نشرت أن مظاهرات شعبية قامت تطالب بعدم ذهاب «فيلي برانت» ؟ .

**الأستاذ :** ليكن .. فان المظاهرات قد تكون «عاطفية» وقد تكون تمثيلا لفكرة أو اتجاه معين ، ولكن هذا لا يصرف الرجل العظيم عن مواجهة الواقع والتواري عن الأنظار .

**طالب :** هكذا بكل بساطة .. اليس هناك «ميزان» يوزن به «ماله وما عليه» ؟ .

**الأستاذ :** ربما .. ولكن يجب ألا ننظر الى الأمور بهذه البساطة ، ان «الرجل العظيم» يعلم أن فريقا — مهما صغر أو كبر — سينظر الى تصرفاته — لو بقي في الوظيفة — نظرة غير كريمة ، وسيكون باستمرار عرضة لأن تكون تصرفاته موضع شك .. لقد جرحت كرامته .. وجرحت وظيفته .. وأصبح يحس أنه لم يعد الرجل الذي يستحق أن يبقى في

وظيفته ، فقرر أن يخرج بنفسه قبل أن يضطر الى ذلك . .  
وهذه هي عظمة الرجال ، حتى مع الخطأ . .

**الطالب :** ولكن . . ومرة أخرى . . أليس للشعب كلمة في هذا ؟

**الأستاذ :** ان الشعب يجب أن يتعلم من تصرفات الرجال العظام ،  
يجب أن يتعلم أن المخطيء لا يبقى ، بل يجب أن يذهب ،  
مهما بلغت قوته . . وبلغت منجزاته التي أعطته الحق في  
أن يحكم المانيا ، وأن ينال جائزة نوبل للسلام وسط تصفيق  
العالم كله . .

**الطالب :** ولكن أليست خسارة لالمانيا — وخسارة للعالم « أن يذهب  
رجل عظيم » ؟ .

**الأستاذ :** ربما ، ولكن هذا الكلام قد يصدق في بعض البلاد ولكنه  
لا يصدق في بلد عظيم مثل المانيا ، ان الرجال كثيرون  
هناك ، فإذا ذهب واحد أو أكثر ، فلا بد أن يظهر آخرون  
وبكثرة ، فالبلاد العظيمة هو الذي يمتلئ بالرجال القادرين  
على تحمل المسئوليات .

أننا قد نكون تحت تأثير الفكرة التي سيطرت علينا وهي  
أن الرجال هم البضاعة النادرة أو البضاعة التي يصعب  
الحصول عليها . ولكن هذه الفكرة لا تأثير لها في بلاد  
لا تعتمد على الفرد . . بل تعتمد على الكيان الشعبى كله .

**طالب :** هذا صحيح . . ولكننا ما زلنا نرى أن المانيا بهذا القرار  
الذي اتخذته « برانت » ستواجه مشكلة حادة ؟

**الأستاذ :** مشكلة نعم . . ولكن في أى ناحية ؟

**طالب :** أن نعثر على رجل في قوة وكفاءة فيلى برانت .

**الأستاذ :** يبدو أنى لم أكن واضحا في شرحى . . ان المانيا . . وغير  
المانيا من الدول التي بلغت سن الرشد من زمان طويل

هامرة بالرجال . وهؤلاء الرجال على مستوى من الكفاءة قد يفوق كفاءة برانت ، ذلك لأن كيائها الداخلي لا يسمح بأن يكون مصيرها وقدرها في يد فرد واحد ، اذا ذهب غرقت في الفوضى وضاعت في التيه .

ان مثل هذه البلاد لا تسمح بأن تكون تحت رحمة هذا الفرد . . بل ان الشعب نفسه — وهو الذى تظاهر بعضه من أجل برانت — لا يسمح بأن يذيب شخصيته في « فرد واحد » لأنه يعلم أن هذا الفرد « بشر » ولا خلود للبشر . . ومن المؤكد أن برانت نفسه — وهو الرجل العظيم الذى يحب بلده — كان يكرس بعض وقته وجهده لكى يكون وراءه فى نطاق حزيه — وغير حزيه — الرجال القادرون على تحمل المسئولية من بعده فلم يوصد الأبواب أمام الآخرين لكى يظل هو الرجل الذى لا غنى عنه . . ولو فعل ذلك لحكمت عليه بلاده بأنه « الأنانى الذى لا يخدم الصالح العام » بل يخدع الراى العام . . ثم ان هناك المبدأ الأهم وهو أن الرجل الحاكم لا يحقق أى انتصار الا بمن حوله ومن معه . .

فاذا كان جيشه السياسى من الرجال العظام استمد منهم الجزء الأكبر من عظمتهم . أما اذا كان من حوله ، من الضعاف الذين لا شخصية لهم فانه لا يستفيد منهم مايعظم به شأنه ، ولا يبدو فى منزلة : الرجل العظيم .

**طالبة :** هذه فلسفة أدخلتنا فى أوضاع لم نكن نعرفها ، ولم نكن نحس بها ، ثم هى فى الواقع أقرب الى المنطق .

**الأستاذ :** انه المنطق الذى يجب أن نتحرك صوبه . وأن ندرك أن الوصول اليه وصول الى بر الوفاق والسلام فلا ننزعج لأن فردا ذهب ، أو أن فردا أخطأ ، ومع هذا نرى أنه يجب أن يبقى لأنه لا غنى عنه ، بل يتحتم أن يكون لدينا احتياطي من الرجال المدربين على تحمل المسئولية . . فالدولة تقاس عظمتها بكثرة رجالها . . ولا تقاس عظمتها بأفراد .

**طالب :** ولكن لماذا تبدو مصر كأنها فقيرة في الرجال ؟ هل كان ذلك هو السبب في تظاهرننا من أجل فرد يوم ٩ يونيو ١٩٦٧ وبعد النكبة الكبرى ؟ لماذا كلما تعرضنا لأزمة أو مشكلة أو كارثة ، وجدنا أنفسنا نواجه نفس العقول . ونفس الوجوه ونفس الأشكال ؟

**الأستاذ :** لأننا حكمنا في هذه الفترة بمن امتلأت قلوبهم بالشك في كل الناس ، الاقلية اتقنت النفاق واتقنت التظاهر بأنهم أهل ثقة . . ونتيجة لهذا هربت العقول التي تعرف ، وبقيت الوجوه التي تعرف كيف تغير من جلدها . . بين وقت وآخر ، وسميت « أهل الثقة » .

وأنا هنا أحب أن أضع أمامكم واقعة يرويها وزير سابق ومستول . وهي توضح لماذا حرمنا من الرجال . . ولماذا هرب الرجال من مصر . . أو من ميدان العمل والتزموا جانب السلبية .

في مقال نشر بالاهرام في ١٩/٩/١٩٧٥ للدكتور محمد حلمي مراد وزير التربية والتعليم الاسبق تحت عنوان « التغير المنشود — في المناخ والاسلوب ام في الاشخاص والعقول » — جاء فيه واقعة توضح أن الرئيس جمال عبد الناصر كان اذا تعرض لمواجهة أو لازمة حاول مسيطرة التيار وتظاهر بالتعامل مع افكار الناس ومقترحاتهم ، فاذا هدأت العواصف يرجع عن كل شيء يعد به أو يتظاهر بالتفكير فيه كخطوة للإصلاح . . يقول الدكتور محمد حلمي مراد : « وهنا يقفز الى ذهني جانب من الحديث الذي دار بين الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وبينى عندما كنت مديرا لجامعة عين شمس — وقبيل الاشتراك في الوزارة — في لقائه مع مديري الجامعات في ٧ مارس ١٩٦٨ بمكتبه في قصر القبة في أعقاب مظاهرات الطلاب المنادية بالتغيير — أثر صدور الاحكام في قضية مسئولية قادة سلاح الطيران سنة ١٩٦٧ عن الهزيمة .

قلت للرئيس الراحل — ضمن ماقلت : سمعت من السيد / سامي شرف ان برقيات وصلت بأسمكم يقول

مرسل اهداها — تعليقا على الاحكام الصادرة والتي  
اعتبرها من وجهة نظره خفيفة — « الى متى تظل رحيما  
ياريس .. » فأوحى الى هذا المعنى أن أرسل لكم برقية  
اقول فيها « الى متى تظل وفيا لمن يعملون معكم مهما  
اساعوا أو انحرفوا » .. فاعترض الرئيس عبد الناصر  
منكرا ذلك وطلب ذكر بعض الأمثلة ، .. وعندما ذكرت  
له بعض الاسماء ، اعطى رحمة الله سببا لديه للابقاء على  
كل منهم في منصبه مما لا محل لتفصيله في هذا المقال ،  
وعلقت على ذلك بأن هناك وسائل أخرى للاستجابة لهذه  
الاسباب دون أن يعهد اليهم بمناصب لا يحسنون الاضطلاع  
بها .

وهنا سألتني الرئيس عبد الناصر — وهذا هو بيت القصيد  
من موضوعنا — « هل التغيير المطلوب هو تغيير في المناخ  
والاسلوب أو تغيير في الاشخاص » ؟ فأجبته بأن المطلوب  
هو التغيير في الأمرين معًا .. فان تغيير الاشخاص مع  
استمرار المناخ غير الصالح ، والاسلوب المعوق ، يجعل  
الاشخاص الجدد عاجزين عن التجديد والتطور شأنهم في  
ذلك شأن قطع الغيار الجديدة التي تتركب في آلة لماسدة  
فانها لن تصلح من حالها ، بل قد تنكسر قطع الغيار كما أن  
تغيير المناخ والاسلوب مع بقاء نفس الاشخاص بما عرف  
عنهم من اتجاهات غير مقبولة شعبيا ، وما اعتادوا عليه  
من مفاهيم وقيم يراد تغييرها ، لن يجدي في كسب ثقة الناس  
أو احداث التغيير المطلوب في اسلوب العمل .

ويبدو ان الرئيس الراحل اقتنع وقتئذ بهذا الرأي ،  
فضمن بيان ٣٠ مارس برنامج التغيير مشيرا الى ان  
التغييرات ستتخذ في المناصب القيادية ، ومقررا « ان  
الكثيرين ممن يشغلون هذه المناصب أدوا مسئولياتهم  
بجدارة واستحقاق ، ولكن بعضهم لم يكن على مستوى  
المسئولية سياسيا وتنفيذيا ، ومن الضروري عليهم وعلينا  
افساح المجال للاقدر والاجدر .. ولكن التغيير يبقى بعد  
ذلك أكبر من أن يكون مسألة اشخاص .. ان التغيير



المطلوب لابد له ان يكون تغييرا في الظروف وفي المناخ  
والا فان أى شخص جدد في نفس الظروف ، وفي نفس  
المناخ سوف يسرون في نفس الطريق الذى سبق اليه  
غيرهم .

واذا كان الاصلاح المأمول بعد بيان ٣٠ مارس لم يتحقق ،  
فانما يرجع ذلك الى عدم تنفيذ ما جاء بالبيان تنفيذا كاملا  
وبالسرعة الواجبة لتغيير المناخ والاسلوب من ناحية ، والى  
عدم اجراء التغيير الذى كان يتبغى ان يتم في الاشخاص  
الذين نطبعوا بالاساليب والمفاهيم التى ثبت فشلها من ناحية  
اخرى واستمروا يحنلون الكثير من المراكز القيادية  
والحساسة في البلاد » .

انتهى كلام الدكتور حلمى مراد .

**طالب :** ان حوارنا اليوم قد اعادنا الى ختام حوارنا السابق ،  
ويدعونا الى أن نسأل : هل جف حقل الرجال عندنا في مصر .

**الأستاذ :** ان الجفل قائم وغنى بالتربة ولكنه يحتاج الى عملية  
رى مستمرة ودائمة ، فهو يحتاج الى حرية رأى بلا حدود  
والى توافر الثقة بين الحاكم وأصحاب الرأى ، والى ارساء  
قواعد نظام سياسى جديد يكون وليد مناقشات مفتوحة تختار  
أحسن النظم لتحقيق الارادة الشعبية والنخلص من حكم  
الفرد ، وفوق هذا كله يحتاج الى ثورية في النزاهة والتعفف  
عن الكسب الحرام . فما من نجاح لنظام يسوده الفساد  
وتهرب اموال الشعب الى خارج البلاد ليدع في حسابات  
سرية . وهو ما سنتكلم عنه تفصيلا في حوار آخر .

**طالبة :** لقد تكلمنا عن كل شيء . . الا عن هذا الذى يقود كل نظام  
الى الانهيار وهو الفساد والرشوة . وان كل ثورة جديدة  
تضع على رأس برامجها ان تقضى على هذا الفساد وعلى  
هذه الرشوة . . ثم لا نلبث ان نرى النظام الجديد يفرق في  
نفس الخطأ فما هو السر في هذا كله ؟

**الأستاذ :** السر يكمن أيضا وراء النوع من الرجال الذين يتسلقون  
الى بلاط السلطة . . الحاكم أو الزعيم . فكلما كان معدن

هؤلاء الرجال ثميناً قلت فرص الفساد والرشوة ، واصبح الحكم متفرغاً للخدمة العامة .

**طالبة :** ولكن لا يحدث هذا ابدا ؟

**الاستاذ :** لاننا لا نفهم — ولا نحب أن نفهم — ان الحكم تكليف من الشعب ، والرشوة والفساد موجودان في كل بلد . ولكنهما في بلد غيرهما في آخر . ففي البلاد الديمقراطية التي تتوافر فيها كل وسائل الحساب شعبياً وصحفياً وبرلمانياً يلقي كل مفسد جزاءه مهما يكن قدره أو مكانته السياسية وغير السياسية . والجزاء يريح الناس ويطمئنهم الى أن الجميع امام القانون سواء .

وفي البلاد الشيوعية التي يدين فيها زعمائها بقيم ومبادئ معينة وتقوم فيها قيادة جماعية من الصعب أن يقع الفساد والرشوة . صحيح أن بعض الجالسين في المقاعد الامامية قد ينعمون ببعض المزايا ولكنها ليست المزايا التي تثير في الشعب عوامل الحقد والكراهية والضيق .

أما في البلاد التي يحكمها فرد والتي تأتي فيها الحكومة ولادة ثورة أو انقلاب وتختفى فيها حرية الصحافة ، والرقابة الشعبية وتنعدم قيمة الفرد . . في هذه البلاد يتسابق أصحاب السلطان نحو تحقيق الثراء العاجل . . وهو قد يسمى اذا انكشف الضمان لاستمرار الثورة أو الاستعداد لمناهضة أي ثورة مضادة . ولكن كل الثورات والثورة على الثورات . . اثبتت ان هذا كلام لا اصل له . وأن هذا المال يسلب من الشعب ويضبح من حق اليتامى اذا ذهب صاحب الثراء الاشتراكي للقاء ربه .

**طالبة :** قبل ان ندخل في موضوع الثراء والكسب غير المشروع وغير ذلك من المسميات التي تتفرع من هذه النظم الحاكمة نأني أحب أن نرجع خطوة الى الوراء ذلك لأنني — مرة أخرى —

لا افهم لماذا يحيط الزعيم نفسه بمن لا يفيد به الراى والفكرة والتخطيط ؟

**الاستاذ :** ان القول بان الزعيم يحيط نفسه بمن لا يقدم له المشورة السليمة قول غير صحيح . فهو يحيط نفسه بمن يرتاح الى موافقتهم على رايه . وهؤلاء فى نظر الزعيم الذين يرتاح اليهم . اما الذين لا يوافقون على رايه فى بعض الحسالات او يناقشونه الراى فهؤلاء يعتبرون غير متفاعلين او متجاوبين ، ويكون المصير طلاقا بين الطرفين .

**طالب :** وهل من هنا خرجت كلمة « مراكز القوى » ؟

**الاستاذ :** ربما نعم . وربما لا . ان هذه المراكز التى حاول الكثيرون تعليق كل الاخطاء عليها تحتاج الى كلام كثير وبحث عميق ، وهى ليست كلمة جديدة علينا او على الآخرين بل هى موجودة فى كل مكان ، ولكن قوتها او سيطرتها ترتفع او تهبط وفقا لوضع معينة ، لعل منها او لعل اهمها قدرة الرئيس وشخصيته ومن ثم اقترح ان نؤجل الكلام عن هذه المراكز الى ما بعد . . بعد ان نستعرض احوالنا . . ثم نطرق هذا الباب الخطير .

ان من رايى ان نفتح حوارا حول الكسب غير المشروع . حول هذا الثراء الاشتراكى الذى ادى الى تكوين طبقة جديدة من اصحاب رأس المال الحرام وجعل الشعب يصاب بصدمة شديدة لم تتكشف كل جوانبها الا بعد ٥ يونيو .

فلنؤجل ذلك الى جلسة اخرى .

\* \* \*

## الحوار الحادي عشر الثراء الاشتراكي

وكان الأستاذ يفادر حجره « الكونترول » بالكلية عندما أسرع إليه بعض طلبته يسألون عن موعد ظهور نتائج الامتحانات ، وقد أجاب بأنه كان يسلم أوراق الإجابة الخاصة بمادته بعد تصحيحها ، وأنه لا يملك معرفة موعد اعلان النتائج بصفة عامة .. وان كانت بالتأكيد لن تتأخر عن الأسبوع الأول من أغسطس .

وبادر طالب بسؤاله ، اذن فلدينا الوقت الكافي لمواصلة حوارنا حتى ننتهى منه قبل اجازة نهاية العام الدراسي ؟

**الأستاذ :** بالطبع لدينا الوقت الكافي .. ونحن على موعد للكلام عن الثراء الاشتراكي أو الثراء غير المشروع .

**طالبة :** لقد لاحظنا .. مع بدء ظهور النتائج في الكليات الأخرى ان الحديث بدأ يتكرر عن النبوغ المفاجيء الذي يهبط على أولاد الأساتذة ؟

**الأستاذ :** ان الاسترسال في هذه الحالات اتجاه غير سليم ، وهو تجريح بطلبة يستحقون ما يحصلون عليه من تقديرات .

**الطالبة :** وهل تعنى بذلك انه لا مجاملات في نتائج الامتحانات ؟

**الأستاذ :** لابد أن نفترض ذلك .

**طالب :** ( مقاطعا ) لقد قرأنا أخيرا عن تجديد الكلام لمحاولة بعث الحياة في قانون اسمه « الكسب غير المشروع » فهل شرع هذا القانون للملاحقة الذين يحققون كسبا حراما ؟

والأ يعد ذلك التشريع دليلا على أن الدولة مظلومة إذا  
هى اتهمت بشجيع الثراء الاشتراكى وتكوين طبقة  
جديدة من الاقطاعيين الاشتراكيين كما تسميهم ؟

**الأستاذ :** ان هذا القانون — أو التفكير فى هذا القانون — قديم ،  
اقترحه بعض الذين كانوا يحاربون الفساد قبل الثورة  
فلما قامت الثورة واصلت اعداده ثم أخرجته الى الحياة .

**طالبة :** ولكن يبدو أنه لم يكن له أى تأثير . . فما زالت حالات  
الثراء نعلو . . وتعلو . .

**طالب :** ( مقاطعا زميلته ) : ولماذا لا نقولين أنه ليس هناك هذا  
الذى تسمونه ثراء اشتراكى . . وان الثورة نظيفة  
ناصعة البياض ؟

**الأستاذ :** ( مبتسما ) اذا كنت تقول ذلك عن اقتناع فأنت لم تتعمق  
البحث . وقد كنت أفضل أن نقول ان الثورة نظيفة وان  
ما يصفه الناس بأنه ثراء اشتراكى ما هو الا أخطاء  
الصغار .

**الطالب :** هذا ما أردت أن أقوله فعلا . . ذلك لأن اطلاق الاتهام  
بغير حدود ينطوى على الظلم وتزداد به الاساءة الى  
الثورة فى هدف من أعمق أهدافها ، ثم ان هذه الأخطاء  
تقع فى كل ثورة . . والمهم ألا يلوث الكبار أنفسهم بها  
لأن تأديب الصغار وبترهم لن يضر الثورة فى شىء . وهى  
تضار أشد الضرر اذا مست الأخطاء أقطابها وزعماءها .

**الأستاذ :** هذا كلام عميق قوى المنطق يقودنا الى طرح عدة  
تساؤلات بحثا عن الحقيقة ، فأنا أوافق معك فى أنه ما دامت  
الرؤوس نظيفة ، فان أمر الصغار يهون . . وبخاصة  
اذا كان هؤلاء الصغار يلقون جزاءهم الحق بعد أن يثبت  
قضائيا أنهم استغلوا مراكزهم لتحقيق دخول غير مشروعة .

وأول هذه التساؤلات التي نطرحها للمناقشة هو :  
لماذا كانت الحاجة ملحة الى تشريع يمكن من الامساك  
بأصحاب الدخول غير المشروعة . وتوقيع الجزاء على كل  
من يستغل مركزه لتحقيق ثراء مشكوك فيه ؟

**الطالب :** لأن الثورة جاءت للقضاء على الفساد والرشوة ، ومن  
هنا كان يجب أن تبدأ بتشريع يمكنها من ذلك .

**الأستاذ :** عظيم . ولكن اذا كانت الثورة ذاتها قد وجدت نفسها  
بعد فترة طويلة من حياتها ، وبعد أن قضت على الاقطاع  
القديم ، ووضعت كل مؤسسات الدولة تحت سيطرتها  
المباشرة ، وحددت المراتب السنوية بحيث لا تزيد على  
خمسة آلاف جنيه ، واذا كانت قد ميزت رئيس الجمهورية  
فجعلت مرتبه ستة آلاف جنيه . . اذا كانت الدولة قد  
وجدت نفسها تواجه حالات من القلق الشعبى والتذمر  
العام والاقاويل الكثيرة عن ثراء يحققه هذا أو ذاك من  
المحوظين فاضطرت أن تعيد الحياة الى تشريع الكسب  
غير المشروع . . فهل كان هذا يعنى أن نحقيق الثراء ما زال  
مقصورا على الصغار أم أن الجشع قد اتسعت حلقتة  
وادخلت في نطاقها الكثيرين من الكبار ؟

**الطالب :** ولماذا لا تقول ان امتداد الفساد واتساعه ظل مقصورا  
على الصغار فقط . . وان قسوة الحياة وارتفاع الأسعار  
وقلة الدخول هي التي جعلت الكبار يغمضون أعينهم  
لفترة ؟

**الأستاذ :** ( مقاطعا ) حذار من أن تقع في الخطأ . فان كلامك هذا  
يعنى ان الاشتراكية لم تحقق للشعب ما يتمناه ، ولهذا  
أرادت الدولة أن تعوضه من ذلك بطريق الاكراميات غير  
المشروعة . . أو انك لم تسمع بعد عن الاتاوات غير  
الرسمية المفروضة بغير قانون والتي لا تستطيع بدونها أن  
تقضى حاجة أنت صاحبها الشرعى — سواء أكان ذلك

في الجمعيات التعاونية أو في المصالح الحكومية أو في مؤسسات القطاع العام أو في جهة رسمية تتعامل معها ؟

**الطالب :** بل سمعت ولمست ، وقد تعرض والدي في قرينتي لحالات من هذا النوع ، وكان يرفض أن يساير التيار .

**الأستاذ :** وهل ظل متمسكا بموقفه ؟

**الطالب :** بل خضع في النهاية ، لأنه أحس أنه لا ينال حقه الا عن هذا الطريق ..

**الأستاذ :** وهل تظن أن هذا الفساد بدأ من تحت . أم أنه أصلا كان قد بدأ من فوق ؟

**الطالب :** ولكننا لا نحس بأن الكبار سايروا هذا التيار ؟

**الأستاذ :** لو أن خطأهم الوحيد كان هو إطلاق تيار الفساد بلا جزاء أو حساب لكانت الجريمة كافية ، إذ لا قيمة لأي نظام ينخر فيه سوس الرشوة ، ولكن الخطأ هو أنهم وهم الذين يجمعون لأنفسهم ثروات ضخمة لتقلبات السياسية وصيانة لمستقبلهم إذا ما اضطرتهم هذه التقلبات أن يبعدوا عن السلطة .. وقد دافع الرئيس جمال عبد الناصر عن تهريب المشير عبد الحكيم عامر لكميات من الذهب — وهو الاتهام الذي كشفتته محاكمة شمس الدين بدران واخوانه في قضية محاولة انقلاب — بأن ذلك كان تصرفا قصدا به حماية الثورة . ولكن دعونا نواصل طرح التساؤلات التي تهدينا الاجابات عليها الى الحقائق .. فالكلام في هذا الامر سيأتي في وقته من حوارنا ..

ما رأيك في رجل دولة فقير . وهو رب أسرة . تتحول أسرته من وضعها الى وضع آخر فيصبح كل فرد فيها صاحب فيلا — أو قصر صغير — شيدت له أو شيد خصيصا له فمن أين جاء المال لبناء هذه القصور كلها وأصل الثروة معروف . والمرتب الذي تدفعه الدولة له معروف ، وهل يحتاج تطبيق قانون الكسب غير المشروع

الى محرك اكبر قوة من هذا الواقع الملموس القائم على  
أرض صلبة ؟ أم أن الجزاء انما شرع للصغير .. وليس  
للكبير ؟

واذا كنت لا تصدق هذا ، فلماذا لا تقوم بجولة في مصر  
الجديدة. ، وفي مدينة المهندسين ، وفي كل ركن من أركان  
العاصمة وغير العاصمة ؟

**الطالب :** الا يمكن أن يقال ان كل فرد من افراد هذه الأسرة ساهم  
في مشروعات اغدقت عليه هذا الثراء ؟

**الاستاذ :** وهل يمكن أن يتم ذلك في دولة اشتراكية ؟ ثم أى نوع من  
المشروعات الاشتراكية يسمح للشباب الصغير بأن يكون  
ثروات طائلة ؟ ؟

ومع هذا فما رأيك أيضا في الرجل الفقير رب الأسرة  
الكبيرة والذي كان الى وقت قصير من قيام الثورة بسيطا  
في مستوى معيشة شأنه في ذلك شأن الغالبية العظمى من  
شعبنا الكبير ، قد أصبح فجأة صاحب مجموعة من  
المدارس الخاصة هو يسافر الى الخارج بحقيبة واحدة .  
ويعود الى مصر بحقائب لا تعد ولا تحصى ، ثم تفسر  
الاسواق بالبضائع المنافسة لانتاج القطاع العام  
الاشتراكي . ويتحول الاتجار غير المشروع الى اتجار  
مشروع وتتراكم الثروة لتصبح تلا .. ان لم تكن تلالا . ؟

**الطالب :** الا يعد هذا نوعا من المساهمة في التفريغ عن الشعب  
الذي يريد أن يجد كل حاجاته متوافرة ؟؟

**الاستاذ :** ولماذا لا يسمح به الا لقلّة .. ولا يفتح الباب للجميع ؟  
ثم اليست الدولة هي التي أوصدت الأبواب في وجبه  
الاستيراد حماية للعملة الصعبة . وحماية للقطاع العام  
من أن يضار انتاجه .. أو بمعنى آخر أرادت حماية  
المجتمع من سيطرة قلة وإيجاد مساواة بين الجميع ..



القادر منهم وغير القادر ؟ ثم نود أن نسأل سؤالاً آخر :  
من أين حصلت هذه القلة على العملة الصعبة لشراء كل  
هذه السلع ؟ وكيف حولت الى الخارج ؟ أم انها من أموال  
الدولة المهربة والمودعة في البنوك في الخارج « أم انها من  
عمولات شراء الاسلحة والمصانع وغيرها » ؟ اسئلة محيرة  
كان يمكن أن تكون الاجابة عليها جاهزة لو أن هناك رقابة  
شعبية على أموال الشعب ولو أنه كان هناك من يحرص  
على أن تكون اشتراكينا « طاهره » غير ملوثة ؟ .

ثم ان هناك واقعة لمست وقائعها بنفسى خلال زيارة أخيرة  
للندن ، فقد حدث أن حضرت سيدة مصرية من سيدات  
عهد ما قبل الثورة مزادا أقيم في العاصمة البريطانية ،  
وفوجئت وهى نقيب فى كنالوج المعروضات بأطباق من  
الفضة معروضة للبيع . وهى أطباق نادرة . وتعتبر من  
القطع القليلة الذى لا ينتج منها الا مجموعة واحدة ،  
ويحمل صاحبها شهادة بذلك . . وقامت السيدة لتفحص  
هذه الاطباق فاذا بها صاحبتها الاصلية ، وأن هذه  
الأطباق مما صدرته الثورة من أموالها بعد وضعها تحت  
الحراسة . وتدخلت السيدة فى الأمر وطالبت بوقف بيع  
هذه الاطباق على أساس انها صاحبها وقدمت الدليل على  
ذلك . الشهادة . والقانون الانجليزى يسمح بذلك .  
ولست أدري حتى اللحظة ما تم من اجراءات ، وانما الذى  
اعرفه ان التحقيق الاولى اثبت أن هذه الاطباق بيعت فى  
تركيا ، وان الذى اشتراها جاء بها الى لندن لبيعها  
بمصر أعلى .

فمن هذا الذى هرب الاطباق خارج القاهرة ؟ ومن  
الذى استولى عليها لنفسه وسلب من الشعب ثمنها ؟  
واذا كان هذا عن أطباق أفلا يمكن قبول ما تردد على  
أكثر من لسان ، ونشر فى أكثر من صحيفة أن مجوهرات  
الاسيرة المالكة . . ومجوهرات الاثرياء التى صادرتها  
الدولة ، أنها كانت تعرض فى أسواق أوروبا ؟

هذه واقعة توضح أن الذين جاءوا للقيضاء على الفساد غرقوا واغرقوا الشعب في فساد لا شسبيه له في تاريخ مصر ، وهو الأمر اذى بجعلنا نفهم لماذا كان تشريع الكسب غير المشروع قانونا بلا حياة ؟ .

**طالبة :** لقد نكمت عن الارصدة المصرية في بنوك سويسرا وغيرها ، ولكنك لم تقل لنا ، كيف هربت هذه الاموال ؟ وهل اكتشف أمرها . ؟

**الأستاذ :** أنا لا أعرف كيف هربت . وان كنت أدرك أن التهريب الرسمي لا يحتاج الى تفكير او وضع خطة خاصة في نظام حكم لا يناقش فيه كبار المسئولين عن تصرفاتهم أو سفرهم ، ولا تفتح حقائبهم ولا يعاملون كما يعامل البشر العادى . على أنه من المعلومات المؤكدة أن عمليات التهريب بدأت تأخذ حجمها الكبير عندما كلف أحد الرسميين بأن يبيع ذهباً تملكه الدولة في سوق خارجية ، لأن مصر كانت في حاجة قصوى الى العملة الصعبة وهذا الذهب كان مقيماً أصلاً بسعر معين ، ولكن السعر في الاسواق الخارجية كان قد بدأ يرتفع ومن هذا الارتفاع تحقق ربح كبير من عملية البيع كان من المفروض أن يعود للدولة ولكن العقل المفكر وراء هذه العملية اعاد للدولة حقها بالسعر القديم ، وأودع الربح في البنك — في حساب سرى — باسمه ، وهذه كانت نقطة البداية التي انطلق منها الرصيد ليصبح أرصدة مودعة في بنوك متفرقة بسويسرا .

واقعة أخرى . . كان الأستاذ سعد فخرى عبد النور المحامى ، وهو من رجال الاعمال ، يتناول طعام العشاء مع مجموعة من اصحاب الاعمال ورؤساء البنوك السويسرية ، وفي خلال ذلك قال له واحد منهم : هل تدري كم بلغ حساب عبد الناصر في بنوك سويسرا ؟ وقال الأستاذ سعد أنه سمع أرقاما عالية قيل انها بلغت عشرات الملايين . فرد عليه رئيس البنك قائلاً : بل انها بلغت أكثر من ذلك ، وعندما تشجع الأستاذ سعد وسأل الرجل :

الا يعتبر ذلك سرا . . ؟ فضحك محدثه وقال : انا افهم ما تعنى ولعلك دهشت لانى بحكم مركزى لا يصح ان اتكلم عن هذه الاسرار . ولكن الامر لم يعد سرا . فان حكومتكم الحالية هى التى تحاول استرداد هذه الاموال بطريقة أو بآخرى . . وقد اتضح لنا انها موزعة على بنوك متعددة صغيرها وكبيرها واصبح امرها غير سرى ؟

وفى خلال الاسبوع نفسه نشرت صحيفة بريطانية كافة التعامل فى هذه الاموال وكيف قام خلاف حولها . . وكيف سوى هذا الخلاف .

وبعد هذا النشر بأيام ولعل ذلك كان فى مارس ١٩٧٤ نشرت أخبار اليوم نبأ جاء فيه أن مصر قد استردت بعض أموال مصر من الارصدة السرية ، التى سبق ايداعها بالبنوك السويسرية .

هذا هو جانب واحد من جوانب الارصدة السرية التى أصيبت بالتخمة من كثرة ما اودع بها من مال الشعب المصرى . بينما كانت بعض مصانع القطاع العام معطلة لان خزائن الدولة لم يكن بها من النقد الصعب ما يسمح بشراء قطع غيار بسيطة . .

ثم اليس هذا هو استبدال الاقطاع . . باقطاع آخر . ؟

**طالب :** ولكن الا يمكن أن يكون ذلك الثراء نتيجة لعمولات حلال ؟

**الاستاذ :** العمولات نكون حلالا . . اذا كانت الصفقات تتم بين قطاعات خاصة ، ويتم التعامل معها من طريق وسيط مهمته أن يعبد الطريق لعقد صفقات وينال مقابل عمله العمولات . . أما أن يكون التعامل لحساب قطاع عام أو قطاع شعبى ، فلا وساطة فى الامور ، بل يقسوم بالصفقة من اختاره الشعب كى يدير شئونه لحسابه ومن هنا تكون العمولات حراما . وسرقة . وابتزازا لأموال الشعب وهل يجوز لرئيس كبير أن يتعامل فى سوق العمولات ؟

وقد بدأت هذه العمولات مع انطلاق الدولة نحو التصنيع الموسع ، واقامة مصانع للطائرات والسلاح . وتحويل الصحراء الى ارض مزروعة — مثل مشروع مديرية التحرير — . . بدا مع ذلك التسابق لتكوين الثروات ، وانتهزت المصانع الخارجية هذه الفرصة في استغلال الجشع المصرى الحديث ، فعملت على تسهيل بيع انتاجها أو مصانعها القديمة مقابل عمولات ضخمة تدفع لمثلى الاشتراكية المصرية .

وقد كنت يوما مع فريق من زملائنا الصحفيين نزور معرض هانوفر الألماني خلال الفترة التي خرجت فيها فكرة مديرية التحرير الى حيز الوجود ، وكنا نسمع ونحن ننقل في ارجاء المعرض عن « مصرى كبير » يشتري كل ما يعجبه . ويعتبره صالحا لإنشاء هذه المديرية دون بحث أو مناقشة أو عرض على خبراء يفهمون . . . كان المهم أن يشتري ، وكان المهم أن تدفع له العمولات . . . وهذه المديرية مازالت قائمة . . . يتحدث الناس عن الملايين التي انفقت عليها ، ولكنهم لا يتحدثون عما استفادت منها مصر . . . ولا عن ماذا استفاد منها الذين أشرفوا على تنفيذ مشروعها . . . ؟

هذه العمولات كانت هي الباب الذي تسبب لفتحه في الفساد فكرة القطاع العام ، وجعله حتى اليوم موضع شكوى كل الناس . حتى الذين يعملون فيه .

عندما قامت الثورة كانت شكوى الناس من مظاهر البذخ الذى كان يظهر على قسلة من المصريين يسافرون الى الخارج ، وكانت الشكوى ، ترتفع على صفحات الصحف ، من انغماس الملك فاروق في لعب القمار ، وكان الشعب يعاني الضيق . . . والذى حدث بعد الثورة ومع مطلع تطبيق الاشتراكية ان كانت اوربا وامريكا والعالم كله يتحدث عن المصريين الذين يعيشون في افخم الفنادق . ويلعبون القمار في البلاى بوى (لندن) وفى غيره . ويخسرون مئات الالاف من الجنيهات الاسترلينية ، وسيارات

الرولنرويس التي يستعملونها في تنقلاتهم .. وذلك ما كان يردده الشعب هنا ولا يقرأ في صحفنا كما كان الحال قبل الثورة ..

**طالب :** وما ادرانا أن ذلك صحيح ؟ ولماذا لا يكون الكلام في هذا مجرد اشاعات يطلقها المستعمر واذناب الاستعمار بغرض تشويه سمعة مصر الاشتراكية ؟

**الأستاذ :** ان تقارير بعض السفارات المصرية تؤكد هذه الوقائع ، ومع هذا فلست أملك هذه التقارير حتى اضعها امامك ، ولكن لعلك لا تختلف معي في أن هذا الشراء المفاجيء قد بدأ يطفو فوق سطح المجتمع المصري الفقير .. وبدأت مظاهره نحدث عن نفسها في امتلاك العقار . أو امتلاك الأرض أو في المجوهرات التي كانت تتحلى بها سيدات مجتمع الطبقة الجديدة أو .. أو ..

**طالب :** لست انكر أن مجتمعنا قد تحول الى مجتمع تناقضات صارخة .. ولا اظن أن قانون الكسب غير المشروع قادر على وقف النيار الجارف ؟

**الأستاذ :** ان قدرة القانون وقوته وفاعليته تتبع كلها من الايمان بالقيم ، وما دامت هناك رغبة ملحة في اقامة مجتمع العدالة والكفاية فلا بد من عمل قانوني حاسم . وكما قيل اخيرا لم يعد تطبيق القانون في حاجة الى اقرارات يقدمها المواطنون لان الأدلة ملموسة والوقائع قائمة . بل لعل لا اتردد في القول بأنه كان وراء التأخير في تطبيق القانون بعض الخير .. اذ خيل للطبقة الجديدة أنه غير جدى ، ومن هذا الفهم انطلقوا يستمتعون بما حققوه من ثراء علنا بغير تردد أو خوف أو خجل .

ان الدولة ندخل في هذه الفترة امتحانا خطيرا .. فاما أن تقضى على الفساد .. واما أن بقضى الفساد عليها .

**طالب :** ولكن هل كان الفساد مقصورا فقط على الثراء والكسب غير المشروع ، أم انه أخذ اشكالا أخرى مختلفة ؟

**الأستاذ :** لست افهم ما تعنيه . .

**طالب :** اعنى اننا نسمع كثيرا ان اجهزة المخابرات قد تغفلت في كل مكان ، حتى أصبح الطالب جاسوسا على زملائه ، وأصبح الموظف جاسوسا على رئيسه واخوانه وأصبح الشغالون في المنازل جواسيس على من يشتركون معهم في لقمة العيش . .

**الأستاذ :** ( مقاطعا ) لا احب ان تستطرد في هذه الناحية ، لأنها اليمة ومريرة ، والذي لا شك فيه ان المخابرات استغلت كل وسيلة للوصول الى أسرار الناس ليستمر ويقوى شكل الدولة البوليسى ، ولعلك تذكر القصة التى نشرت أخيرا عن المحاولات التى بذلها رجال المخابرات مع الفنانة هاتن حمامة لحملها على العمل معهم . . وكيف انها عاشت اياما في رعب قاتل حتى وجدت نفسها مضطرة الى الهجرة من مصر فنكرت الفن الذى احبته . . وانى لأذكر حديثا دار بينى وبين الرئيس جمال عبد الناصر في الفترة التى أسميها فترة الاختبار لاختيار رجاله المقربين ، فقد بدأ يسألنى : الست تتصل بحكم مهنتك وعلاقاتك الشخصية بكثير من المصريين ؟

**قلت :** نعم .

**قال :** الا تدور بينك وبينهم احاديث عن الاوضاع الداخلية ؟

**قلت :** بطبيعة الحال .

**قال :** ولماذا لا توسع علاقاتك بالمراسلين الاجانب ؟

**قلت :** انى اقابلهم في مناسبات قليلة .

**قال :** ولماذا لا تتوسع في مقابلاتهم فتدعوهم عندك في المكتب أو في البيت ؟

وفهمت ماذا يقصد جمال عبد الناصر من هذا الحديث ،  
وعم أشأ أن أوضح له انى فهمت . . أو انى على استعداد  
لأن أفهم . . وبطبيعة الحال سقطت في جانب من جوانب  
الامتحان في تلك الايام . فقد كان الرئيس عبد الناصر يحب  
أن يقرأ كل ليلة وقبل أن ينام التقارير التى يرفعها اليه  
المقربون ، بالإضافة الى تقارير المخابرات ، وكان هدفه  
أن يختزن عنده من المعلومات ما يمكنه من السيطرة على  
كل من يعمل في المناصب القبادية . . .

وقد ذهب فضيلة الشيخ أحمد الباقورى وزير الاوقاف  
ضحية لهذا النوع من المخابرات . اذ قيل انه قد سجل  
له شريط وهو فى خلوة مع سيدة ، وعندما سمع عبد الناصر  
ما سجل على هذا الشريط أقال الشيخ الباقورى من  
منصبه .

وأصيب الشيخ الباقورى بشلل جزئى . . واعتكف فى منزله  
لا يخرج ولا يزور أحدا . ومع هذا عاد الى وظيفة أخرى  
هى مدير جامعة الأزهر . . . الجامعة الدينية الكبيرة .

**طالبة : وهل قبل المنصب ؟**

**الاستاذ : نعم قبله ،** وقد كان ذلك من الاخطاء التى يقع فيها  
الرجال ، اذ لا يعرفون متى يكون الرفض الذى يتفق مع  
الكرامة . .

**طالب : وهل صحيح أن بعض المسئولين كانوا على صلة بمخابرات  
اجنبية ؟**

**الاستاذ : لا يستطيع أن اجزم بهذا ،** ولعلك قرأت اخيرا عن  
الجاسوس السوفييتي الذى هرب الى الغرب واصدر كتابا  
تضمن ما يؤكد أن سامى شرف سكرتير جمال عبد الناصر  
للمعلومات ووزير الدولة فيها بعد كان عميلا للمخابرات  
السوفيتية ، وسامى شرف كان من أقوى رجال النظام

الناصرى واخرهم واثسدهم تعلقا وتفانيا فى خدمة  
عبد الناصر .. وقد وصفه محمد حسنين هيكل فى كتاب  
الطريق الى رمضان انه كان يبدو متغاليا فى هذا الاخلاص.

ولقد عرفت سامى شرف فى بداية الثورة ، ورايته كغيره  
يتسلق السلم الى أعلى درجات ثقة عبد الناصر به ، وفى  
نفس الوقت كان يفرض سيطرته على الوزراء وغير  
الوزراء .. بل رأيت صحفيا كبيرا يربط زراير جاكته  
عندما دعى لحديث تليفونى مع سامى شرف .. وقيل فى  
فترة ما تدليلا على قوة سامى شرف انه كان يحمل خاتما  
باسم جمال عبد الناصر يوقع به على المراسيم الجمهورية  
والقرارات التى تبلغ للوزراء .

وكانت كافة تقارير الدولة تصب فى مكتب سامى شرف ..  
وكان هو الذى يتولى عرضها على رئيس الجمهورية  
بالطريقة التى تحلو له أو تريح عبد الناصر . ولهذا قال  
كثيرون ممن دافعوا عن بعض تصرفات الرئاسة أن الرئيس  
لم يكن على علم بتصرفاته وانها تصرفات شخصية من سامى  
شرف ، مثل مرض الحراسات ، والقاء القبض على الكثيرين  
من المصريين .

**طالب :** وانا اميل الى تأييد هذا الراى ، اذ ليس من المعتول أن  
تكون كل هذه الاخطاء التى تكلمنا عنها من صنع  
عبد الناصر ؟

**الاستاذ :** لا بأس من الاخذ بهذا الراى مؤقتا ، ولكن دعنى اسالك :  
اليس مما يدعو الى العجب ، وقد كان عبد الناصر يفخر  
دائما فى خطبة واحاديثه بأنه يعرف كل شيء — ان يظل  
سامى شرف موضع ثقة رئيس الجمهورية حتى ساعة  
وفاته ؟ ثم اليس عجيبا أن يكون واحدا من أربعة أو خمسة  
كلفوا فى مقرات مرض عبد الناصر بأن يتخذوا القرارات  
الخطيرة ؟ اليس هذا دليلا على أن عبد الناصر كان  
راضيا عن سامى شرف وعن تصرفاته ؟ ورغم ما نشر فى



الاخبار واخبار اليوم في خلال الاسبوع الاول من اكتوبر ١٩٧٥ من أن الرئيس عبد الناصر قال للرئيس السادات ان مصر تحكمها عصابة . فلماذا ترك العصابة تحكم مصر ؟؟

**طالب :** ولكن ما الدور الذي قيل أن سامي شرف قد لعبه كعميل للاتحاد السوفيتي ؟

**الأستاذ :** ما ذكر في كتاب رجل المخابرات ، هو أن سامي شرف كان يطلع السوفييت على خطط عبد الناصر الخارجية وتفكيره في طريقة معالجتها . وكانت موسكو حريصة على أن تدفع علاقته بالغرب وخاصة الولايات المتحدة الامريكية الى أسفل ، وكانت تعلم أن تصرفات عبد الناصر تكون دائما « رد فعل » لانجاهات الغرب ولهذا جندت عملاءها في بعض عواصم العالم لتفذية أجهزة المخابرات المصرية بمعلومات « مفبركة » عن اتجاهاات الغرب المتوقعة بالنسبة لمصر بصفة عامة وعبد الناصر بصفة خاصة ، وكانت هذه التقارير تصل الى مكتب عبد الناصر من رجال المخابرات في بلاد مختلفة ، وذلك يجعله على ثقة تامة من صحة هذه المعلومات . . ونتيجة لهذا كان عبد الناصر يبادر باتخاذ قرارات واجراءات كفعل ( مسبق ) أو « كرد فعل » على أساس تفكير وهمي رسمته ريشة المخابرات السوفيتية ، وبهذا كان السوفيت يرسمون لعبد الناصر سياسته واتجاهه في مخاصمة كل دول العالم غير الدول الاشتراكية ومن هنا كان يقال دائما كدفاع عن سياسة عبد الناصر وما فيها من اخطاء انها كانت ( رد فعل ) وليست فعلا . . ومقالات محمد حسنين هيكل في الاهرام مليئة بهذا الاتجاه في الدفاع عن عبد الناصر .

**طالب :** ولكنك تبني استنتاجك هنا على ما جاء في كتاب رجل مخابرات سوفيتي ؟

**الأستاذ :** لا انكر ذلك ، بل اضيف اليه ايضا اني اربط بين الذي جاء في هذا الكتاب وبين الكثير من التصرفات الخارجية

التي كانت تتخذها مصر وتفاجيء بها العالم ، دون أن يكون لها ما يبررها ، وكثيرا ما كان المعلقون المحايدون يرون أن عبد الناصر كان مسرعا في قراراته وتصرفاته ضد الغرب لم يكن أمام أو وراء هذه القرارات ما يبررها .

**طالب :** انى اخشى أن يكون قصصك بكلامك هذا الدفاع عن الغرب ؟

**الأستاذ :** انا لا ادافع عن الغرب ولا ادافع عن الشرق ، بل أقول ان كليهما لم يكن يجب خيرا لمصر ، وكانا يتسابقان للسيطرة عليها ، ولكن الذى أود أن أقوله أن مصر لم تلعب دورها السياسى الخارجى وفقا لمسا نمليه عليها مصلحتها ، وكانت فى ذلك أداة لقوة عظمى وجدت فرصتها الكبيرة فى أن تضع قدمها على أرض مصر تم أرادت أن تتسع الرقعة التي تسيطر عليها فى منطقة من أكثر مناطق العالم حساسية ، ولو أن سياسة مصر كانت تنبعث من داخلها ومن تفكير مصرى خالص ، لما جاز لنا أن نحاسب على أخطاء وقعت ومن المقبول أن تقع .

**طالب :** ولكن الم يكن لاجهزة المخابرات الغربية وخاصة الامريكية عملاء كذلك ؟

**الأستاذ :** لقد قيل كلام كثير عن شخصية أخرى كانت فى مستوى سامى شرف من حيث الاهمية والقوة والنفوذ فى بلاط الرئاسة ، وهو الأستاذ محمد حسنين هيكل وكان آخر ما قيل عنه فى كتاب The Real Spy World miles Copeland لمايلز كوبلنسد ، ص ٥٣ انه كان يتبادل المعلومات مع الأمريكيين ، وكان مسموحا له أن يهاجم ، ولكن الى الحد الذى لا يسىء اليهم انشاء بالفة ، وقد قيل فى هذا الكتاب أن مقالاته التي هاجم فيها أمريكا بمنتهى القسوة والحدة والعنف كانت معلوماتها كلها معطاة له من السفير الأمريكى لوشسيوس باتل ، وذلك فى مقابل اعطاء السفير معلومات أخرى هامة تكون قد توافرت لهيكل وبشرط أن يطلع السفير على السبيل الذى قاده الى هذه المعلومات .

**طالبة :** ولكن ما الذى يدعو « الأقوياء » الذين وصلوا الى أعلى مناصب الدولة الى مسaire الأعيب رجال المخابرات ؟

**الاستاذ :** ان الوصول الى قمة السلطة يتطلب جهدا جبّارا ، كما يتطلب الالتجاء الى المجازفات الخطيرة لصيانة ما تحقق لهم ، وقد كانت مصر غارقة في السياسة الخارجية ، وكان عبد الناصر يراها سبيله الى زعامة عربية عالمية ، وقد كان يرتاح الى الذين يمدونه بالمعلومات التى تحقق له تفاعلا ونجاحا في هذه السياسة ، ومن ثم كان لابد للمحيطين به من أن يتجهوا الى إقامة علاقات قد تكون مريبة مع الأجهزة الخارجية ، وكانت مهارة العاملين في قمة بلاط الرئاسة هي أيهام جمال عبد الناصر أن هذه الصلات من أجله وحده .

**طالب :** أى انه لم يكن لها مقابل مادي ؟

**الاستاذ :** ان الجزم بأنه كان هناك مقابل مادي للخدمات المقدمة لأجهزة المخابرات الخارجية يعتبر من جانبى تسرعا ، ولكن لا يصح أن نسقط من اعتبارنا الجشع الذى كان مسيطرا على الجميع ، والتسابق نحو تحقيق الثروات التى تضمن لأصحابها مستقبلا مضمونا اذا ما تفسرت الأوضاع في مصر .

**طالبة :** وهكذا لم يترك الانحراف سلطة الا مسها وتعمق فيها ؟

**طالب آخر :** ولكن من يضمن لنا ألا يتكرر ذلك ، أو أن تكون طبقات الاجيال المقبلة من هذا النوع ؟

**الاستاذ :** الضمان صعب وان لم يكن مستحيلا ، اذ لابد من أن تكون قمم الأجهزة العاملة في الدولة من أصل أخلاقي متين ، وان نحسن اختيارها لا على أساس انها « أهل ثقة » فان توافر هذا النوع من الرجال عملية رخيصة سهلة لا تتطلب الا هبوطا في الاخلاق واتقانا للنفاق والكذب

والرياء . أما النوع الآخر الخالص فانه يتطلب خلفية تاريخية وخلقاً وعلماً ومعرفة وإخلاصاً . . الى آخر الصفات التي تقاوم كل اغراءات الانحراف أو بيع الضباط في سوق المال والثراء . . أو بمعنى أوضح وأعم لابد من القضاء على الرقيق السياسى ومحاربتة ، لانه هو الذى يقود الدولة — أى دولة — الى قبول الواقع المخروض عليها ، فنتحول الى دولة خاضعة مستسلمة تتبادلها أيدي الأقوياء ، ولا تقوى على مواجهتهم ، وهل نسينا ٥ يونيو ١٩٦٧ ؟ أى بعد ١٥ عاماً من قيام ثورة ذكرت للناس في أول بيان لها أنها جاءت لتقضى على الفساد والرشوة والفوضى في جيش مصر والتي ادت الى هزيمة ١٩٤٨ ؟

**طالبة :** ان الاحداث التى سبقت ٥ يونيو والاحداث التى تلتها تحتاج الى حوار آخر . . بحثاً عن الحقيقة وراء هذا اليوم الخطير في تاريخنا ؟

**الاستاذ :** اذا كان هذا اليوم من أيام مصر السوداء فان له حسنة واحدة هي أنه كشف القناع . وايقظ الشعب والشباب خاصة — من عقد كثيرة — اولها عقدة الاستسلام للواقع على أنه ليس في الامكان ابداع مما هو قائم . وعقدة الخوف التى جعلت الشباب لا يقول كلمة ولا يبدي رأياً . . فان هذا اليوم دفعه الى الشوارع لأول مرة هاتفا ساخطاً متبرماً مطالباً بعقاب المسئولين . .

لقد كان الشعب — والشباب خاصة — يعيش في أحلام وهمية . . ثم استيقظ على صوت الهزيمة المؤلمة . . ولولا هذه الصحوة ، لما كانت هناك هذه الرغبة الشعبية الجارفة في أن تصلح من شئائنا وأن تحاول العودة بمصر الى أمجادها القديمة . .

فليكن حوارنا القادم اذن عن ٥ يونيو .

\* \* \*

## سر القرار رقم ١٣٥٠

كان المتفق عليه أن يدور الحوار حول مأساة ٥ يونيو ١٩٦٧ . ودخل الأستاذ الى قاعة الحوار يحمل معه ملفا رقيقا ويتحدث الى صديق جديد اصطحبه معه لأول مرة وكان الأستاذ يمسك بالملف في حرص شديد ، ولاحظ أن عدد الحاضرين قد زاد عن كل مرة وكانت معظم الوجوه جديدة وقد ارتسمت على بعضها علامات الانحسار والاستعداد والتحدى .

وفتح الأستاذ الملف أمامه ، وأخذ يقلب في بعض الأوراق الى أن ساد الصمت القاعة ، وقبل أن يبدأ في الكلام انبرى طالب ووقف في تحد ظاهر موجه الى الأستاذ سؤاله الأول :

**الطالب :** لقد قيل لى أن حواركم اليوم سيتناول أحداث ٥ يونيو ، وقيل لى أيضا أن كلاما ما قد تردد في الحوار السابق عن اتهامات زردت عن نهريب أموال مصرية الى الخارج ، ولم يعرف مصيرها ، وقيل ان بعض الرأسماليين الغربيين أكدوا أنها وضعت في خزائن سرية باسم الرئيس جمال عبد الناصر . .

**الأستاذ :** هذا كلام تردد فعلا ، وهو كلام نسب الى شخصية مصرية ذات صلة بالدوائر المالية في سويسرا ، كما أن بعضه قد نشر في صحف الخارج ونقلته الصحف المصرية مبهما وغير واضح .

**الطالب :** وهل يمكن قبول مثل هذا الكلام العائم في أمر خطير كهذا الأمر ، فالذى فهمته أن الحوار كان دائرا حول كلام لم يؤيد بالدليل الملموس . فقد قلتم ، كما سمعت ، أن شخصا ما ، مهما تكن درجة صدقه وأمانته ، قد سمع من آخرين

أن الرئيس الراحل جمال عبد الناصر قد أودع في الخارج باسمه مبالغ ضخمة قد نصل الى مئات الملايين من الجنيهات الأسترلينية ، فكيف يمكن قبول هذا الكلام بلا دليل قاطع وملحوس ؟ . . أوليس المعروف لدينا جميعا أن الرئيس عبد الناصر كان عدوا مرعبا لجماعة الرأسمالية المستغلة ، وأنهم في سبيل القضاء على سمعته التاريخية — حتى بعد مماته — لا يترددون في تلويث هذا الاسم العربي الضخم ، بادعاء وبلا دليل أنه كان يهرب أموالنا الى الخارج ويودعها باسمه في خزائن سرية ؟ .

إننا بهذا الكلام العائم والمطلق بلا دليل نخدم الاستعمار والرأسمالية المستغلة ، ونروج إشاعاتها الكاذبة دون ادراك لخطورة ما نقول .

**الأستاذ :** هذا كلام منطقي في مضمونه . ولابد أن يكون هو دستورنا في محاسبة الناس — كل الناس كبيرهم وصغيرهم — فلا نلقى التهم بلا دليل أو أدلة ، على أنه في نفس الوقت لا يجوز ترك الإشاعات الكبيرة — اذا صح أنها إشاعات — دون تعقبها وتجميع الأدلة على صحتها أو على كذبها . ان دراسة الاعلام تتطلب اول ما تتطلب أن تكون كل الوقائع التي نقدمها للقارئ مدعومة بالدليل أو مستقاة من مصادر لا يتطرق اليها الشك أو بهما معا ، كما أن من واجب أجهزة الاعلام ألا تترك الإشاعات الضخمة بدون قتلها أو كشف أسبابها .

**الطالب :** اني أرفض ما جاء في الجزء الأخير من كلامك ، أرفض أن يقال في مثل هذا الأمر الخطير المتعلق بسمعة رجل مازلنا نراه عظيما ان الاتهام يمكن أن يقوم بناء على معلومات مستقاة من مصادر لا ينطرق اليها الشك . فمن هو الذي يحكم فيما اذا كان المصدر موثوقا به أو مفرضا ؟ .

**الأستاذ :** عندك حق . . بل اني أسقط هذا الشرط من كلامي وأتفق معك على أنه في هذه الأمور الخطيرة والمتصلة بنزاهة الحكم لابد من قيام أدلة ملحوسة .

**الطالب :** اذن فانت تتفق معنا في أنه ليس كل كلام يقال نقبله على العين وأبرأس ونصدقها ، ثم نسقط في مصيدة تردده على السنتنا أو في صحفنا أو في كتبنا على أنها وقائع صحيحة ، ما ذك إلا لأن بعض مائصفهم بالمونوق فيهم من الرأسماليين أو من المونورين قد نطقوا بهذه الاتهامات أو أطلقوها كالسموم في أجواء منطقتنا العربية .

**الأستاذ :** هذا كلام صحيح أيضا ، بل لعل واجبنا في هذا الحرم الجامعي أن نضع الأسس والمبادئ التي نهتدي بها في تعرضنا للأمور العامة وبخاصة ما يتصل منها بنزاهة الحكم والحاكم ، ولا سيما إذا كان الشخص الذي نتعرض له قد أثر في جيلكم تأثيرا ضخما وأنه لولا كارثة ٥ يونيو العسكرية وما كشفت عنه لظلت هذه الشخصية مسيطرة عليكم سيطرة كاملة تقودكم الى حيث لا تدرون . .

**الطالب :** هذا رأيك الشخصي . ولعل الأسلم أن ننتقل الى مناقشة أحداث ٥ يونيو وأن نعتبر كل ما جاء بشأن تهريب الأموال الى الخارج واقعة مرفوضة لأنه لا دليل عليها .

**الأستاذ :** ان ما أطلبكم به مزيد من الصبر ، الى جانب الوعد والاتفاق على التزام الدقة في معالجة كل أمر في أمورنا الخطيرة بغير تسرع . اننا هنا أمام كلام تردد عن تهريب أموال مصرية يملكها الشعب الى الخارج لتودع في حسابات خاصة ، فهل نكتفى ازاء هذا الكلام بهز الأكتاف والقول بأنها مجرد اتهامات أطلققتها الرأسمالية المستغلة ، أم نمضي في بحثها والتنقيب فيما إذا كانت صحيحة أو غير صحيحة ، فإذا قامت الأدلة على صحتها أو كانت بعض التصرفات محوطة بشكوك لا تفسير لها كان علينا أن نسأل لماذا حدث هذا وما الذي ولد هذا الشك . فإذا مازالت الشكوك بالدليل القاطع قلنا هذا كذب وبهتان وإذا ثبت عكس ذلك كان لنا موقف آخر . موقف محاسبة ومساءلة .

**الطالب :** هل أفهم من ذلك أنك تريد فتح باب الكلام في موضوع الأموال المهربة من جديد على أساس أنك قد تأكدت أن الإشاعة صحيحة ؟ هل نفهم من مضمون كلامك الأخير أن لديك جديدا تريد اضافته إلى كلام الذين اتهموا الرئيس عبد الناصر بالتصرف في بعض أموال الشعب . . بغير علم الشعب ؟

**الأستاذ :** ( وهو يفتح الملف الذي أمامه ) ربما . ولكن لا أريد أن أسبق بالاتهام ، ذلك لأن لدى وقائع وشكوكا لا بد من وضعها أمامكم . لقد أحسست بأن ما قيل في حوارنا السابق غير كاف . ولهذا بحثت وتحريت ، ولو أنى لم أفعل لحق لكم رفض كل ما قيل في هذا الحوار .

ان الوقائع التي تحت يدي الآن تطرح أسئلة ضخمة لا بد من مناقشتها معا . . وعليكم في النهاية أن تصدروا حكما أعلن من الآن أنى سأقبله . فهل أنتم على استعداد للاستماع إليها ؟

**الطالب :** طبعا . فليس أحب اليانا من التأكد من طهارة الذين عشنا نؤمن باخلاصهم وصدق نواياهم . بل باستشهادهم في سبيل مصر والعروبة والقومية العربية .

**الأستاذ :** لا داعي للتسرع في الحكم . ولنستمع إلى ما لدى ثم نطرح معا في النهاية ما يعن لنا من أسئلة . . ان الوقائع التي سأرويها لكم تعود إلى الأيام السابقة لمعركة ٥ يونيو ١٩٦٧ وكذلك خلال أيام المعركة ذاتها والتي هزت كيان شعبنا المصري والعربي هذا عنيقا . بل لعل من الخير أن يدور حوارنا هذا قبل الكلام عن أحداث هذا اليوم الأسود . اننى أعود بكم إلى الأيام الأخيرة من شهر مايو ١٩٦٧ حيث بدأت الصحف وتصريحات الرسميين المصريين وتحركاتهم بين اقطار الوطن العربى تعد الأمة العربية لأحداث خطيرة ، ثم تطور الموقف وأصبح الكلام منصبا على توقع قيسام الحرب ، ومضت الصحف تعبىء الشعب لمعركة مع إسرائيل ، وأخذت التعبئة الشعبية والعسكرية ترتفع في درجتها إلى



حد أن الناس كانوا يتطلعون شوقا الى نشوبها في اقرب وقت ، لايمانهم — من واقع ما كان يقال لهم في التصريحات والمقالات والشعارات — بان نهايه اسرائيل قد أصبحت قريبة وفي متناول أيدينا .

ولقد عدت الى عناوين الصحف في يومى ٢٧ ، ٢٨ مايو — وقد اخترت هذا التاريخ الأخير بالذات لأهمية ما سأذكره من وقائع فيما بعد — فوجدت أن خطورة الموقف السياسى كانت قد بلغت حدها الأعلى . وعلى سبيل المثال فقد قدم سكرتير الأمم المتحدة يوثانت تقريرا الى مجلس الأمن بعد زيارته للمنطقة قال فيه « ان الموقف أكثر تهديدا من أى وقت منذ عام ١٩٥٦ ( وهو عام العدوان الثلاثى على مصر ) » .

كما عقد الرئيس جمال عبد الناصر مؤتمرا صحفيا شهده أكبر عدد من الصحفيين العالميين أعلن فيه :

● أنه لن يرحل ولن يقبل أى مساومة .

● سندافع عن سيادتنا ولن نقبل أى مساومة .

● أى دولة مهما كبرت لا تستطيع أن تهزم أى شعب مصمم على حقه فى الحياة ( وكان يقصد بذلك الولايات المتحدة الأمريكية ) .

● اننى أتوقع هجوما اسرائيليا فى أية لحظة وأى اعتداء سنواجهه بحرب شاملة .

● نحن على استعداد كامل — اذا تطورت الأمور — الى صراع شامل فى الشرق الأوسط .

مجمل القول ان الشعب فى مصر وفى العالم العربى أصبح بعد هذه التصريحات المنهبة وهذا التأكيد القاطع بوجود الاستعداد الكامل والقدرة على مواجهة أى دولة مهما كبرت ، أصبحت الشعوب كلها على أتم استعداد لتحمل التضحيات . وشعرت بأنها نوثك أن تتخلص من

هذا السرطان اذى غرس في جسم أمننا وجعلنا وخاصة في مصر عاجزين عن اصلاح عطب صمير في آلة أساسية بمصنع من مصانعنا بسبب قلة العملة الصعبة والتي كنا نقصور انها تنفق بلا حساب على مواجهة التحديات السياسية والعسكرية والاستعداد لهذا اليوم اعظيم . يوم الخلاص من اسرائيل . . واسجاب الشعب للعبئة بكل طبقاته ، واخذ ينتعد للمساهمة في المعركة ، وكان على قمة هذه المساهمة اندفاعه في دفع التبرعات المالية والذهبية التي انتهت على الرئيس عبد الناصر مساهمة في اعباء المعركة المقبلة وسعيًا لمساعدته في التخلص من المرض السرطاني الذي غرسه فينا الاستعمار .

ولم تكن التبرعات وحدها نابعة من أفراد الشعب المصري بل ان الكثيرين من المواطنين العرب يعثوا ببيرويات سخية بالعملة الصعبة الى الرئيس عبد الناصر . وهنا تأتي الى الخطب الأول من الوقائع الخطيرة التي اثارت في نفسى الشكوك فاستمعت اليها ثم بدأت أتحرى عنها .

ففى هذه الفترة كان الملك السعودي السابق سعود بن عبد العزيز آل سعود يعيش بعيدا عن بلده بعد اقالته وتنصيب فيصل بن العزيز مكانه . وكانت الخصومة القائمة بين عبد الناصر وفيصل سببا في أنه استقبله بمصر وأكرمه . ولهذا وفي غمرة الحماس الذي سيطر على العقول المصرية والعربية فقد كتب الملك سعود في ٢٨ مايو ١٩٦٧ شيكين أحدهما بمبلغ ثلاثة ملايين دولار أمريكي والآخر بمبلغ مليوني دولار أمريكي . وكان أحد الشيكين لأمر الرئيس عبد الناصر والآخر لأمر السيد صلاح نصر مدير المخابرات العامة ، وذلك تبرعا من الملك السعودي السابق لدعم الجهود الحربية المصرية .

وقد كان مفهوما أن هذين الشيكين سيحولان الى الذين يتولون ادارة الجهود الحربية لدعم خطواتهم واستعداداتهم العسكرية . ولكن الذي حدث أن الشيكين حولا الى حساب

خاص للرئيس عبد الناصر . وصدق على التوقيع بالتحويل  
الأستاذ أحمد فؤاد رئيس مجلس إدارة بنك مصر . .

**الطالب :** أرجو أن يسمح لي الأستاذ بكلمة . ان هذه الوقائع  
ليست كافية . فهل تستطيع أن تبرز لنا دليلا ملموسا  
يؤكد ما قلناه الآن عن مصر هذين الشيئين . صحيح أنك  
قدمت أرقامها وتواريخها وأسماء ، ومع هذا يحتاج الأمر  
لخطورته الى أكثر من ذلك .

**الأستاذ :** اننى هنا لا أحاول إرفامك على تصديق هذه الوقائع  
والتسليم بها دون مناقشة ، ولكنى أضعها أمامك بعد أن  
تحررت بنفسي عن صحتها بين جدة والقاهرة ، ومع هذا  
لا مانع عندي من طرحها في هذا الحوار على صورة تساؤلات  
ثم نطالب بتقديم اجابات حاسمة عليها . فهذه الأموال التي  
نتكلم عنها هي أصلا مدفوعة لخدمتي وخدمتك ومع هذا  
ظلت مجهولة المصير حتى اكتشف أمرها وأمر غيرها — وهو  
أضخم بكثير — بمحض المصادفة وبأدلة تثير تساؤلات  
وشكوكا ضخمة .

**طالب :** محض المصادفة ؟ ماذا تعنى بذلك ؟

**الأستاذ :** لنبدأ قصة الوقائع التالية من بدايتها وستجد منها  
الاجابة على سؤالك . والذي أحب أن أنبه اليه هو أن  
هذه الأموال التي سننكم عنها أحيطت بسرية ، ووقائع  
متناقضة ، بينما أشارت الصحف الى أموال أخرى أقل  
منها أهمية وقيمة وهو ما يثير الشك ويدعم حقنا في  
النسأؤل . ففي اليومين السابقين لإعلان الرئيس  
عبد الناصر التاريخي بإستقالته من رئاسة الجمهورية  
وأسنادها الى السيد زكريا محيي الدين ، في هذا اليوم  
كتب الملك سعود بن عبد العزيز شيكا بمبلغ عشرة ملايين  
دولار على بنك هولندا العام بامستردام لأمر الرئيس  
جمال عبد الناصر ، وذلك دعما للمجهود الحربى مضافا

الى الدعم السابق على اعتبار انه قرض للجمهورية العربية المتحدة ( مصر الآن ) .

واحب أن أنبهكم الى أنه كان معروفا لدى القيادة العسكرية المصرية أن معركتنا مع اسرائيل قد انتهت بنهاية يوم ٥ يونيو وأن ما جرى بعد ذلك لم يكن الا عمليات انسحاب غير منظم من جانب قواتنا وذلك بعد أن فقدت القيادة كل سيطرة عليها . وكان الرئيس جمال عبد الناصر قد كلف الأستاذ محمد حسنين هيكل رئيس تحرير الأهرام باعداد بيان يلقيه على الشعب يعلن فيه حقيقة الهزيمة ونفاذه عن منصب الرئاسة — أى أنه كان يرى أن صلته بحكم مصر قد انتهت . ومع هذا تسلم الرئيس عبد الناصر شيك الملك مسعود السابق وقام بتحويله الى بنك باريس والبلاد الواطئة Banque de Paris et des Pays Bas وذلك لتحصيله من بنك هولندا أو ايداعه في حساب خاص لديه ، وقد صدق على صحة امضاء الرئيس عبد الناصر السيد / محمود صدقي مراد الذى كان نائبا لمحافظ البنك المركزى المصرى .

وفي نفس الفترة أصدر الرئيس عبد الناصر قرارا جمهوريا رقم ١٣٥٠ لعام ١٩٦٧ بالاذن لوزير الاقتصاد والتجارة الخارجية نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة باقتراض مبلغ عشرة ملايين دولار أمريكى من الملك السابق سعود بن عبد العزيز آل سعود بالشروط والأوضاع المرفقة بالقرار . أى أن الرئيس السابق اعتبر المبلغ المذقوق والذي حوله الى بنك باريس والبلاد الواطئة لوضعه في حساب خاص باسمه قرضا على مصر ، وذلك في نفس الوقت الذى قرر فيه أن يترك منصبه ويقطع كل صلة بينه وبين الحكم . وقد بعث وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية بخطاب بتاريخ ٧ يونيو ١٩٦٧ موجه الى صاحب الجلالة الملك سعود يتعهد فيه نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة بأن يقوم البنك المركزى المصرى برد هذا القرض الى البنك الهولندى على ثلاثة أقساط خلال عام .

أى فى الفترة بين ٧ يونيو ١٩٦٧ و ٦ يونيو ١٩٦٨ وأن يكون  
السداد بالدولارات الأمريكية . وقد ثبت فعلا أن البنك  
الفرنسى المذكور قد قام بتحصيل مبلغ عشرة ملايين دولار  
من حساب الملك السعودى ببنك أمستردام ( هولندا )  
وأودعها فى حساب باسم الرئيس عبد الناصر فى بنك باريس  
والبلاد الواطئة .

**طالب :** . . وكيف ثبت ذلك ؟

**الأستاذ :** عندما نكتب شيكا لشخص ما على بنك معين . فان هذا  
البنك يصرف المبلغ ويحتفظ لديه بأصل الشيك بما عليه  
من توقيعات اسنلام أو توقيعات تحويل وذلك لتقديمه اليك  
إذا ما تطلب الأمر ، أو للرجوع اليه خلال مراجعة حساباتك  
بابنك وهو أمر ينم بشأن أى شيك مهما بلغت قيمته ،  
فما بالك بشيك تبلغ قيمته عشرة ملايين دولار أمريكى دفعة  
واحدة ؟ ولهذا فانه عندما مات الملك سعود فى فبراير ١٩٦٩  
وشكلت هيئة وصاية للأشراف على تركته أرسل بنك هولندا  
العام الى هذه الهيئة هذا الشيك مع كشف حساب الملك  
السابق لديه .

**طالب :** انك قلت من قبل ان أمر الشيك كشف بمحض الصدفة ؟

**الأستاذ :** عقب وفاة الملك سعود تقدم المهندس ( المرحوم ) عبدالفتاح  
زكى حسن حسنى يحجز على التركة مقابل مبلغ يستحقه  
قدره ٣٥٦.٣٠٠ ا.ر. ٥ جنيها . وكان من بين المبالغ التى طالب  
المهندس المصرى بالحجز عليها مبلغ عشرة ملايين دولار  
المدينة بها الحكومة للملك سعود . ومع أن الشخص الذى  
قام بهذا الحجز قد خسر قضاياه الا أن هذا التصرف من  
جانبه كان من العوامل التى حركت هيئة الوصاية لمطالبة  
الحكومة بسداد المبالغ المستحقة المدينة بهسا لورثة الملك  
سعود . وان كان هذا التحرك لم يبدأ الا فى عام ١٩٧١  
أى بعد وفاة الرئيس عبد الناصر .

وقد قام الشيخ حسين شكرى المحامى السعودى  
ومستشار هيئة الوصاية على تركة الملك سعود باتخاذ

اجراءات مطالبة الحكومة بسداد كل المبالغ التي دفعها  
الملك سعود ابى الرئيس عبد الناصر وصلاح نصر . فقابل  
غؤاد الصراف وكيل وزاره لـشئون النقد وبحثا الأمر  
معا . وفوجيء ممثل الهيئة بأن الحكومة لا نعلم شيئا  
عن مبلغ الخمسة ملايين دولار المدفوعة بشيكين باسمى  
الرئيس عبد الناصر وصلاح نصر .

أما عن مبلغ العشرة ملايين دولار فقد ذكر فى رواية  
سعودية أن الدكتور الصراف قال للشيخ حسين شكرى  
أن هذا المبلغ دين على شركة الرئيس عبد الناصر وأن المطالبة  
بسداد المبلغ يجب أن توجه رأسا الى ورثته دون الحكومة  
المصرية . وفى رواية أخرى مصرية - وهى مؤكدة عندى -  
أن الدكتور الصراف قال فى اجابته « يسأل عن هذا من  
حصل على هذا المبلغ » .

واضطر الشيخ حسين شكرى الى التوقف عن مواصلة  
مباحثاته مع الدكتور غؤاد الصراف حتى يستكمل بحث  
الموضوع . ثم عاد الى مقابله بعد أيام وبيده القرار  
الجمهورى رقم ١٣٥٠ لعام ١٩٦٧ والذى اعتبر مبلغ  
العشرة ملايين دولار قرضا على الحكومة المصرية واجب  
السداد وبالدولارات الأمريكية على ثلاثة أقساط خلال عام  
اعتبارا من ١٩٦٧/٦/٧ .

وازاء هذه الوقائع فقد بدأت حكومتنا تبحث كيف تواجه  
هذا الموقف وتقوم بسداد التزاماتها ثم اتفق فى النهاية  
على أن تفى الحكومة بالتزاماتها بسداد مبلغ الملايين  
العشرة من حصيلة الصادرات غير التقليدية الى المملكة  
السعودية وقد أوشك سداد هذا القرض أن يتم بغير  
الشروط المتفق عليها .

ومع أن المفاوضات مع الحكومة المصرية لسداد هذا  
المبلغ لم تبدأ الا فى عام ١٩٧١ الا أنه وقع فى يدى خطاب  
بتاريخ ١٢ فبراير ١٩٧٠ أى قبل وفاة الرئيس عبد الناصر

بعث به وكيل وزارة الخزانة لشئون التمويل والخزانة العامة ( الادارة العامة للتمويل ) ورقمه ٢٥-٦/٤ الى وكيل نفس الوزارة لشئون البحوث والتشريع المالى اتمرا ع'يكم نصه :

السيد وكيل وزارة لشئون البحوث والتشريع المالى  
بوزارة الخزانة

تحيد طيبة وبعد : اتشرف بأن ارسل لسيادتكم رفق هذا صورة الانذار وامر الاداء النواردين رفق كتاب مراقبة الشئون القانونية والتحقيقات رقم ١٠٣ - ٩/٢ المؤرخ ٧٠/٢/٤ الذى بينه فبه المنذر ( المهندس عيد الفتاح زكى حسن حسنى ) على المعلن اليهما الاولين ( السيد وزير الخزانة بصفته والسيد وكيل وزارة الخزانة لشئون الميزانية بصفته ، بعدم صرف ما استحق للمعان اليه الثالث ( الشيخ عبد الله بن عدوان وزير الدولة السعودى بصفته رئيس لجنة تصفية تركة المرحوم الملك سعود بن عبد العزيز ) وتقرير لجنة تصفية ما فى الذمة وفق المتبع بالمصالح الحكومية فى المدة المحددة قانونا ويصرف مبلغ ٥١١٣٠ جنيها و ٣٥٦ مليما الى الطالب او من ينوب عنه مع حفظ كافة الحقوق الاخرى .

ونظرا لانه سبق ان صدر قرار السيد رئيس الجمهورية العربية المتحدة رقم ١٣٥٠ لسنة ١٩٦٧ باذن لوزير الاقتصاد والنجارة الخارجية نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى اقتراض مبلغ عشرة ملايين دولار أمريكى بالشروط والاوزاع المثبتة بالذاكرة المرافقة لهذا القرار وقد تضمنت المذكرة المذكورة ان جلالة الملك سعود قد وافق على اقراض الجمهورية العربية المتحدة مبلغا من المال قدره عشرة ملايين دولار أمريكى على ان يقوم البنك المركزى

المصري برد هذا القرض على ثلاثة أقساط في خلال عام  
بنفس العملة . كما تعهد السيد وزير الاقتصاد والتجارة  
الخارجية بخطابه المؤرخ ٧ يونيه ١٩٦٧ الموجه لصاحب  
الجلالة الملك سعود - نيابة عن حكومة الجمهورية العربية  
المتحدة بأن يقوم البنك المركزي برد هذا القرض الى البنك  
الهولندي على ثلاثة أقساط في خلال عام من ١٩٦٧/٦/٧  
لحسابه بالدولارات الامريكية .

ونظرا لان البنك المركزي المصري قام باضافة المبلغ  
المعادل لقيمة هذا القرض بالعملة المحلية وقدره ٣٤٧٨٢٠٠  
جنيه الى حساب وزارة الخزانة ح/ صندوق الاستثمار  
موارد استثنائية ح/ المبالغ المقترضة من جلالة الملك  
سعود ومفتوح لديه على أن يتم الخصم بالأقساط المستحقة  
بالاستبعاد من نفس الحساب .

(ب) ونظرا لانه لم يتم سداد القرض المذكور حتى الآن .

لذلك ( لانه لم يتم سداده ) نرجو التفضل بالتنبيه ببحث  
الموضوع وإفادتنا بالرأى . مع رجاء الاحاطة بأننا آبلغنا  
كلا من البنك المركزي ووزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية  
بمضمون ما نقدم ،

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام . . .

وكيل الوزارة

١٩٧٠/٢/١٢

وقد حولت صورة من هذا الخطاب للاحاطة وببحث  
الموضوع الى كل من وكيل وزارة الاقتصاد والتجارة  
الخارجية ومدير البنك المركزي ومراقب عام الشئون  
القانونية والتحقيقات بوزارة الخزانة . .



ومن واقع هذا الخطاب نلاحظ أنه يشير الى القرار الجمهورى رقم ١٣٥٠ لسنة ١٩٦٧ بالرغم من أن هذا القرار لم ينشر فى الجريدة الرسمية — كما سأوضح لكم فيما بعد — كما كشف عن تعهد وزير الاقتصاد والتجارة الخارجية ( الاستاذ حسن عباس زكى ) يرد هذا القرض فى خلال عام اعتبارا من ١٩٦٧/٦/٧ لحساب الملك سعود بالدولارات الأمريكية . . ومع هذا فإننا نرى أن البنك المركزى المصرى قد قام بإضافة المبلغ المعادل لقيمة هذا القرض بالعملة المحلية الى حساب وزارة الخزانة على أن يتم الخصم بالاقساط المستحقة بالاستبعاد من نفس الحساب دون أن يشار الى مصر الملايين العشرة من الدولارات الأمريكية وأين ذهبت ؟ . . ونحن فى مثل هذا الموقف لا يجب أن نسقط من اعتبارنا أن الظروف التى كانت تحكم بها مصر والتى كانت تضع السلطة فى يد فرد واحد بلا رقيب أو حسيب كانت قادرة بطبيعة الحال على أن تأمر بتغطية التصرفات الفردية بطريقة أو بأخرى . ومع هذا فالذى لا شك فيه أن ما أحيط به هذا القرض من سرية هى التى تثير كل الشكوك .

لقد عرضت هذه الوقائع كلها قبل أن أتى اليكم على اقتصادى مسئول وسألته : « هل يمكن أن تفسر هذه الاجراءات مجتمعة بأنها سلبية أم انها تحيط الامر بالشكوك والريب ؟ . » وكانت اجابته قاطعة بأن هناك تناقضات تثير الشك وتؤكد أيضا أن هناك تصرفات غير دستورية .

#### فكيف نفسر هذه التناقضات ؟

بل كيف نفسر جهل وكيل وزارة الاقتصاد لشئون النقد بوجود هذا القرض ؟ ثم يتضح بعد ذلك أن هناك قرارا جمهوريا يأذن للوزارة نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة باقتراض مبلغ عشرة ملايين دولار . . الخ . ؟ ثم يقال بعد ذلك — أو قبل ذلك — فى خطاب رسمى أن البنك المركزى قد قام بإضافة المبلغ المعادل لقيمة هذا

القرض بالعملية المحلية إلى حساب وزارة الخزانة . . بينما كان المتفق عليه أن يسدد المبلغ إلى بنك هولندا وأن يكون السداد بطبيعة الحال بالعملية الصعبة على ثلاثة أقساط ؟

هذه هي التساؤلات الأولى على أنه لكي تكتمل الصورة فقد رجعت إلى الصحف المصرية التي صدرت في الأيام السابقة لمعركة يونيو ١٩٦٧ وقد قرأت بها أن التبرعات الشعبية بدأت تتدفق على الرئيس عبد الناصر ابتداء من مايو ١٩٦٧ وأنها بلغت أرقاما كبيرة بعضها بالعملية المحلية والبعض الآخر بالعملية الحرة .

وعلى سبيل المثال : فقد نشرت الاهرام بعددها الصادر بتاريخ ٢ يونيو ١٩٦٧ أن الرئيس السابق تلقى عشرة آلاف دولار من مواطن ليبي اسمه صالح مسعود بواصر تبرعا كدفعة أولى لصالح الجهود الحربية العربية في المعركة ضد الصهيونية والاستعمار .

وقبل ذلك نشر الاهرام بصفحته الأولى عمود ٦ و ٧ يوم ٢٨ مايو ١٩٦٧ وهو اليوم الذي تبرع فيه الملك سعود بالمبلغين ٣ و ٢ مليون دولار أن الأمير الكويتي عبد الله المبارك بعث برسالة إلى الرئيس عبد الناصر أعلن فيها تبرعه بمبلغ مليون دولار للقوات المسلحة في الجمهورية العربية تقديرا لموقفها البطولي .

كما نشرت الاخبار بعددها الصادر بتاريخ ٨ يونيو — وهو اليوم التالي لتبرع الملك سعود بمبلغ العشرة ملايين دولار النبا التالي — : « علم مراسل وكالة انباء الشرق الاوسط أن مجلس الوزراء الكويتي قد وافق بالاجماع في جلسة سرية طارئة عقدها أمس على تخصيص مبلغ ٣٥ مليون دولار لدعم الجهود الحربية للدول العربية . . »

وبمعنى أوضح فإن صحف هذه الايام امتلأت بقوائم التبرعات واسماء المتبرعين من مصر وخارج مصر ومع هذا

فان هذه الصحف ذاتها لم تشير الى المبالغ الثلاث التي دفعها الملك سعود لا في الصفحات الاولى ولا في الصفحات الداخلية .. وقد رجعت هذه الصحف بنفسى . أفلا يدعونا ذلك التصرف اى النساؤل ؟ « لماذا .. لماذا اعفلت سكرتارية الرئيس عبد الناصر ورئاسة تحرير الاهرام ذات الصلة الوثيقة باسرار عبد اناصر الاشارة الى ذلك بينما هى قد حرصت على ان تذيع فى صفحة الاهرام الاولى أن مواطننا ليبيا دفع عشرة آلاف دولار وأن اميراً كويتياً قد تبرع بمليون دولار .. ألم يكن تبرع الملك سعود يستحق أن يعلن على الناس ويشار اليه فى سطور ، أم أنه رأى احاطة ما دفعه الملك السعودى السابق بسرية كاملة لخطة مرسومة ؟ ..

واذا فرضنا أن الخبر نشر فعلا رغم الجهد الذى بذلته عبثا فى العثور عليه فأتى اتنازل عن صحة هذه الحجة مؤقتا ..

**طالب :** ( مقاطعا ) ولكن الم يرد فى الخطاب الرسمى الذى قرأته علينا الان أن قرارا جمهوريا رقمه « ١٣٥٠ » لعام ١٩٦٧ قد صدر بالأذن لوزير الاقتصاد والتجارة الخارجية نيابة عن حكومة الجمهورية العربية المتحدة فى اقتراض هذا المبلغ من الملك سعود ؟ اذن فالأمر لم يكن سرا ؟ .

**الأستاذ :** بل كان كذلك وهذا ما يثير شكوكا أخرى .. ذلك لأن القرار لم ينشر فى الجريدة الرسمية بل ظل سرا لا يعلمه أحد حتى رجال وزارة الاقتصاد والتجارة الخارجية ، ولعلك لاحظت أن رد الدكتور فؤاد الصراف على مستشار هيئة الوصاية على تركة الملك السعودى السابق كان رد الرجل الذى يرى مطالبة من تصرف فى هذا المبلغ لا مطالبة الحكومة المصرية وما ذلك إلا لأنه لم يكن يعلم به .

**الطالب :** ولكن كيف يمكن ألا ينشر قرار لرئيس الجمهورية فى الجريدة الرسمية ؟

**الاستاذ :** لقد رجعت بنفسى الى مجموعة الجريدة الرسمية المودعة في دار الكتب المصرية . فوجدت أن القرارات الجمهورية التي صدرت في هذه الفترة ونشرت بها قد اسقط منها القرار رقم ١٣٥٠ . . . وانىكم ما وجدت . .

ان شيك القرض قد قدم الى الرئيس عبد الناصر بتاريخ ٨ يونيو . . ومع هذا فان القرار الجمهورى بقبوله لم ينشر لا في هذا التاريخ ولا بعده . وعلى سبيل المثال فان القرار رقم ١٣٤٧ والقاضى بتعيين رئيس ونائب رئيس مجلس ادارة لبعض الشركات التابعة للمؤسسة العامة للدوائية صدر في ٣ ربيع الاول الموافق ١١ يونيو ١٩٦٧ ونشر في الجريدة الرسمية والقرار رقم ١٣٤٨ لعام ١٩٦٧ بتشكيل مجلس ادارة العبوات الدوائية ايضا في نفس التاريخ ونشر كذلك .

اما القرار رقم ١٣٤٩ — فلا وجود له بين القرارات المنشورة بالجريدة الرسمية ، والله اعلم بمضمونه . وكذلك القرار ١٣٥٠ الخاص بانقرض فلا وجود له في الجريدة الرسمية بل انه ضائع وغير مدرج ضمن القرارات المنشورة .

اما القرار التالى لذلك وهو القرار رقم ١٣٥١ لسنة ١٩٦٧ فقد صدر في ١٩ يونيو ١٩٦٧ بتعيين رئيس لمجلس ادارة الهيئة العامة للمطابع الادارية وكذلك القرار رقم ١٣٥٢ لعام ١٩٦٧ بتشكيل وزارة جديدة برئاسة عبد الناصر ( صدر في ١٩ يونيو ) والقرار ١٣٥٣ بتعيين الدكتور محمود فوزى مساعدا لرئيس الجمهورية للشئون الخارجية والقرار ١٣٥٤ بشأن . . . .

**الطالب :** ( مقاطعا ) ولكن كيف يمكن أن يختفى قرار لرئيس الجمهورية ولا ينشر في الجريدة الرسمية ؟

**الأستاذ :** هذا هو السؤال الذى يثير الشك . بل ان هناك واقعة هامة اعتقل فيها الاستاذ جمال العطيفى المحامى ووكيل مجلس الشعب ترد تفاصيلها على سؤالك وقد وقعت احداثها بعد وفاة الملك سعود بثلاثة أشهر .

نشر الأستاذ جمال العطيفى فى الاهرام الصادر بتاريخ ٨ مايو ١٩٦٩ مقالا بعنوان « ظاهرة خطيرة » أشار فيه الى أنه نشر بعدد الوقائع المصرية رقم ٧٨ الصادر فى ٧ أبريل ١٩٦٩ قرار من وزير العدل بتعديل اختصاص محكمة المرور بالاسكندرية رغم ان القرار كان قد صدر فى أول يناير ١٩٥٦ أى منذ أكثر من ثلاث عشرة سنة . وطالب الأستاذ العطيفى بعد ذلك بالتحقيق فى هذا الامر الخطير . ثم انتقل فى ختام مقاله الى الفقرات التى اعتقد انها أثارت كل الحساسية عند الرئيس عبد الناصر بحيث يادر فوراً وفى نفس اليوم الى إصدار امره باعتقال الأستاذ العطيفى .

فماذا جاء فى هذه الفقرات التى أثارت ثائرة الرئيس الى حد إصدار الامر باعتقال الأستاذ العطيفى فور صدور المقال . . . لقد قال فى ختام مقاله . . . « وأهم من ذلك أنه يقتضى إعادة النظر فى إجراءات نشر القوانين والقرارات التشريعية فى الجريدة الرسمية والوقائع المصرية . . »

« فان القوانين تخاطب الناس وهى لذلك تقتضى أوسع مدى من العلانية فى مجتمع ديمقراطى » .

« وظاهرة اغفال نشر بعض القوانين أو التراخى فى نشرها أو اعطاء تاريخ للنشر مفاير للتاريخ الحقيقى أو النشر فى عدد رمزى محدود من النسخ استيفاء لمجرد الشكل الدستورى — هذه الظاهرة قد تكررت . وفى السكوت عليها مخاطرة بحقوق المواطنين واهدار لسيادة القانون . . مجاف لروح بيان ٣٠ مارس » .

هذه هي الفقرات التي أثارَت ثائرة الرئيس جمال عبد الناصر . فهل فيها ما يثير أى فرد لا تحاط أعماله بالشكوك والريب ؟ ذلك لأن الذى يقرأ المقال كله من بدايته حتى قرب نهايته لا يجد فى ملاحظة الأستاذ جمال العطيفى بشأن قرار وزير العدل ما يثير ثائرة رئيس الجمهورية ويدفعه الى اتخاذ قرار باعتقال كاتب المقال فى اليوم ذاته ويصدر فى نفس الوقت قرارا آخر بوصفه رئيسا للاتحاد الاشتراكى باعفائه من جميع المناصب التى ينولاها فى الاهرام واسقاط عضوية الاتحاد الاشتراكى عنه ثم تعمدل الى الاكفاء باعفائه من عضوية مجلس ادارة الاهرام التى أعيد اليها بعد ٢٥ مايو ١٩٧١ . ذلك لأن مثل هذه الملاحظات تنبه الحاكم الى خطأ للعاملين فى الدولة تجعله يبادر الى محاسبة المسئولين . لا محاسبة الذى نبه الى الخطأ .

ان الأمر لم يكن أمر غضب لانتقاد خطأ ارتكبه وزارة العدل بشأن قرار يتعلق بتعديل اخنصاص محكمة المرور فهذا أمر لا يسأل عنه رئيس الجمهورية لأن المسئولية فى هذا هى مسئولية أجهزة وزارة العدل وانما أراد الرئيس جمال عبد الناصر بهذه الاجراءات بالغة العنف انذار كل من يفكر فى التعرض لموضوع نشر القوانين فى الجريدة الرسمية أو عدم نشرها وكذلك لكى تكون الاجراءات التى اتخذت ضد الأستاذ جمال العطيفى تهديدا لكل من تسول له نفسه الاقتراب من هذا الموضوع الخساس ..

بل ان الأمانة العامة للاتحاد الاشتراكى وزعت منشورا يتضمن أسباب الاعتقال كنوع من الهجوم المضاد .. ومما يؤكد أن الفقرات الأخيرة من المقال هى التى أثارَت ثائرة الرئيس المصرى ما قاله الأستاذ ضياء الدين داود عضو اللجنة المركزية العليا ( وهو مسجون الآن ) فى اجتماع لجنة الاتحاد الاشتراكى بمؤسسة الاهرام عند اجتماعها لبحث موضوع الاجراءات التى اتخذت ضد الأستاذ العطيفى ..

واليكم بعض فقرات من المناقشة توضح أن ممثلى الاتحاد الاشتراكى كرروا أكثر من مرة الاشارة الى الفقرات الأخيرة

التي جاءت في المقال . . . نقدر قال الأستاذ ضياء الدين داود  
« . . . والشق الثاني الذي اتكلم فيه الكاتب بالإشارة إلى  
أن هناك ظاهرة إغفال نشر بعض القوانين والتراخي في  
نشرها أو إعطاء تاريخ للنشر مغاير للتاريخ الحقيقي أو النشر  
في عدد رمزي من النسخ استيفاء للشكل الدستوري وأن  
هذه الظاهرة تكررت . . . »

ويعود الأستاذ ضياء الدين داود في حديثه ليقول بعد  
قليل : « والكاتب بمقاله يقول أن ظاهرة إغفال القوانين  
أو التراخي في نشرها أو إعطاء تاريخ للنشر مغاير للتاريخ  
الحقيقي أو النشر في عدد رمزي محدود من النسخ استيفاء  
لجهد الشكل الدستوري هذه الظاهرة تكررت . . . ولم يذكر  
وقائع تؤيدها . . . »

وهكذا تكررت الإشارة إلى هذه الفقرات الحساسة  
وما تحمله من معان مما يؤكد أنها هي السبب الرئيسي في  
الاعتقال بل لقد جاء في منشور الاتحاد الاشتراكي الموزع  
على لجانه ليشرح لها الأسباب التي دعت إلى اعتقال  
الأستاذ جمال العطيفي . . . « ولما كان تعمد دس هذه  
الاجراءات التي تعرض نضالنا الثوري للخطر والتي  
لا تستفيد منها غير القوى المضادة للثورة فقد أحيل جمال  
العطيفي للتحقيق حتى لا تستخدم وسائل يملكها الشعب  
( يقصد الصحافة ) ضد مصالح جماهير الشعب . . . »

ولا أريد أن أنقل لكم المزيد من محضر هذه الجلسة بل  
أكتفي بهذا القدر . ففيه الكفاية .

**طالب :** وماذا كان مصير الأستاذ العطيفي ؟

**الأستاذ :** ظل بمعتقل القلعة من ٨/٥/١٩٦٩ وهو يوم نشر المقال  
حتى ١٥/٥/١٩٦٩ أي مدة أسبوع كانت كافية لأن توصل  
الإنذار بعدم الاقترب من مثل هذه الموضوعات الحساسة

الى كل من تسول له نفسه بالتعرض أو الاقتراب من هذا الموضوع . ولست أظن أن أى حاكم يتصرف بالطرق الدستورية انسانية يمكن أن يفضى لمجرد ملاحظة عابرة يديها رجل قانونى ما لم تكن له تصرفات مشكوك فيها . . ويخشى أن تعرف أو أن تصل الشعب الذى من حقه أن يعرف كل شيء خاصة اذا كان الأمر متعلقا بأمواله التى هى من حقه .

**طالب :** هذا كلام خطير يصدمنا بواقع لا يقل عن صدمتنا فى ٥ يونيو ١٩٦٧ . ومع هذا فأننا نحب لو أنك وافقتنا على عدم الحسم فى هذا الموضوع برأى قاطع أملا فى أن يظهر ما يوضح ما وراء هذه الأسرار الغريبة ؟ .

**الأستاذ :** أنا لا أمانع فى هذا . ولكن علينا فى نفس الوقت أن نربط بين هذه الوقائع بما ذكره اللواء محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر فى مذكراته التى نشرت فى مجلة الحوادث اللبنانية وأتى جمعت بعد ذلك فى كتاب .

**الطالب :** وماذا قال هو أيضا ؟

**الأستاذ :** لقد ذكر واقعة حدثت فى الأيام الأولى للثورة تتلخص فى أن الرئيس عبد الناصر اقترح فى اجتماع لمجلس الثورة أن يحول مبلغ من المال قيل أنه عشرة آلاف جنيه الى الخارج باسم كل عضو من أعضاء المجلس ضمانا للمستقبل المجهول ولكن كل أعضاء المجلس — وقد أيد لى أحدهم الواقعة فى حديث شخصى — رفضوا الاقتراح مما اضطر عبد الناصر الى سحبه . . بعد أن قال انه كان يدافع أعضاء المجلس . . ويختبرهم !

**الطالب :** هل تحاول بذكر هذه الواقعة توضيح أن اتجاه عبد الناصر الى فتح حسب له فى الخارج هو اتجاه قديم ، لم يستطع تحقيقه فى البداية ثم حققه عندما تركزت السلطة فى يده ؟



**الأستاذ :** لك أن تستنتج ما تشاء . كما أنى أحب الإشارة الى واقعة محلية أخرى مؤيدة وهى أن الليثى عبد الناصر شقيق الرئيس رشح لعضوية مجلس الأمة عن دائرة من دوائر الاسكندرية فى أول انتخاب لمجلس الأمة وقد كان فى عام ١٩٥٧ على ما أذكر ، ولما كانت المعارك الانتخابية تحتاج الى مصروفات متعددة فقد سحب الرئيس ثلاثين ألف جنيه ( ٣٠.٠٠٠ ) من الأموال السرية — ملك الشعب — وحملها الضابط سعيد حليم سكرنير السيد زكريا محيى ادين وزير الداخلية اذ ذاك وسلمها بنفسه الى الليثى عبد الناصر ليصرف منها على المعركة الانتخابية .

.. فكيف حق له أن يفعل ذلك ؟

**طالب :** انى اقترح الاكتفاء بما دار فى هذا الحوار على أن نتجه الى المسئولين نطلب منهم أن يعلنوا على الناس كل الحقائق .

**طالبة :** ان هذه القصة بوقائعها المترابطة هى من اخطر ما سمعناه فى حوارنا منذ بدايته .. واستأذن الأستاذ فى أن نقف عند هذا الحد وأن نعود الى متابعة حوارنا الالىم الآخر .. حوار حول مأساة ٥ يونيو .

**الأستاذ :** ل أرى أنه قبل الانتقال الى التساؤلات التى سنختتم بها حوارنا فلابد من تذكركم بواقعة نشرت تتعلق بأكياس من الذهب هربها أحد المسئولين الكبار .. فنحن نذكر أنه عقب هزيمة ١٩٦٧ العسكرية أعلن الرئيس جمال عبد الناصر استقالته فى بيان أذاعه بالراديو والتليفزيون وكذلك استقالة المشير عبد الحكيم عامر . وكان أن انطلقت المظاهرات الى الشوارع والتى أطلقنا عليها شعار ٩ و ١٠ يونيو ، بعضها مصنوع ومرتب والبعض الآخر كانت تسيطر عليه عاطفة شعبية نابغة من طيبة المصرى وتمسكه بالمبدأ الذى نردده دائما وهو « أنا وأخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب » . وكانت المظاهرات تطالب ببقاء عبد الناصر فى الحكم .

ويبدو أن الاتفاق كان قد تم مسبقا بين الرئيس عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر على ترك منصبيهما معا . ولكن المظاهرات أعادت الأول وتركت الثاني مبعدا عن الجيش وعن كل مناصبه ، ومن هنا انطلق العداء المكتوم بين الانين الى العداء العلنى . . وهو العداء الذى تطور الى ما تطور اليه من محاكمة مؤيدى المشير عبد الحكيم عامر ونهاية رفيق عبد الناصر فى عملية قتل انها انتحارية وقيل انها تمت بقتله بالسهم وهو الامر الذى لا نبحت عن حقيقته فى هذا الحوار ، وانما نذكره للجنة تقصى الحقائق .

المهم انه خلال نظر القضية التى حوكم فيها مؤيدو المشير عامر أعلن لأول مرة أن أكياسا من الذهب هربت — داخلها — لصالح المشير . وكان أن توسعت جريدة « الأخبار » فى نشر ما ذكر عنها فى المحاكمة العلنية وبعناوين بارزة .

ولم يكن هناك ما يبرر غضب الرئيس عبد الناصر لكشف هذا الموضوع المتعلق « بالتهريب » . ولكن الذى حدث أنه انتهز فرصة اجتماعه برجال الصحافة العرب فى ١٥ فبراير ١٩٦٨ — أى قبل اعتقال الأستاذ جمال العطيفى ببضعة أشهر بسبب اعتراضه على عدم نشر بعض القرارات الجمهورية فى الجريدة الرسمية — وتكلم فى موضوع أكياس الذهب المهربة باسم المشير عامر وركز كلامه على القول بأنها لم تكن مهربة لحساب عامر الشخصى « بل لاستخدامها فى أغراض » . فماذا قال الرئيس عبد الناصر فى هذا الخطاب عن هذه الأغراض . . ؟

قال « يجب أن يعلم الشعب أن هناك انحرافات . علينا أن نقومها ، ولكن الصحافة عندنا حاولت أن تستغل محكمة الثورة ( التى كانت تحاكم المتمردين من أنصار عامر ) لزيادة التوزيع ونسيت أنها « عملية سياسية » أكثر منها عملية اثارة . أنا يوم ما لقيت عنوان إحدى الصحف عن الذهب والفلوس استغربت جدا لأن معنى هذا أننا نحول العملية من قضية سياسية أثرت فى مصر البلد الى قضية اثارة ومحاولة اظهار فلان أخذ ذهب وفلان أخذ فلوس !! »

العملية كما اعتقد . لا أظن أبدا أن المشير عامر حاول يأخذ الفلوس لنفسه ، أو حاول يأخذ الذهب لنفسه . ولكن أحنا نعرف أن كل شيء مباح في حالة التآمر . إذا أراد شخص أن يتآمر فهو يحصل على سلاح ويحصل على ناس ويحصل على قوى . ويحصل أيضا على فلوس علشان يستخدمها في انجاح هدفه ، الفلوس هنا زى الدبابات زى العيساكر . زى انضباط . تصوير العملية انها عملية فساد هو تصوير خاطيء . العملية عملية تستخدم في الهدف اللى كانوا مصممين عليه من أول يوم . . . » .

هذا هو نص كلام الرئيس عبد الناصر ، وتصورى أنه إذا أراد أن يقول انه إذا كان هناك هدف — وقد يكون منها مقاومة كل حركات مضادة للثورة التى كان يقوم عيها حكم الرئيس عبد الناصر — فإن أى أموال تهرب أو تدخر لهذا الغرض لا تعتبر فسادا . . وانما تعتبر عملية سياسية يراد بها حماية الثورة من ثورة مضادة .

**طالب :** أولا ترى أن هذا الكلام فيه بعض المنطق . . ؟

**الأستاذ :** بل أرفضه رفضا باتا . أن أى عملية من هذا النوع هى عملية لا رقابة عليها . وقد سبق أن هرب بعض زعماء الجزائر أموالا الى الخارج تحت شعار استخدامهما في عمليات مقاومة كل ثورة مضادة ثم وضع فيما بعد أنه شعار كاذب وحاولت حكومة الجزائر الحالية إعادة هذا المال بكل الوسائل . . بل أن هذه التصرفات تعنى أن مال الشعب قد أصبح فى هذا العهد منطبقا عليه الكلمة المعروفة « المال السايب » . ونحن نعلم ماذا يعلمنا هذا المال السايب ؟ . .

**طالبة :** وهل هناك مزيد من الوقائع ؟

**الأستاذ :** نعم هناك واقعة مؤكدة ، وهى أن واحدة من بنات الرئيس عبد الناصر — الذى كان يتفاخر بفقره — طلبت من الإصلاح

الزراعى فى عام ١٩٧٥ على ما اذكر ان يبيعها قطعة من الارض باقرب من فندق مينا هاوس بأهرامات الجيزة ، وبجوار ناد اسمه « نورنج كلوب » . . وهى قطعة ارض مساحتها ٢١ فدانا ، ويبلغ ثمنها الاصلى - اى بغير مقارنة بأسعار السوق التى ارتفعت ارتفاعا مذهلا - بين ١٥٠ ألفا و ٢٠٠ ألف جنيه - ولكنها كما عرفت توقفت عن الشراء لان الاصلاح الزراعى يطلب فيها أضخاف المبلغ الذى كانت تعرضه وفقنا لأسعار السوق فى ذلك الوقت وهنا الا يحق لنا ان نسأل كريمة الرئيس عبد الناصر : « من أين لك هذا ؟ وقد كان والدك يقول انه الرجل الفقير الذى لا يملك شيئا ؟ » .

**طالب :** هذه وقائع تسبب لنا صداعا . . ولا أحسب ان هذا الصداع سيزول الا اذا طرحنا على المسئولين ما نتفق عليه من التساؤلات المستمدة من هذه الوقائع كلها . .

**الأستاذ :** هذا صحيح . ومازلت عند اتفاقى معكم من أن وضع هذه الوقائع لا يعنى الا أمرا واحدا . هو أن نطمئن ونرتاح بما نتوقعه من اجابات . . ومن هذا الواقع فانى أضع أمامكم تصورى لنوع هذه التساؤلات . .

**اولا :** ان تاريخ العملية المالية مع الملك سعود بن عبدالعزيز يتفق مع التاريخ الذى انتهت فيه معركتنا الخاسرة مع اسرائيل وكان الرئيس عبد الناصر يستعد لاعلان تنازله عن رئاسة الجمهورية . . فهل كان تحويل الشيك الى حساب باسمه فى بنك باريس والبلاد الواطئة استعدادا لمواجهة المستقبل ؟

**ثانيا :** واذا لم يكن كذلك وكان المبلغ قرضا ، كما ذكر فى القرار الجمهورى رقم ١٣٥٠ لعام ١٩٦٧ فلماذا لم ينشر فى الجريدة الرسمية ؟ والاقتراض ليس عيبا بحيث يخفى اعلانه ، ولا يعرف به المسئولون الا بعد اكتشاف وقائعه ابتداء من عام ١٩٧٠ ؟

**ثالثا :** لماذا أثار مقال الأستاذ جمال العطيفى بجريدة الأهرام الرئيس جمال عبد الناصر بينما هو يتعرض فى صلب المقال لقرار وزارى ثم تعرض فى ختام المقال لمسألة دستورية سليمة منبها الى ضرورة نشر كل القرارات الجمهورية فى الجريدة الرسمية .

**رابعا :** واذا كانت اجراءات الرئيس السابق دستورية وملنزا فيها بالحرص على أموال الشعب ، فلماذا لم يأمر بالتحقيق مع الذين أهملوا نشر القرارات الجمهورية فى الجريدة الرسمية بدلا من القاء القبض على من نبه الى هذه المخالفات الدستورية ؟ اليس من ايطبعى أن يثور الحاكم للخطأ الذى يرتكب ، لا أن يعاقب الشخص الذى نبه الى وقوع هذا الخطأ .

**خامسا :** اليس من حق الشعب أن يعرف أين تذهب أموال التبرعات والقروض التى يتحمل أعباءها وتصبح دينا عليه يدفعه من عرقه ؟ ثم ألم نكن نشكو — وما زلنا — من توقف بعض مصانعنا الكبرى والصغرى بسبب عدم وجود العملة الصعبة التى تشتري بها بعض قطع الغيار . ؟ بينما كانت الأموال موجودة بشكل تبرعات أو قروض .

**سادسا :** لماذا وصف الرئيس عبد الناصر عملية تهريب المشير عامر لأكياس الذهب بأنها عملية سياسية ؟ ورفض فى نفس الوقت وصفها بأنها عملية فساد ؟ هل هناك دافع داخلى دفعه الى ذلك ؟

**سابعا :** من أين جاءت كريمة الرئيس عبد الناصر الثانية بالأموال التى تمكنها من شراء قطعة أرض كبيرة فى القاهرة بينما كان والدها يتباهى بأنه الرجل الفقير الذى لا يملك شيئا الذى قال الأهرام عند وفاته أن ما كان فى جيبه فى ذلك اليوم لا يتعدى بضعة قروش وكان ذلك اليوم هو من أيام الشهر الأخيرة !!

**ثامنا :** ماذا كان مصير المبلغ — الذى هو من الأموال السرية ملك الشعب — والذى صرف لمساعدة شقيق الرئيس

الليثى عبد الناصر في معركته الانتخابية لعضوية مجلس  
الامة بالاسكندرية ؟ هل أعيد الى خزانة الدولة . . أم أنه  
كان هبة من أخ الى أخيه ؟ والأ تذكرون القرار الذى اتخذه  
مجلس الثورة بـحرمان بعض الصحفيين من عملهم لأنهم  
كانوا يبقاضون مصروفات سرية من حكومات ما قبل  
الثورة ؟

هذا هو جانب من التساؤلات الشعبية ، وقد عرضت  
نفس هذه الوقائع على اقصاى اتق فيه ، وطلبت منه  
أن يحضر معنا هذا الحوار من بدايته . وأن يختم هذا  
الحوار بملاحظاته وتوقعاته واقتراحاته . وها هو يدلى  
اليكم برأيه .

وبدا الصديق الذى دخل مع الأستاذ قاعة الحوار يدخل فى  
الموضوع مباشرة .

### أولا : التبرعات

الاقتصادى : أبدأ الكلام عن التبرعات :

ان التساؤلات التى نطرحها تختلف حسب اختلاف المبالغ  
والوقائع ومكان حوادثها . محليا أو خارجيا ، بالعملة  
الصعبة أو بالعملة المحلية ؟

وأول هذه التساؤلات هو التبرعات .

لقد جاء فى سياق الحوار أن الملك سعود تبرع بمبلغ  
٢ مليون دولار ، ٣ ملايين دولار وأحد الشيكين كنب باسم  
صلاح نصر ، والآخر باسم الرئيس جمال عبد الناصر .

وهنا نتساءل :

١ - لماذا كنت الشيكات بأسماء أشخاص ؟ وأي كان  
الشخص رئيس مخابرات أو رئيس جمهورية فإن هذه  
التبرعات ليست شخصية لأنها دفعت فى ظروف معينة ،  
وهى ظروف الحرب ، وكل القرائن تدل على أنها دفعت  
للدولة .

وكان الواجب علينا أن نطلب من المتبرع كتابتها باسم  
وزير الخزانة المسئول عن المال في الدولة .

٢ — والتساؤل الثاني هو : « أين أودعت الأموال  
وباسم من ؟ » . والظاهر من الحوار أن الأموال أودعت  
بحساب ياسم الرئيس جمال عبد الناصر ، وكان الواجب  
أيداعها في حساب ياسم الدولة . ولنا أن نتصور مقدار  
ما يمكن أن يحدث من فوضى اقتصادية إذا أودعت أموال  
الدول والمؤسسات والشركات بأسماء رؤسائها ، فلا فرق  
هنا بين المال العام والمال الخاص ؟ .

٣ — والتساؤل الثالث هو : « كيف صرفت هذه الأموال ؟ »  
هل صرفت لصالح الحرب أو نصبت للورثة ؟ .

٤ — أما آخر الأسئلة عن هذه النقطة وأهمها فهو :  
« هل ظهرت التبرعات في ميزانية الدولة كبند من بنود  
الايرادات أم لم تظهر ؟ وما معنى عدم ظهورها ؟ » .

ولهذا فأننى كاقصادى أقترح :

ألا يضعنا كل هذا أمام سؤال هام ، هو مسئولية وزير  
الخزانة والوزارة والمسئولين عن الحكم لتنظيم استلام  
التبرعات . وهنا إذا كنا لا نحاسب ونترك الحساب لغيرنا .  
فلا أقل من أن نضع ما وصل اليه المالىون والمحاسبون  
حسب خبراتهم الطويلة في شئون الاختلاسات والسرقات  
حتى يمكن أن نتلافى مستقبلا ما حدث في الماضي .

١ — يجب أن يكون معروفا لمن يكون التبرع . « ان  
التبرع ليس شخيصيا بل هو تبرع لغرض معين وان كان  
لحفلة ساهرة » . ويجب أن يطمئن المتبرع الى سلامة  
استخدام المبلغ المتبرع به للغرض الذى تبرع من أجله .  
ومن البديهيات فى علم المال والمحاسبة أن الشيك  
المسطر هو أسلم وسيلة لنقل المال الى الجهة الواجب  
أن يصل اليها بسلام . ويستلزم الأمر أن يكون الشيك  
مكتوبا باسم الجهة الصحيح وليس باسم شخص ، فلا يكتب

الشيك باسم صلاح نصر أو جمال عبد الناصر بل يكتب باسم الدولة .

فإن من شروط صرف الشيك المسطر هو أن يكون سداده في حساب في البنك ولا يمكن تحويله .

٢ — من الواجب أن يظهر للشعب الذى دفع التبرع له بيان مفصلي بالتبرعات ومصدرها وكيفية التصرف فيها فبذلك نقطع سبل التلاعب عن المختلسين ونعطي المتبرع الشكر الواجب ويعرف الشعب الحقيقة .

٣ — تكون مسئولية ورقابة سلامة التصرف من لجنة عليا تتكون من رئيس مجلس الشعب ورئيس الوزراء ورئيس الاتحاد الاشتراكي ورئيس ديوان المحاسبة . ولا يمكن القول بأن هؤلاء الرؤساء يخفى عليهم أى سر من أسرار الدولة خصوصا بعد التصرف فى الأموال وليس قبل التصرف فيها ، وبذلك لا تتأثر المشتريات الحربية باذاعتها قبل انمامها . فالمطلوب هو رقابة لاحقة للصرف تطمئن الشعب على سلامة التصرف .

٤ — لابد أن تدخل التبرعات ميزانية الدولة كبند من بنود الإيرادات . وبذلك نخضع للقواعد الخاصة بالمسأل العام : **والا فان عدم ادخالها الميزانية يبعدها عن كل مساءلة ويعطى للمسؤولين توهم الحق فى التصرف فيها كيفما شاعوا ، كأنها من أموالهم الخاصة .**

### **ثانيا — القروض وشيك العشرة ملايين :**

أما النظرة الاقتصادية الى مبلغ العشرة ملايين دولار ، والتي اعتبرت قرضا على الحكومة ، فهنا تزداد المسئولية وتتضخم . فإن المبلغ كبير ، والغرض الذى منح له يعد من الأغراض السامية . واستخدام القرض استخداما سليما يخفف من وطأة الديون التى على الدولة . ويساعد ان لم يكن فى كسب المعركة التى خسرناها مثلا فيمكن ان يساعد الدولة على مواجهة هزيمتها القاسية .



والتساؤلات الاقتصادية حول هذا التصرف هي :

١ - لماذا أودع هذا المبلغ في حساب باسم الرئيس جمال عبد الناصر ؟

ولا يمكنني الرد على ذلك بسذاجة سياسية بأن الشيك كتب باسم جمال عبد الناصر ذلك لأن العرف المصرفي يسمح بتحويل الشيكات فلا أقل من أنه كان يجب أن يحول الشيك باسم الدولة .

٢ - لماذا صدق السيد محمود صدقي مراد نائب محافظ البنك المركزي في ذلك الوقت على التوقيع وهو رجل المال ويعرف معنى تحصيل الشيك باسم شخص وليس باسم الدولة ؟ . وهل تأكد السيد نائب المحافظ من قيسد القرض بالعملة الأجنبية في دفاتر البنك والدولة ؟ .

٣ - ما هي الأبواب التي صرف فيها هذا المبلغ أم أنه أصبح حقاً للورثة ؟

٤ - هل تضمنت الميزانية الخاصة بعام ٦٧ كإيراد في العملة الصعبة قيمة هذا الشيك ؟

٥ - كيف صدر القرار الجمهوري ولماذا لم ينشر في الوقائع الرسمية ؟

٦ - كيف تم سداد القرض - وهو في صورة بضائع - أي في حكم العملة الصعبة مع العلم بأن خطاب وكيل الوزارة في ١٢/٢/٦٧ لا يشير إلى إضافة قيمة القرض بالعملة الصعبة لحساب وزارة الخزانة ، بل أشار فقط إلى عملة محلية ؟ هل هناك على الأقل جريمة تهريب عملة ؟ ومن أين جاء السداد بالعملة المحلية ؟

٧ - كيف يقوم وكيل وزارة الخزانة المختصة بالمال والتي تصرف العملة الصعبة فيوقع خطاباً يتناول قرضاً بالعملة الصعبة بمبلغ ١٠ ملايين دولار . ويؤمن على

اضافته بالعملية المحلية ، ويقول بعد ذلك ان هذا القرض لم يسدد طبقا للاتفاق وذلك بعد مضي ثلاث سنوات ثم تكون تأثيرته « البحث والأفاده » .

٨ — هل يتضمن الدين الضخم على مصر والذي أعلن في مجلس الشعب أخيرا مبلغ الملايين العشرة الذي دفعها الملك سعود .

وفي الواقع فإنه يمكن اضافة عشرات من التساؤلات الأخرى . ولكن يجب علينا قبل ذلك ان نتمكن من الحصول على حقائق أكثر ونفاصيل دقيقة نوضح كل ما أحاط بهذا المبلغ ، وان كان ذلك لا يمنع من طرح تساؤل آخر في هذا الموضوع ، وهو :

٩ — لقد نولى وزارة الخزانة محاسب قانوني يعرف أكثر من غيره أصول الرقابة والمحاسبة ، وقد صرح وزير الخزانة اللاحق له ، أنه عندما استلم الوزارة لم يجد بها سجلا مقيدا به ديون الدولة بل لم توجد إدارة لذلك بالرغم من البلايين التي تمثل هذه القروض . بل الأدهى من ذلك أنه كان يلجأ للدولة الدائنة لمعرفة حقيقة ديونها . والسؤال هنا « لمصلحة من تفضي وزير الخزانة السابق المحاسب والمراجع القانوني عن اظهار العقود الخاصة بالديون في الدفاتر والميزانية عند العرض على مجلس الشعب ؟ » .

على أنه لكي تحقق هذه المناقشات فائدة ما فلابد من اقتراح ضوابط تصلح للمستقبل :

١ — يجب أن تعرض على مجلس الشعب كل القروض مع شروطها . ذلك لأن القرض ما هو إلا دين على الشعب وليس دينا على رئيس الجمهورية . والذي سيقوم بالسداد هو الشعب وليس رئيس الجمهورية .

٢ — يجب أن تقيد جميع القروض التي ترتبط بها الدولة وتُنشر في الصحف والجريدة الرسمية .

٣ — يجب أن تشمل الميزانية كل القروض ويخضع التصرف فيها كما تخضع له أموال الدولة من تصرفات .

أما إذا انتقلنا من الكلام عن التصرف في الدولارات الى الكلام عن التصرف في الجنيهات المصرية فهناك تساؤلان عن تصرفات ابنة رئيس الجمهورية وشقيقه .

١ — من أين لابنة رئيس الجمهورية القدرة المالية لشراء قطعة أرض في القاهرة يبلغ ثمنها ١٥٠ ألف جنيه أو ٢٠٠ ألف جنيه ؟

وعلينا عندما نبدأ في الرد على هذا التساؤل أن نضع في اعتبارنا أن مرتّب رئيس الجمهورية وبدلات تمثيله لا تمكنه — وهو الرجل الفقير أصلاً — أو تمكن ورثته من اتمام عمليات شراء مهما تكن قيمتها . خاصة أن هذا المرتّب يخضع للضريبة إذ أن رئيس الجمهورية غير معفى من الضريبة كما كان الحال مع الملك السابق فاروق .

٢ — ان الشقيق الأكبر صاحب المدارس الخاصة التي قيل أنها لا تخضع للضريبة ، عنده أموال كبيرة لا يمكن أن نسأل أين مصدرها آذ من السهل القول أنها من إيرادات المدارس . ولكن مع كل هذه الأموال التي كان يكسبها ، هل كان في حاجة الى مبلغ ٣٠٠٠٠ جنيه أخرى .

أم انه اعتبر هذا الترشيح لخدمة الدولة ولهذا فانها يجب أن تصرف عليه دون الاقتراب من ماله الخاص ؟ وهذا في رأيي أشير أهم تساؤل : « من هو الرقيب على الصرف من الأموال السرية ؟ وما هو الحد الفاصل بين الاستخدام لغرض شخصي والاستخدام لغرض عام ؟ » .

### ثالثاً — عن المستقبل :

ومرة أخرى فان حواركم هذا مع الطلاب يجب أن يستفاد به لتحسين المستقبل ، واليكم ما أراه اقتراحاً لذلك :

« لابد من وجود لجنة عليا من عدد محدود من الأشخاص  
المسؤولين عن الحكم يقومون بمراقبة الصرف من الأموال  
السرية ، ولا بأس منه أن تشكل من نفس الأشخاص الذين  
سبق الإشارة اليهم ، وهم : رئيس مجلس الشعب ،  
رئيس الوزراء ، رئيس الاتحاد الاشتراكي ، رئيس ديوان  
المحاسبة .

وأخيرا لابد من أن تعرض تفاصيل جميع الوقائع التي  
سبق إثارتها في حواركم على الشعب ليحكم عليها حكما  
نهائيا ، وهو الذي يقر سلامة هذه التصرفات من عدمها .

**طالب :** — ... هذا كله كلام خطير . ولكن ما هي النتيجة التي وصلنا  
اليها ؟

**الأستاذ :** لقد اجتهدنا وأظهرنا ما عندنا . وعلى غيرنا أن يكمل  
الصورة . فتظهر الحقيقة أيا كانت الية أو غير الية .  
اننا لا نبغى الا الحقيقة ...

...  
...

**وساد الصمت قاعة الحوار . وانتهى اللقاء بلا مزيد من  
كلام ..**

## الحوار الثالث عشر كلام عن معركة ٥ يونيو

وكان الأستاذ هذه المرة ، يشمر باجتهاد شديد ، فقد قضى أربع ساعات يمر بين صفوف طلبته وهم يؤدون الامتحان في مادته .. وهو صاحب فلسفة — غير مقبولة لدى الوسط الجامعي — تتلخص في أن وجود المتحنيين بين الطلبة يهدىء من اعصابهم ، ويذهب عنهم « رهبة الامتحان » ~~لاحتسابهم بأن استاذهم الى جانبهم~~ ، وأنهم يستطيعون سؤاله فيما يجوز فيه السؤال .

وفي هذا اليوم بالذات قال له زميل جامعي — مداعبا — « انك تعامل طلبتك بأسلوب جديد علينا .. » فتظاهر بأنه لا يفهم ، ولم يظهر أنه في حاجة الى أن يفهم ..

وبدا الطلبة يتسللون من قاعات الامتحان بعد أن انتهت الساعات الأربع كاملة ، وتسابق بعضهم الى المكان الذي اختاروه للالتفاف حول استاذهم ، وبدأ عليهم ما يبدو على العائدين من مباراة رياضية .

وسألهم الاستاذ : هل نناقش اسئلة الامتحان .. ونصرف .

قالت طالبة : أما عن مناقشة الاسئلة فاننا نرفض ذلك ، ان اجاباتنا أصبحت وديعة بين يديك ، ونحن مطمئنون الى أنك لا تصحح الاوراق بطريقة « البحث عن الخطأ لانزال العقاب بنا .. »

وقاطع طالب زميلته قائلاً :

ومادما نتكلم عن الخطأ ونناقش الخطأ اليس هذا موعدنا للكلام عن ٥ يونيو .

وردت طالبة : لقد سرقت افكارى .. لقد تعمدت ذكر كلمة «الخطأ»  
لأنى كنت أريد أن اقتفز الى يوم اسود فى تاريخنا ، هو  
يوم ٥ يونيو ..

واستمرت الطالبة فى الكلام موجهة سؤالها الى أستاذها  
« لقد كنا نتوقع أن تسألنا فى الامتحان عن هذا اليوم  
الاسود » .

الأستاذ : لقد كان فعلا من الايام السوداء التى لا تنسى ، ولكن لماذا  
لا نأخذ زاوية أخرى من زوايا هذا اليوم كى نناقشها  
ونحللها .

الطالبة : وهل فى هذا اليوم سوى السواد والحزن ؟

هل يمكن أن نستخلص من مقدماته وذبوله ونتائجه سوى  
التمزق والانهيـار والقلق وضـياع الـامال العريضة التى  
عشناها سنوات طوال ؟

الأستاذ : ( مبتسما ) نعم . . . هناك زاوية أساسية مهدت لمسح  
هذا القلق والتمزق والانهيـار . . انها الزاوية التى كشفت  
عن حقيقة الوضع الذى كنا فيه ، ولو أن هذا اليوم  
اختفى من تاريخنا لكان محتملا أن يتطور وضعنا الى  
أسوأ ما انتهت اليه كارثة ٥ يونيو ..

طالب : هذه فلسفة لا نفهمها ؟

الأستاذ : ولماذا تصرون دائما على وصف الكلام المنطقى بأنه  
« فلسفة » ؟ اننى اطلب منكم أن تعودوا — فقط — الى  
الايام الأخيرة من شهر مايو والايام الاربعة الاولى من شهر  
يونيو ١٩٦٧ .. واسألوا انفسكم : ماذا كان احساسكم  
فى هذه الايام بالنسبة لوضعنا العام — خارجيا وداخليا ..

**طالبة :** كنا نحس بأننا قوة ضاربة ، بل نذكر اننا أعلننا استعدادنا لمواجهة جيوش العالم كله .. بما فيها جيش واسطول دولة كبرى ..

**الاستاذ :** ثم ...

**طالبة :** ماذا تعنى بكلمة « ثم » .

**الاستاذ :** ماذا كشف لكم ما حدث في ٥ يونيو ؟

**الطالبة :** تعنى الهزيمة ؟ .. لقد كشفت عن مأساة ...

**الاستاذ :** وما هو الاصل في هذه المأساة ؟ لست أريد اجابة منك ؟ بل ارجو أن تسمحى لى بأن امضى فى « فلسفتى » اذا كنت مصرّة على استعمال هذه الكلمة .

ان هذه المأساة ازاحت الستار الكثيف الذى حال بيننا وبين معرفة حقائق ما يجرى وراء الستار ؟ لقد كانت بداية طرح السؤال الكبير ، كيف حدث هذا ؟ .

ونتيجة لاننا طرحنا هذا السؤال — بعد طول استسلام غير طبيعى للاكاذيب — بدأت الحقائق تتكشف واحدة بعد أخرى .. فلم يكن أمامكم الا أن تثوروا ، وقد ثرتم فعلا أكثر من مرة .. وتظاهرتكم فى الطرقات وهاجتم دور الصحف التى حملت لواء « الكذب والتضليل » .

**طالب :** ولكن هذا كله لم يستمر ليحقق نتيجة ملموسة بل ..

**الاستاذ :** ساقاطعك لاقول انه لم يكن ممكنا أن تتحقق النتائج بسرعة لأسباب كثيرة . لقد كان فى الامكان ضرب غضبتكم بقوة . ولكن المهارة فى الخداع سمحت لجزء من بخار الغضب المكتوم أن يتسرب الى الخارج .. تطبيقا لمبدأ الانحناء للعاصفة . واستعدادا لمعاودة السيطرة على الموقف فى عنف وضراوة . كانت انطلاقتكم علامة صحية

— فعلا — أكدت لمن بيدهم الامر ضرورة الاستعداد لحقن الشعب بجريمة كبيرة من « المخير » الذي يعيده ويعيد الشباب خاصة الى الكهوف التي أعدت لهم .

وقد كان . .

اذ لم تلبث غلول التضليل بعد أن استعادت سيطرتها على الموقف ، أن بدأت مهمتها الجديدة . . فأخذت الصحف تدق الطبول بنغمات جديدة . . وعادت عجلة المطابع تدور لتخرج على الناس بالاكاذيب ، وبالأضاليل . . وإذا كانوا لم يستطيعوا أن يحولوا هزيمة يونيو الى النصر . . فقد اكتفوا بأن سموا النكبة « بالنكسة » .

**طالبة :** ومع هذا ابينا العودة الى الكهوف . . اننا لم ننم نومة أهل الكهف ؟

**الاستاذ :** لم تصمتوا ، ولم تناموا فعلا . ولكن اهتماماتكم وتحركاتكم بعثرت في اتجاهات غير مدروسة ، أو بمعنى أصح ادخلتكم « الكهوف » التي علق عليها اسم « التنظيمات » فزاد بعضكم ضيقا ، وتسرب اليأس الى البعض الآخر وخضع الباقى لتيارات خارجية . . بذلك كله تحقق الهدف في أن يتمزق الشباب مرة أخرى ، وأن تذهب صرخاته وتحركاته دون نتيجة — وبمعنى آخر نجحت حملات التضليل والتشكيك في الحقائق في تمزيق وحدة الغضب الأولى .

**طالب :** لست أدري لماذا تصر دائما على أن تلقى التبعة على أكتافنا ، انكم أيضا أكثر مسئولية منا ، فقد تحرك الشباب ، ولم يتحرك الذين ارتدوا رداء الخبرة والتجربة .

**الاستاذ :** لقد تحركنا في شبابنا وحققنا أكثر من نتيجة ، ولو أنك عدت الى حركة الشباب في عام ١٩٣٥ لادركت ان شباب ذلك الوقت كان قادرا على فرض ارادته على الكبار الذين يحكمون ، وانه عندما كان يتجح في تحقيق ما يهدف اليه



كان يتراجع الى مكانه الطبيعي ليرقب ويتابع .. ثم يعاود غضبه اذا رأى الثمرة غير محققة .. ان عيبكم انكم لا تقرأون تاريخ بلادكم القديم .. وقد امرتم بأن تقرأوا التاريخ كما كتب لكم ولم تفكروا في أن تبحثوا بأنفسكم .

**الطالب :** لم نكن في حاجة الى ذلك .. لاننا فعلا كنا نريد أن نفصل حاضرنا عن ماضينا ..

**الأستاذ :** من الخطأ القول بأنكم « أردتم ذلك » وانما أرادت أداة الحكم لكم ذلك فخضعت لها .. ان الذى يفصل ماضيه عن حاضره . هو الجاهل الذى لا يعرف أن الحاضر صورة « معدلة » من الماضى ..

**طالبة :** انى احس بأننا نكاد نخرج عن اصل موضوع حوارنا .. ولعل السؤال التالى الذى نطرحه للمناقشة هو : ماذا كنت تريد منا أن نفعل بعد أن تحركنا وتوقفنا ؟

**الأستاذ :** كنت أود أن تكون « يقظتكم » كاملة ، فتحرصوا على رفض كل تكرار للماضى .. وتصروا على أن تكون « محاسبة » المسئولين عن كارثة ٥ يونيو سريعة وحاسمة .. وقد كان ممكنا أن يؤدي هذا الحساب الى فتح أبواب الماضى على مصاريعها لتخرج منها الرائحة « الكريهة » وينظف البيت ، ويعرف كل مخطيء ان الخطأ له ثمنه ، وأن الشعوب لا تفرط في حقوقها بسهولة ..

**طالبة :** ألم يحدث هذا في حركة التصحيح ؟

**الأستاذ :** وهل كان يجب الانتظار هذه السنوات الطوال ليتسم التصحيح على مراحل .. ؟ اليس في هذا الانتظار الدليل على أن الشعب قد رضى بمساتم في ٥ يونيو ؟ ألا تذكر عضو مجلس الأمة الذى وقف يرقص في المجلس وقواتنا مازالت تضرب في صحراء سيناء باحثه عن طريق آمنة

تقودها الى ارض الوطن .. الم تنشر هذه الصورة في  
(X) صدر صحيفة الاهرام كدليل على فرحة الشعب ..

طالبة : فرحته بماذا ؟

الاستاذ : فرحته باستمرار الاوضاع كما كانت وان ٩ ، ٦ ، ١ يونيو  
كانا من ايام تاريخنا المجيد .

طالبة : هذا غير صحيح ؟ انك تجرحنا بهذا الكلام ..

الاستاذ : هكذا ننسى بسرعة ، وهذا هو عيبنا الاكبر . ان نخضع  
للعاطفة ، وتنساق وراء الخيال والامال الكاذبة . عودى  
الى صحف الايام السبعة او العشرة الاولى من شهر يونيو  
وستقرأين ما يؤيد هذا الكلام ، ولعلك عشت في تلك  
الفترة مندفعة في تيار « الخداع » فمرت الاحداث .. ولم  
تترك في نفسك الجرح الكبير .

طالب : فليكن هذا صحيحا فماذا تطلب منا الان .. ؟

الاستاذ : امر بسيط .. ان تبدأوا في دراسة تاريخنا الماضى وان  
تفهموا جيدا ما كنا فيه .. ثم نقيم هذا الماضى تقييما عادلا ،  
ونضع لانفسنا مبادئ اساسية ، مستمدة من التجارب  
التي مرت بنا في تاريخنا الحديث ، وان نحدد بشكل قاطع  
ما نقبله وما لا نقبله . وان نضع النقط فوق الحروف ، ثم  
نتعلم النطق بلغة الرفض متى تأكدنا ان هذا الرفض من  
الضروريات اساسية .

اننا لا ننكر ان نصر ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قد مسح بعض الخطايا،  
ولكن من المؤكد ان الاستفادة من احداث ٥ يونيو لم تتحقق  
حتى الان .. اذ مازال بعض الناس يتوهمون ان النكسة  
كانت من صنع الذين عوقبوا وذهبوا بينما الحقيقة ان  
المسؤولين الحقيقيين مازالوا — غيابيا وحضوريا —  
يتحركون في دائرة البراءة .. وهذه هي الجريمة الكبرى  
في حق شعب عاش في وهم .. ويقاسى الان ويلات هذا  
الوهم .. ؟

**طالبة :** اننى احس اننا ندخل فى موضوع قد يطول بحثه . . اننا هنا نريد أن نفهم حقائق ٥ يونيو ؟

**الأستاذ :** ان الكلام عن حقائق ٥ يونيو لا يمكن أن يتم فى حوار أو أكثر . . فهو أكبر من ذلك بكثير ، وملفاته مازالت مغلقة ، ولكى تكون حيثيات الحكم فى هذه القضية الكبرى سليمة لابد من فتح هذه الملفات ، ولست ادعى انى اعرف كل هذه الحقائق أو الكثير منها الذى يسمح لى بأن أكون امينا معكم ، ولكن الذى اعرفه كمصرى ان نتائج هذا اليوم قد فتحت أبواب القاهرة على مصاريعها لى يدخل منها جيش محتل . يمثل دولة صغيرة هى اسرائيل . . وانه بعد ١٥ عاما من قيام ثورة مصرية كان من أهدافها الستة إقامة جيش وطنى قوى ، هزم هذا الجيش فى معركة لم تستمر أكثر من ستة أيام كان اليوم الأول منها حاسما صارخا بالهزيمة . فهى معركة اليوم الواحد وليست معركة الايام الستة .

**طالب :** ولكن ما قاله الرئيس عبد الناصر فى مؤتمره الصحفى السابق للمعركة كان يؤكد أن وضعنا كان طيبا .

**الأستاذ :** نعم فقد تضمن هذا المؤتمر الصحفى الذى عقده الرئيس عبد الناصر مع ممثلى الصحف العالمية فى نهاية شهر مايو أن مصر قد استعدت لكل احتمال عسكرى حتى أن أغلبية الشعب المصرى اعتبر ما جاء فى هذا المؤتمر من أقوى ما صرح به الرئيس عبد الناصر .

**الطالبة :** هذا صحيح . ؟

**الأستاذ :** ثم اتضح بعد بدء المعركة أن كل ما ذكره غير صحيح .

**الطالبة :** انى أرى أن المصلحة تحتم أن نتكلم عن الايام السابقة لمعركة يونيو ليكون كلامنا سليما .

**الأستاذ :** لا ما نع من ذلك ، ولكن لى نكون منصفين ولكى يكون

حوارنا عادلا لايد من القول بأن ما سأرويها لكم عما أعرفه من وقائع هو أمر مؤكد عشته بنفسى أو حققته بنفسى . ومع هذا فما زالت كل وقائع هذا اليوم الخطير أكبر من أن نلم بها فى حوارنا .

والمهم الذى أريد إبرازه هو أن الوقائع التى سأرويها لكم تدل على أن الجديده فى المعركه لم تكن منوافره وأن الزعيم أراد أن يلعب لعبة سياسية يستخدم فيها جيوش العرب وكرامتهم دون أن يكون مستعدا لصيانة لعبته السياسية من الانهيار المرعب . . فكانت النتيجة لذلك نكبة سياسية وعسكرية مآزلنا نعيش اصداؤها حتى الان .

ومهما يكن من أمر فقد تحركت القوات المصرية فى صورة مواكب ، مندفعة الى الجبهة المصرية فى سيناء وعلى حدود اسرائيل ، وانطلقت فى نفس الوقت عدسات التليفزيون المصرى تصور هذه التحركات وإذاعت الصحف والراديو انباء هذه التحركات مما جعل الناس يتساءلون : « هل لهذه التحركات طابع الجدية ؟ وإذا كان لها طابع الجدية فعلا فهل تذايع أسرار هذه التحركات بهذه الطريقة البدائية ؟ وإذا لم تكن هذه اسراراً عسكرية ، فما هى الأسرار العسكرية إذن ؟ »

ومن المؤكد أن الصحفيين الذين ذهبوا الى الجبهة ، عادوا يروون لنا قصصاً غريبة ، فقد كانت القوات المصرية تتحرك الى الجبهة بلا طعام ، وبلا ماء ، وبلا استعداد ، وقد روى الاستاذ أنيس منصور أن الجنود كانوا يوقفون سيارته فى الطريق ليطلبوا « امدادات » تعينهم على استكمال المشوار . وعاد أنيس منصور يتساءل « انحن جادون فعلا ؟ »

وكنا نستمع الى هذه التفاصيل ولا نصدقها ، فليس من المعقول أن يرسل جيش مصر الى الجبهة « ليقاتل » ويدافع عن الكيان العربى ، وهذا هو حاله من عدم .

الاستعداد . وليس من الممكن ، بعد تجربة حرب عسّام ١٩٥٦ أن يساق الجيش المصرى الى ميدان معركة « ثار » وكرامة ومعركة « عزة » دون حساب دقيق لما يحتاجه هذا الجيش العظيم من عتاد وطعام .

بل جاءنا بعد ذلك عائد من الجبهة ليقول أن القوات الذاهبة الى الميدان لا تعرف « بالضبط » أين مكانها من خط المواجهة . فهنساك مجموعات عسكريت فى جهسات معينة ، ثم صدرت لها الاوامر بعد ذلك ، بالانتقال الى مكان آخر . . وهكذا ظلت الوحدات تنتقل من مكان الى مكان بلا قاعدة أو سبب . ومن المؤكد أن أجهزة المخابرات الاسرائيلية كانت ترقب هذا كله ، وتعلم أكثر مما كنا نعلم . وعلى هذا الاساس عرفوا أن مأساة ١٩٥٦ يمكن أن تتكرر دون حاجة الى عون بريطانى — فرنسى كما حدث فى هذا العام الكريه ، ولعل هذا الارتباك هو الذى جعل اسرائيل لا تصدق ما قاله جمال عبد الناصر فى مؤتمره الصحفى الذى عقده فى ٢٩ مايو ١٩٦٧ : « اهو النهاردة احنا واسرائيل لوحدنا ، اذا كانوا عايزين يجربوا الحرب اقول لهم تانى النهاردة : أهلا وسهلا . . »

هذه الوقائع كلها — وهى ثابتة بما لا يقبل الشك وسنزيد لها دليلا عندما نتعرض لاغلاق خليج العقبة — تؤكد أن جمال عبد الناصر لم يكن جادا فى الاستعداد لهذه المعركة . وان ما قاله لزميله عبد اللطيف اليغدادى من أنه وجد العرب نياما فإراد ايقاظهم بهذه الطريقة ، انما كان يعبر عن الواقع فعلا . بل هناك ما يؤيد ذلك بكلام على القاه جمال عبد الناصر فى خطابه التاريخى يوم ٢٣ يوليو من عام ١٩٦٧ أمام جمع من القيادات الشعبية بقاعة الاحتفالات الكبرى بجامعة القاهرة . . قال عبد الناصر فى ذلك اليوم « عندما بدأنا بحشد القوات كان احتمال الحرب بالنسبة لى ٢٠ ٪ ؟ . . »

ورغم انه قال بعد ذلك مباشرة أن احتمالات الحرب زادت عنده الى ٨٠ ٪ بعد اغلاق خليج العقبة ، الا اننا

نقف عند النسبة الاولى وننتساعل دون أن ندخل في اعتبارنا ما قاله من أنه أراد ايقاظ العرب النيام . . هل كان عبد الناصر يقصد بذلك أن تحتشد القوات المصرية سيضعف احتمالات قيام القوات الإسرائيلية بمهاجمة سوريا ؟ أم أن الرئيس المصري نفسه كان يعلم أنه لا حشد اسرائيلي على الحدود السورية ، ولهذا كان يعلم في مايو ١٩٦٧ أن احتمالات الحرب ضئيلة للغاية بحيث لا تتجاوز ٢٠٪ ؟ ثم كيف يتفق هذا مع ما قاله في بيانه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ : والوفد البرلماني كان في زيارة لموسكو برئاسة السيد أنور السادات وقام الأصدقاء السوفييت في هذا الوقت بإبلاغ السيد أنور السادات « بأن غزو سوريا وشيك » . ومعنى هذا الاخطار السوفيتي هو أن اسرائيل حشدت قواتها فعلا . وأنها على وشك أن تبدأ عملية الغزو . ومعناه التالي مباشرة هو أن احتمالات الحرب لم تكن ٢٠٪ كما قال جمال عبد الناصر وأنها كانت ١٠٠٪ .

**طالب :** ولكن كيف بدأت الزوبعة . . وماذا قال المحايدون الذين درسوا المعركة جيدا ؟

**الأستاذ :** ظهور أزمة مايو في الجو ، زار أنور السادات الاتحاد السوفيتي ، ثم عاد الى مصر لينقل الى جمال عبد الناصر ما أكده له السوفييت من أن اسرائيل تحشد قواتها على حدود سوريا ، وأنها تعد العدة لهجوم شامل على هذا القطر العربي ؟

وتحرك جمال عبد الناصر بكل طاقته استعدادا لهذه المعركة ، وتكهرب الجو . . وكتب ونستون تشرشل الصغير بالاشتراك مع والده راندولف تشرشل في بداية كتابه « حرب الأيام الستة » وهو يؤرخ لمعركة سيناء ١٩٦٧ ، « لقد بدأت المعركة بكذبة » وكان يقصد بالكذبة الحشد الاسرائيلي على حدود سوريا . ويمضي الكاتب الانجليزي فيقول أن ليفي اشكول رئيس وزراء اسرائيل في ذلك الوقت استدعى السفير السوفيتي وأكد له أن اسرائيل لا تحشد قواتها على حدود سوريا ، وأنها لا تنوى أن تفعل . ثم طلب منه مراعاته الى الجبهة السورية ليتأكد

من ذلك بنفسه . ولكن السفير السوفيتي رفض هذه الدعوة . وقد ذهب الفريق محمد فوزي الى سوريا ، وطار فوق الحدود السورية ، فلم يجد ما يثبت وجود هذا الحشد الاسرائيلي . كما انه فوجيء عند وصوله الى دمشق باسئلة تنهال عليه من السوريين قائلة : أين هذه الحشود التي يتحدثون عنها في القاهرة ؟ وعاد الفريق فوزي الى القاهرة وأبلغ المسئولين نتيجة تحقيقاته ومشاهداته الشخصية .

ولقد أشار محمد حسنين هيكل الى ذلك في مقال نشره عام ١٩٧٠ عندما كان يسعرض بعض الوقائع عن حرب يونيو ١٩٦٧ الى « حكاية التهديد الاسرائيلي لسوريا » وكان في اشارته ميالا الى التشكيك في صحة هذا التهديد وان لم يقل صراحة ان مصر كانت ضحية لهذا التهديد .

والسؤال الذي يجب ان نسأله هو « هل كان جمال عبد الناصر يعلم باللعبة السوفيتية أم انها كانت أكبر من تفكيره ؟ » وقبل ذلك هل كان السوفييت قد بدأوا خطوتهم الكبرى في « توريط » مصر في أزمة أكبر من طاقتها لكي يزداد طرفا الكماشة اقترابا ؟ ان الجواب من ذلك يمكن استخلاصه من واقع ما قاله عبد الناصر في ذلك الوقت وما صرح به لبعض زملائه أبان بحث أسباب هذه الأزمة ، وقبل وقوع كارثة يونيو ١٩٦٧ فقد سأل عبد اللطيف بغدادى عندما زاره معلنا استعدادده لتقديم كل « عون » ما الذى اثار هذه الأزمة كلها ؟ فرد عليه عبد الناصر قائلا « لقد رأيت العرب قد استكانوا الى النوم ، فأحببت أن أوقظهم » ويأدر بغدادى يسأله « واذا قامت اسرائيل بعدوان فعلا فما هو الوضع ؟ » فرد عبد الناصر قائلا « ان اسرائيل ليست مستعدة لذلك . بل لا يمكن أن تكون مستعدة قبل ستة أشهر . »

ومن هذه الواقعة المؤكدة تستطيع ان تفهم ان عبد الناصر أراد استغلال ما سمي بالتهديد الاسرائيلي لسوريا لكي يثير أزمة من الازمات التي اعتاد اثارها كلما أراد ان يشغل الوطن العربى والجبهة الداخلية بعملية مثيرة ؟

ولعل السوفييت كانوا يعلمون من طبيعته أكثر مما نعلم ،  
وان سياستهم رسمت على هذا الأساس ليتمكنوا من  
المضي خطوات أخرى نحو سياسة اطباق « الكباشنة »  
على عنق الشعب العربى ومن هنا قدموا لجمال عبدالناصر  
ما يمكنه من القيام بلعبته .. بينما كانوا يقومون بلعبة  
أخرى تنتهى الى ما انتهت اليه حرب يونيو من تدمير كامل  
للقوات المصرية ، بحيث نتاح لهم فرصة القيام مرة أخرى  
بدور المنتقذ الذى لا يطلب شيئاً غير مساعدة الصديق والاخ  
فى الكفاح ضد الاستعمار والأمبريالية ، ومن هذا المنطلق  
يمكن استكمال خطة « الكباشنة » حتى نهايتها فى سنوات  
أقل مما قدر لها .

وجمال عبد الناصر يقول فى خطابه بجامعة القاهرة يوم  
٢٣ يوليو ١٩٦٧ :

« كنا نعمل ايه . كنا نستطيع ان نسكت . وكنا نستطيع  
ان ننتظر . وكنا نستطيع ان نكتفى باصدار البيانات  
الانشائية والتأييد والبرقيات . لكن هذا الوطن اذا قبل  
التصرف على هذا النحو كان يتخلى عن رسالته وعن دوره  
وعن شخصيته .. كان بيننا وبين سوريا اتفاقية الدفاع  
المشترك ونحن نقدر هذه الاتفاقيات ونعتبرها شرفاً  
والتيار .. لذلك كان حتماً علينا ان نتحرك عملياً  
لمواجهة الخطر على سوريا خصوصاً وأن تصريحات القادة  
السياسيين والعسكريين فى اسرائيل فى هذا الوقت  
وتهديداتهم الفعلية لسوريا .. لم تترك لاحد فرصة الشك  
فى أية معلومات . »

هذا الكلام لا يعنى الا أن احتمالات الحرب كانت ١٠٠٪  
ومع هذا فهل كان جمال عبد الناصر قد اعد جيشه لهذا  
الاحتمال الخطير . احتمال مواجهة اسرائيل للمرة الثانية  
فى حرب ثأرية . أو فى حرب يدافع فيها عن العروبة ؟ ان  
الجواب على هذا السؤال يكمن فى تحليل قام به الجنرال  
بوغر الذى جاء الى القاهرة فى اوائل عام ١٩٧١ بدعوة



من جريدة الاهرام لماذا قال الجنرال الكبير الذي وصفه  
الاهرام بأنه من أحسن الدارسين والمعلمين في  
الاستراتيجية :

قال الجنرال بوفر — وأنا انقل كلامه عن محاضرة ألقاها  
على العسكريين المصريين وسجلت في ملفات الاهرام :

١ — ان ما يثير الدهشة من الناحية العسكرية هو  
سرعة المعركة .

٢ — وقد يكون السبب هو ان الجيش المصري لم يكن  
مستعدا لمعركة من هذا النوع ، وفي كل الحالات فالثابت  
ان المعركة كانت أقصر معركة منذ الحرب العالمية الثانية .  
٣ — وقد تحقق هذا النصر السريع في ساعات لأن  
المواقع المصرية لم تكن مرضية تماما .

٤ — وقال بوفر انه في ابان الاستعداد لمعركة ١٩٥٦  
كان من رأى البريطانيين أنه يمكن القضاء على السلاح  
الجوى المصري في ٣ أيام . ولكن الطيران الاسرائيلي  
استطاع في عام ٦٧ أن يقضى على الطيران المصري في أقل  
من نصف يوم .

٥ — الاغرب من هذا ان القوات العربية البرية هزمت  
في يوم واحد . يوم في مصر . ويوم في سوريا . ويوم في  
الاردن ، وبذلك تكون اسرائيل قد حققت شيئا لم يحققه  
أحد من قبل . وقد أطلق الجنرال بوفر عليها  
اسم « معارك اليوم الواحد » .

٦ — وقال ان الخطأ الاكبر بالنسبة للقوات البرية هي  
ان الجزء الاكبر منها تركز في الخطوط الامامية ولم تكن  
المواقع المصرية مرتبطة بعضها ببعض .

٧ — وقد استخدمت القوات الاسرائيلية خطة قائمة  
على سرعة الوصول الى نتائج حاسمة قبل تدخل من

الامم المتحدة ، أو تدخل من جانب قوات أخرى ، ولهذا كانت القوات الزاحفة تحمل معها كل ما يلزمها من البترول والذخيرة التي تكفي للقتال ثلاثة أيام على أساس أن هذا الوقت هو الحد الأقصى الذي يجب أن تنتهي عنده المعركة . وهكذا جرت المعركة دون أن يدخلوا في اعتبارهم ضرورة وجود خطوط مواصلات .

٨ - وفي رأي بوفر أن المواقع المصرية اختيرت كلها وفقا لخطة سوفيتية ، ومن هنا لم يفهم السوفييت على الإطلاق نوع الحرب التي ستواجه الجيش المصري ، وليس هذا معناه أن الجندي الروسي غير قادر ولكن ربما كانوا أقدر على وضع الخطط التي تناسبهم ، وهي تختلف قطعاً عن الخطط التي تتناسب مع الظروف التي تواجه الجيش المصري .

ولكننا مع هذا نعود مرة أخرى - وبإصرار - الى اللعبة السوفيتية التي أراد بها السوفييت إثارة الفوضى في المنطقة خدمة لمصالحهم ، وأراد بها جمال عبد الناصر أن يستغل نصيحة هؤلاء الأصدقاء السوفييت لكي يوقظ العرب من نومهم ، واستغلت إسرائيل هذه الخدع كلها لكي تخدم مصالحها الرئيسية وهي أن تصبح في وضع عسكري تفرض منه الصلح على الدول العربية وأن تحدد الحدود الآمنة لها أو التي تزداد بها توسعاً .

وقد تجمعت أدلة كثيرة بعد المعركة بسنوات أكدت وتؤكد أن اللعبة السوفيتية كان لها أكثر من هدف ، وأنها اشتركت مع لعبة إسرائيل ماهرة في تحقيق أهدافها . كانت هناك عوامل خبيثة تلعب دورها في هذا الموضوع ، ومن المؤلم أن نسقط في الهاوية بأيدينا وبذكائنا الخارق . . ( ؟ ) رغبة من أن نمارس أيضاً « اللعب السياسي » في عملية أكبر من طاقتنا . وأكبر من طاقة المخابرات العسكرية ، هذه المخابرات التي كانت توجه نشاطها كله لمحاربة خصوم عبد الناصر في داخل البلاد العربية . وتدع إسرائيل تلعب بأقدارنا وأقدار شعوبنا ، أو تدبر الانقلابات في داخل البلاد العربية دون متابعة أو دراسة أو اهتمام .

ان جمال عبد الناصر يعترف بذلك في خطابه يوم ٢٣ يوليو ١٩٦٧ بجامعة القاهرة فيقول : « ان هذه الازمة التي نواجهها وان لم تكن اخطر ما واجهناه واصعبه فهي على وجه التاكيد من اخبت ما لاقيناه واكثره لؤما » .

ومن المؤكد حسب قول عبد الناصر نفسه « ان عملية الحشد اسسكرى التي انتهت باغلاق مضائق تيران في خليج العقبة بدأت يوم عاد الوفد المصرى من موسكو ليقول ان العدوان الاسرائيلى على سوريا يوشك ان يقع ومعنى هذا ان التحذير السوفيتى الصديق كان اول انذار . . فهل كان الأصدقاء السوفييت صادقين في تحذيرهم هل كانوا يهدفون حقا الى تقديم خدمة للشعوب العربية ؟ وفي مقدمتها الشعب المصرى والجيش المصرى ؟ ام ان الحكومة السوفيتية الصديقة ارادت استخدامنا لتحقيق اغراضها ؟ ثم ماذا كانت هذه الاغراض ؟

ان الادلة التي تجمعت لدينا تتمثل في اقوال بعض من يعلم ، وبعض من عرف التاريخ جيدا .

١ — على جلسة اخرى من الجلسات التي عقدها الجنرال بوفر في جريدة الاهرام في يناير ١٩٧١ مع مجموعة من الضباط المصريين ، وبحضور بعض من المدنيين اثير مرة اخرى موضوع التحذير السوفيتى بشأن الحشد الاسرائيلى على حدود سوريا . . وسأل احسد الحاضرين عما اذا كان لحرب فيتنام صلة بهذا الموضوع فأجاب بوفر :

« اظن انه كانت هناك صلة كبيرة . وهذا الراى هو راى شخصى ، وقد اكون مخطئا . ولكن لدى الاحساس ان التقارير الخاطئة التي قدمتها المخابرات السوفيتية عن التهديد الاسرائيلى لسوريا في عام ١٩٦٧ كانت تستهدف زفزة هذا الجزء من العالم حتى تنصرف امريكا عن مواصلة الحرب في فيتنام ، ولكن الوضع تطور الى ما هو ابعد من « الزعزعة » او الى ابعد مما ظنوا او دبروا .

٢ — وفي رواية ان السفير السوفيتى في اسرائيل خلال ازمة عام ١٩٦٧ كان من اصل يهودى ، وقد اراد ان يقدم خدمة لحكومته والى

الحكومة الاسرائيلية في الوقت نفسه ، فكانت تقاريره غير الصادقة  
عن الحشد الاسرائيلي .

هل نكتفى بهذا القدر البسيط من المعلومات المؤكدة ؟ .. ان  
المضي في السرد قد لا يتوقف ولكننا مع هذا نفضل الالتزام بالواقعية .  
والانتظار حتى تتكشف كل الوقائع ان قدر لها ان ترى النور . على  
ان المهم ان مصر الرسمية ، حتى بعد الهزيمة ، كانت هي نفسها  
مصر العابثة قبل الهزيمة .. ولكي ادلل لكم على ذلك فاسمعوا  
القصة التالية :

منذ اليوم الاول للمعركة كان مجلس الامن التابع للامم المتحدة  
في اجتماعات متصلة لبحث الموقف ، واتخاذ قرار يحسم المعركة ،  
والواقع ان أعضاء مجلس الامن كانوا يعيشون في ظلام . فان  
اسرائيل بعد ان احست بنجاحها الساحق في ضربتها الاولى وايقنت  
انها احتوت جيش مصر واصبح الطريق امامها مفتوحا الى الضفة  
الغربية للقنال التجأت الى فرض ستر من السرية على تحركاتها  
فلم تقل للعالم شيئا عن انتصاراتها .

وفي الجانب المقابل للمعركة كانت القيادة المصرية تعلم ان جيشنا  
قد انتهى ، ومع هذا كانت تذيع الأنباء عن انتصارات وهمية جعلت  
الشعب يعيش في وهم ، وفي خلال ذلك كان مثل مصر الدائم في  
الامم المتحدة السفير محمد عوض القونى يجهل ماذا يفعل ، وفي يوم  
٧ يونيو ١٩٦٧ — اى بعد ان تاكدت الهزيمة مائة في المائة —  
اتصل وزير الخارجية المصرى السيد / محمود رياض وأخطره بأن  
المعركة ماضية في طريقها لصالحنا ، واننا قد حققنا انتصارات حاسمة  
وعليه ان يلقي خطابا في مجلس الامن وأن يكون موقفه متشددا .

وسهر السفير المصرى مع مستشاريه يعد خطابه القوى ، وكان  
كلما عرض عليه مشروع خطاب وأحس بأنه غير قوى ، طالب بأن  
تضاف اليه عبارات أقوى ، وفي خلال ذلك قيل للسفير ان وزير  
الخارجية على الخط التليفونى . فرفع السماعه لسمع السيد محمود  
رياض يأمره بأن يذهب الى مجلس الامن ويعطى الموافقة على وقف  
اطلاق النار بلا قيد أو شرط .

وسمع السفير القونى هذه التعليمات . ولم يتكلم . بل وضع سماعة التليفون والدموع تترقرق في عينيه . . واهتز الشباب المصرى العامل معه . . ولم يخف دموعه . . بل تركها تتساقط بلا توقف .

وذهب السفير المصرى الى الأمم المتحدة ، فاذا به أمام ثورة عارمة من ممثلى الأشقاء العرب الذين سمعوا بالنبا ولم يصدقوه . بل طالبوا بأن تستمر مصر فى الحرب . . بأى ثمن . . وقال بعضهم للسفير أن هناك احتمالا بأن يكون الحديث التليفونى الذى جساه من القاهرة من صنع الصهيونية وأن عليه التأكد مرة أخرى .

وكلف السفير أحد أهوانه بأن يطلب سامى شرف للتحديث اليه ، وجاءت المكالمة بعد ربع ساعة فقال له السفير : ان وزير الخارجية قد أبلغنى بأن أوافق على وقف إطلاق النار .

ورد سامى شرف قائلا : نعم . . ولكن لنا شروطا .

وقال السفير : ولكن وزير الخارجية أمرنى أن تكون الموثقة بلا قيد أو شرط .

وسكت سامى قليلا ثم قال : كده . . ؟ يبقى خلاص . . نفس كلام الوزير .

وهكذا تفهمون كيف كانت الحالة فى مصر . . وكيف كان الاضطراب يسود كل تصرفاتها . ومع هذا فلنرجع الى طرح تساؤلاتنا . .

ماذا فعلت الثورة فى خلال هذه الأعوام الخمسة عشر لتكون ثمرة عملها هزيمة ٥ يونيو ؟ ثم لماذا استطاعت مصر نفسها فى خلال خمس سنوات أن تكون جيشا قويا ينزل بجيش اسرائيل ضربة قوية مفاجئة مسحت عار هزيمة ٥ يونيو ؟ ألم يكن نوع الرجال الذين حاربوا فى ٥ يونيو هو نفس نوع الرجال الذين حاربوا فى ٦ أكتوبر ؟ واذن فالعيب لم يكن فى الرجال الذين هم من صميم الشعب . . ولكن العيب كان فى الرجال الذين هبوا الجو المناسب لهزيمة ٥ يونيو . وهذا الجو هو الذى تحدثنا عنه فى مراحل حوارنا الماضى ، ثم ان الفكت التى اطلقها الشعب بعد هزيمة ٥ يونيو كانت نكتا مضحكة ودامية فى نفس الوقت لأنها أرجعت الهزيمة الى الانحلال الخلقى ،

والانحراف وعدم تماسك الجبهة الداخلية ، وتسابق الناس نحو الثراء .. لم يكن الجيش يحس بمناعة ظاهرة... ولهذا هرب من الميدان لأنه لم يكن مؤمنا بأن هناك « قضية يدافع عنها » ثم هل لعبت العوامل الخارجية دورها الكبير في دفع مصر الى تعبئة جيشها بلا استعداد ؟ وهل كان تبليغ الحكومة السوفيتية لمصر بأن إسرائيل توشك أن تهاجم سوريا تنفيذا لخطة مدبرة في دفع عبد الناصر الى اتخاذ موقف « رد فعل مسبق » وهل كان يساهم شرف العميل السوفيتي طرفا في تهيئة هذا الجو تمهيدا لهزيمة تنزل بالجيش المصري وتمكن الاتحاد السوفيتي من تضيق حلقة سيطرته على مصر والشرق العربي ؟ أم ان العلاقة بين عبد الناصر والمشير عبد الحكيم عامر كانت قد وصلت الى حد من السوء جعلته يفكر في التخلص منه عن طريق هزيمة الجيش المصري الذي كانت غالبية تدين بالولاء لعامر قبل ناصر ؟ أم .....

**طالب :** هذه كلها استنتاجات ، وبعضها خطير .. ؟

**الأستاذ :** ( مقاطعا ) أنا متفق معك في هذا ، ولهذا قلت ان الكلام عن ٥ يونيو يجب أن يجري في حذر شديد ، لا على أساس ان هناك خلافا حول ما اذا كان نكبة أو غير نكبة ، فلا خلاف على الاطلاق في أنه كان يوما أسود ، وان جانبا كبيرا من الأسباب التي أدت اليه كان من صنع النظام الحاكم . أما الكلام عن الجانب الباقي من أسبابه العسكرية والسياسية فيجب أن يترك للذين يستطيعون أن يكشفوا الحقائق الكاملة بأمانة ودقة .

**طالب :** وهل تصلح لأداء هذا العمل لجنة التحقيق التي تشكلت أخيرا للاستماع الى أسباب هذه الكارثة ؟

**الأستاذ :** يمكن أن تنجح اذا ما توافرت لها وللجو الذي تعمل فيه شروط أساسية . أولا أن تكون أعمالها معروضة على الرأي العام ، وثانيها أن تحدد للانتهاء من عملها تاريخا معينا بحيث لا يطول الوقت أكثر مما يجب .. وثالثها أن يشمل تحقيقها كل الأطراف . ورابعها أن تشكل بعد ذلك محاكم توقع الجزاء على من يستحقه ، وأهم من

ذلك كله أن يكون تشكيلا للوصول الى هدف لا أن يكون لغرض ارضاء مؤقت لمطلب شعبي .

**طالبة :** اى ان علينا أن ننتظر الى أن تفتح ملفات الماضى كله انى اتفق معك فى أن عناصر الهيكل الذى تشكل به المجتمع هى التى أدت الى كارثة ٥ يونيو ولا بد من تحديدها .

**الأستاذ :** أن اللجنة المشكلة بقرار من رئيس الجمهورية للتحقيق لن تبحث — كما هو مفروض — فيما اذا كانت هناك كارثة قد وقعت أم لا ، فهذه نتيجة لا خلاف عليها . وإنما — الخلاف القائم هو : من هو المسئول الفعلى عن التمهيد لوقوع هذه الكارثة . . ولهذا لا يعنينا الانتظار بقدر ما يعنينا أن نفتح باب الحساب . وما دام هذا الباب قد فتح ، فلز يفلق إلا اذا قال الشعب كلمته . ولن يعوق فتح هذه الملفات حركة التقدم والأصلاح ، لأن مجرد تحقق الجزاء والعقاب يعنى أن البناء الجديد سيكون سليما .

**طالب :** هل تريد بذلك أن تقول اننا لم نستقد تهاما من أخطساء ٥ يونيو ؟

**الأستاذ :** لقد كان ما حققه أكتوبر ١٩٧٣ هو الاستفادة الكبرى من بعض الأخطاء العسكرية والسياسية .

**طالبة :** هل تعنى بذلك اننا بعد ثورة ١٥ مايو لم نستقد استفادة كاملة من الأخطاء التى أدت الى وقوع الكارثة الكبرى فى ٥ يونيو ؟

**الأستاذ :** استفدنا بعض الشيء ، ونحاول الان تجنب بعض الأسباب التى أدت اليها . واذا كان حوارنا كله قد فتح موضوعات كثيرة للمناقشة . . فان هذه المناقشة لا تنتهى بانتهاء هذا الحوار . . انها تشبه فتح الشهية والتحريض على التعمق فى البحث والدراسة ، والشيء الذى يجب أن نتفق عليه هو اننا لا نسمح — أو لن نسمح — بتكرار نفس الأخطاء التى

تمس النزاهة والشرف وطهارة اليد .. وكذلك الا نتساهل في الخطأ الصغير الذي يقع فيه الكبير على أساس أنه صاحب منجزات أو صاحب انتصارات وان « المسامح كريم » هذا هو في نظري عودة الى العيش في « الوهم » أو الى التساهل الذي يؤدي الى أoxم الفواقب . ويخيل الى الان اننا نقرب من نهاية الجزء الأول من الحوار ، واننا قادرون اليوم على مناقشة أوضاعنا بفهم أعمق ، وب عقلية أقرب الى الاتفاق منها الى الخلاف . لست أدعى اننا قد وصلنا الى حكم نهائي بالنسبة للماضي القريب ، واننا قد توصلنا الى تخليص نفوسنا من آثاره . ولست أدعى أن هذا الماضي القريب قد خلا من الحسنات . ولكنها بالقطع ليست الحسنات التي جاءت الثورة من أجل اقامتها لأن أو تحقيقها .

اننا نعتبر أنفسنا الان في مرحلة انتقال . انتقال من ثورة ١٥ مايو الى ثورة المستقبل القريب . وكما قلنا من قبل ليس المقصود بها أن تكون ثورة تاكل أولادها ، أو تأكل أهدافها ، أو تأكل القليل الذي حققناه في خلال سنوات ، ولكن المقصود منها أن تكون ثورة تمسح الأرض وتبقى ما يصلح — ولعله قليل — وتمهد العدالة والقانون والمساواة والاشتراكية الحقبة التي تحقق الخير لمن هم تحت قبل أن تحقنها لمن هم « فوق » .

**طالبة :** وهل نختم حوارنا عند هذا الحد ؟ انى أرى أننا استعرضنا الماضي القريب بمعظم أبعاده ، ولكننا لم نتعرض للمستقبل بأبعاده كلها ، أعنى أننا يجب أن نطرح تصوراتنا للمستقبل للمناقشة المفتوحة .

**الاستاذ :** لم أقل أننا اختتمنا حوارنا ، ولكنى أقول أننا ختمنا جانباً منه ، والذي يدور حول الماضي القريب ، ولا أريد حالياً أن أمضى في الكلام عنه أكثر من ذلك ، لأنى على ثقة من أن الكلام منه سيتجدد عندما تمضى عملية الحساب وكذلك عندما نناقش خطوات المستقبل .

**طالب :** واذا لم يتم هذا الحساب ؟



**الأستاذ :** إذا لم يتم هذا الحساب فلا بد من أن يكون حسابنا مع كل من عطله أو أوقف السير فيه . . المهم الآن ننتقل الى الحاضر وإلى المستقبل وأن يكون انطلاقنا ناطقا بقدرتكم واستعدادكم لتحمل المسؤولية . .

**طالبة :** ولكنى لا أوافق على وقف هذا الجانب من حوارنا عند هذا الحد ، اننا لابد من أن نتكلم عن الاشتراكية المصرية ، ماذا تحقق منها وماذا لم يتحقق . فمن الظلم للفترة السابقة أن تذكر معاييبها ولا تذكر خيرااتها ؟

**الأستاذ :** ألم نتكلم عن ذلك خلال جلساتنا السابقة ؟

**الطالبة :** نعم . . ولكن يجب أن نجعلها مادة لحوار مستقل .

\* \* \*

## الحوار الثالث عشر حوار حول الاشتراكية

.. وكان الأستاذ يتصور ان مناقشة الاشتراكية المصرية ووسائل تطبيقها قد أخذت حظها خلال جلسات الحوار السابقة ... ولكن الطالبة التي أثارت الرغبة في تخصيص حوار يدور حول أهدافها وما حققته للمجتمع ، وهى من الذين آمنوا بالثورة ومنجزاتها إيماناً لا يتزعزع ... وهى ترى أن النظام الذى ولدت وترعرعت فيه قد خلق عملاً لكل فرد .. وحقق مجانية التعليم ، وأشاع العدالة في المجتمع ، وقرب بين الطبقات وخلق الصناعة المصرية .. وهى اذا كانت قد سمعت وقرأت لأول مرة عن مخالفات تتصل بالحرريات الفردية ، ووقائع تعذيب نفسى وجسمانى . فهى ترى أن ذلك كان ضروريا لتأمين الثورة وحماية المكاسب الاشتراكية الضخمة التى تحققت وكانت هدفا للاستعمار وأذناب الاستعمار والرجعية العربية التى مازالت جيوبها القوية تهدد المنطقة بخطرهما ونفوذها البترولى ..

وقد قبل الأستاذ العودة الى مناقشة هذا الموضوع كيلا تتأثر جلسات الحوار فى صميم إيجابياتها ، ولأنه يعرف ان هذه الطالبة ليست وحدها التى مازالت ترفض القاء نظرة على ميزانية الأرباح والخسائر لترى هل حققت الاشتراكية المصرية أهدافها أم لم تحقق ..

وتطلع الأستاذ الى الطالبة قائلاً : أن الذى لا خلاف عليه هو ان النظام الاشتراكي أنسب النظم لتطوير المجتمع المصرى . ولم يكن مولد اشتراكيتنا مع مولد الثورة ، بل كانت هناك رغبات واتجاهات نحو الاشتراكية تضغط على مجتمعنا فى عهد الملك فاروق . ولا جدال فى انها آراء حوربت ، وأتهمت بأنها آراء هدامة وملحدة .. وكان طبيعياً ان يحدث ذلك لان المجتمع الفاروقى كانت تسيطر عليه رأسمالية يؤرقها أى كلام عن الاشتراكية .

وجاءت الثورة لتطبق الاشتراكية على اوسع نطاق ، وتجعلها أساسا للحكم . وحددت الملكية الزراعية على مراحل . وبذلك قضت على الاقطاع . وأصدرت القوانين الاشتراكية فأمنت كل المصناعات والبنوك وشركات التأمين . . . وبذلك قضت على سيطرة رأس المال على الحكم . ثم اتجهت بعد ذلك الى اطلاق مجانية التعليم — وقد كانت مقررّة من قبل — فأضافت اليها الجامعة ، وجعلت التعليم بها مجانيا . تم انطلقت من اشتراكية التعليم الى اشتراكية الاستقلال الصناعي وقررت ان تكون مصر دولة منتجة من الابرّة الى الصاروخ ، وان يكون لكل مواطن فيها السكن المناسب وان يوفر له كل ما يحتاج اليه من ملابس . . . ومأكل وسيارة . . . وكل شيء . . .

**الطالبة :** اذن فأنت متفق معى فى ان هذه الانجازات الضخمة قد رفعت من رهيد الثورة فى حساب الأرباح والخسائر ؟

**الاستاذ :** هنا نختلف فلو ان التطبيق سبقه التخطيط العلمى السليم لما اهتزت الثقة فى الاشتراكية ، ولتحول الشعب بأكمله — بصرف النظر عن الجيوب الرجعية التى تأثرت نتيجة للتطور الاشتراكى — الى جيش يدافع عن هذه الاشتراكية . بل لما وقعت هزيمة ٥ يونيو .

**الطالبة :** وما دخل الاشتراكية فى هزيمتنا فى ١٩٦٧ ؟

**الاستاذ :** لان الذى يحارب من أجل هدف . . . لا يهزم بسهولة . . . بل يكون اقرب الى الانتصار منه الى الهزيمة .

**الطالبة :** أخشى أن نوسع دائرة حوارنا الاصلى بحيث ندخل فى متاهات لا أول لها ولا آخر .

**الاستاذ :** سأترك ٥ يونيو ، وأعود الى نقطة البداية فأسأل : هل يسبق التخطيط التطبيق . . . أم ان العكس هو الذى وقع . . . ؟ ولكى أثبت لك اننا اخترنا الطريق المخالف لا بد لنسا من التحدث عن تحديد الملكية ، هذا الاجراء العادل اعطى الفلاح أرضا يملكها ويزرعها — ولكنه واجه حالات لم يكن

يواجهها من قبل ، واجهه اقطاءا ممثلا في الجمعيات  
التعاونية التي سيطرت على كل عناصر الفساد لتسلب من  
الفلاح ثمرة جهده الذي بذله طوال العام كمالك للأرض .  
ومن هنا تولدت في نفسه كل عوامل الكفر بالاشتراكية التي  
تعطيه أرضا باليمين وتسحب حقه فيها باليسار . هل أقول  
هذا الكلام بلا دليل أم ان الحكومات المختلفة اعترفت بهذا  
الواقع بعد ازدياد السخط داخل كل قرية ، وحاولت مرارا  
وتكرارا ان تصلح ما أفسدته الجمعيات التعاونية  
ونشلت .

فلو أن تخطيطا علميا سبق التطبيق ، ما كان يمكن أن تكون  
الأخطاء بهذه الفداحة التي جعلت الفلاح يعود بذاكرته الى  
النفحات القديمة المغرصة التي كانت تحاول اقناعه بأن  
الاشتراكية كفر والحاد ؟ فهل صحيح إنها الألحاد والكفر ؟  
أم ان الدين طبقوها لأغراض خاصة هم الذين لم يؤمنوا  
بها . . ؟ والا كيف تطلب من غير المؤمن ان يجعلك مؤمنا .  
ان الفلاح لم يجد جديدا في التغيير الكبير الذي اهدى له ،  
بل رأى فيه صورة مميزة لأهمال أمره ، وتركه غريسة  
أن لم يكن في يد الاقطاعيين القدامى ، غنى يد الطبقة الريفية  
الجديدة التي أرادت ان تقلد الذين حكموا الريف بجاههم  
وجبروتهم وسطوتهم . أرادت أن تكون طبقة اقطاعية  
جديدة وقد أصبحت فعلا بأدلة ووقائع .

**الطالبة :** وهل كنت تريد أن تؤجل الثورة الاستيلاء على الأرض  
وتوزيغها على المعدمين ؟

**الاستاذ :** بالعكس . انما كان يجب ان يسبق ذلك اعداد الأجهزة  
التي تفهم معنى الاشتراكية وتعرف كيف تطبق مبادئها  
العادلة . وان تكون هناك توعية صادقة للفلاح ، وان  
تراقب الأجهزة الانحراف الجديد مع مولدة ، فتقضي عليه  
في مهده . وبمعنى أوسع أن تشكل الأجهزة الطاهرة التي  
تبشر بالاشتراكية عملا . . لا قولا . . ولو أنك القيت  
نظرة على الريف بوضعه الحالي ، وبعد عشرين سنة من  
قيام الثورة لأحسست بأننا أهملنا الأساس في كيان

مجتمعنا . فما زال الريف على حالته ولا أريد ان أقول إنه  
ازداد سوءا على سوء .

**الطالبة :** التحديات الخارجية التي واجهت الثورة ، وخطت  
لعرقلة كل اصلاح داخلي هي السبب وراء ذلك كله ؟

**الأستاذ :** ربما .. ولكن ألم يكن ممكنا ان نقابل هذه التحديات  
بأخرى من صنعنا ، بأن نوفر كل ضمانات النزاهة وطهارة  
البدن التي تحقق عدالة في توزيع كل ما يحتاج اليه رجل  
الريف ، قد يكون من نتائج التحديات الخارجية التي تقولين  
عنها نقص في توفر البذرة والسماد والكسب وغيرها من  
مستلزمات الزراعة ... ولكن كان كافيا ان تكون هناك  
عدالة في توزيع ما هو متوفر ، ليرضى الفلاح ويقنع ويؤمن  
بعدالة الاشتراكية ، أما ان يجرى توزيعها للذين يدفعون  
الرشوة ، ويجد الفلاح نفسه في مواجهة طبقة ثرية جديدة لم  
تكن تملك شيئا ، فهذا هو الكفر الجديد .

وقد كان لاثرياء الريف الجدد عذرهم ، لان هذه الموجة  
الفاسدة كانت تهب من القاهرة ، حتى ليتمكن ان يتسال  
ان الريف لم يفعل شيئا سوى تقليد العاصمة .

وهكذا نرى أنفسنا نعود مرة أخرى الى الفساد لنؤكد أنه  
الأصل في فساد النيات ، ثم ان النيات وحدها غير كافية  
لتحقيق الايجابيات . فالقول بأن النيات كانت متوافرة لاخلاف  
عليه . وانما الخلاف في ان ما وراء هذه النيات لم يكن  
بريئا ولم يكن مدروسا ومن ثم فلم يكن التخطيط له سليما .

**الطالبة :** انها أخطاء وتصحيحها ممكن .. ؟

**الأستاذ :** أشك في ذلك ، لأن حقيقة الانحرافات قد امتلأت وغطت  
على كل النوايا الطيبة .. هل نتكلم عن مجانية التعليم ؟

**الطالبة :** ان هذه المجانية قد أتاحت لى ولأخوتى السبعة فرصة  
التعليم لى آخر مراحلها ..

**الاستاذ :** لقد التزمت الدولة بمجانية التعليم حتى نهاية المرحلة الثانوية من قبل الثورة ، لأن من حق المواطنين أن تعلمهم . أن تقضى على الأمية . أو تقلل نسبتها الى حد كبير ولا يمكن لأحد أن يلوم الدولة لأنها فتحت مجال التعليم للقادر وغير القادر . ولكن التعليم له رجاله . ومن هنا لا يفرض عليه أهل الثقة دون أهل الخبرة ولا يسمح لضابط برتبة ( صاغ ) أن يرأس المجلس الأعلى للجامعات . وأن تكون كلمته هي النافذة وأفكاره هي المرجحة . لقد كان يكفي أن يقول النظام انه يريد مجانية مطلقة للتعليم ، وأن يكلف من يضع خطة خمسية تجعل التعليم المجاني حقا للجميع .. ولكن بحيث يخدم احتياجات المجتمع .

وقد اتجه مجتمع الثورة الى التوسع في التصنيع ، واعداد الطاقات اللازمة له وتحقيق هذا الهدف هو التوسع الاقنى والرأسى في المعاهد الفنية ذات المستوى الرفيع والتي تخرج للدولة الطاقات الفنية لتأخذ على عاتقها هذه المهمة الكبرى . ولكن الثورة بعد أن حاولت أن تنحو هذا النحو تناسلت أن هذا التحول يحتاج الى توعية اشتراكية تصرف الشباب عن التعلق بالتعليم الجامعى ، وتوجهه - بإرادته - نحو التعليم الفنى ، وبدلا من أن تفعل ذلك قررت مجانية التعليم الجامعى واستثمرت تتوسع في فتح الجامعات وكانت النتيجة الحتمية لذلك هو ما نشكو منه في كل الطاقات العاملة في الدولة .

التعليم الجامعى ازدحم بمعدد الطلاب ، دون توسع في قاعات المحاضرات أو فى المعامل ، أو فى عدد أعضاء هيئات التدريس . وكانت حصيلة هذا الهدف فى التعليم . انخفاضاً فى مستوى الخريجين ... بل لعل أهم من هذا هو طعن مجانية التعليم الجامعية فى صميمها ..

**طالب :** ولكن هذه المجانية ما زالت قائمة ؟

**الاستاذ :** لو أنك فكرت وحسبت لوجدت أن ما تحضره عائلة كل طالب - قادرة وغير قادرة - على الدروس الخصوصية

بلغ أضعاف ما تحقق من كسب نتيجة المجانية . أى ان الدولة قالت للتعليم الجامعى « كن مجانيا » . . . فكان بينما قال الواقع « كن باهظ التكاليف » . . فكان .

**الطالبة :** هذه حقيقة لا أنكرها . ولكن من المؤكد ان هناك من لم يكن فى حاجة الى هذه الدروس الخصوصية . . وأنا منهم ؟

**الأستاذ :** ان النتائج لا تقاس بالقائدة التى تعود على القلة . بل على الأغلبية . . لا أحب أن ننسى أن التثبيات فى الثانوية العامة للتغلب على عبء التنسيق والحصول على مقعد جامعى قد ضاعف ما يصرفه الآباء على الدروس الخاصة فى السنة الأخيرة من مرحلة الدراسة الثانوية . . هل تنكرين هذا ؟ ثم هل تنكرين ان الذين كنوا يدخلون المعاهد الفنية كانوا يفعلون ذلك مرغمين ، وماذا تتوقعين من طالب يرغب على تعليم مالا يرغب فيه . .

**الطالبة :** اذن ماذا كنت تريده من الدولة . . ان تقف مكتوفة الأيدي ؟

**الأستاذ :** بل كنت أريدها مفتوحة العقل لا تستهدف كسب التصفيق فى أمر حساس بالغ الخطورة بالنسبة لكل دولة نامية أو . . غير نامية . وهو التعليم .

ونوق هذا كله يجب ان نسأل : هل نجحت الدولة فى مواجهة الأمية المتفشية ؟ أم أن نسبتها مازالت تضعنا فى مصاف الدول المتخمة بالذين لا يعرفون القراءة أو الكتابة . .

ومعى الآن حوار كتبه أستاذ بكلية هندسة القاهرة ونشر أخيرا بصوت الجامعة ، هل تريدون ان أقرأه لكم . لقد كتب الأستاذ يقول : هل تسمح صوت الجامعة أن يكون الحوار هذا الأسبوع . . مع طالب واحد . . طالب يمثل قطاعا كبيرا من الطلبة المكافحين الذين يعيشون فى ظروف قاسية بالغة القسوة . اذا طرقت أذنيه كلمة رحيمة سميعها

« كوعد » ولكنها تذوب مع الأيام ، لتمضى الرحمة في طريق آخر لا تطرق باب حجيرته ، ولا تضىء له طريق حياته وكفاحه . والرحمة القائمة على الوعود لا تطعم الجسائع المحروم . . ولكنهم مع هذا يتحملون في صبر . . يسمعون كلمة « الاشتراكية » على الألسنة فيؤمنون بها — بل يزدادون تعلقا بها — ولكن هذا الايمان ينضاع اذا مارأوا ان حياتهم قائمة على « وعود » وأن هذه الوعود ضلعت طريقها فتاهت في الزحام .

كان الطالب يجلس أمام لوحة الرسم وحيدا ، شارد الفكر يتطلع الى السماء وعلى وجهه أكثر من سؤال وتساؤل . . واقترب منه أستاذه ليسأله : هل تنوى البقاء كل الوقت في هذا المكان ؟

**الطالب :** وأين أذهب ؟ انك أستاذى وتعلم أن على طالب الهندسة أن يعمل ساعات وساعات . . وأنا هنا الى أن يقال لى « أخسرج » .

**الأستاذ :** ولكن اليس من الأفضل ان تكمل عملك في منزلك ؟

**الطالب :** منزلى . . وهل تسمى ما أسكن فيه « منزلا » انى أسكن في غرفة إيجارها ٦٠ قرشاً في بولاق . . واذا شئت الدقة في العنوان فانه « حارة على النوبى — بالشيخ على . . »

**الأستاذ :** وهل تعيش أسرتك في الريف ؟

**الطالبة :** أسرتى . . يبدو أن سيادتك تعيش بعيدا عن متاعب أكثر الناس . . ان أسرتى تعيش معى في هذه الحجرة البسيطة ، ثم هل تعرف ممن تتكون هذه الأسرة . من أبى الذى يبلغ عمره ٨٠ عاما وأخت تزوجت ولكنها هادت الينا منذ فترة مطلقا لتشاركنا هذه الغرفة . .

**الأستاذ :** ولكنك كطالب في كلية جامعية ، يمكنك ان تطرق أكثر من باب لتحصل على المعون الذى يسامدك ويعينك على مواجهة الحياة .



**الطالب :** هكذا يقولون . وما أكثر ما يقولون ، ولكن القول شيء والعمل شيء آخر ، ان مصيبتنا اننا نتكلم كثيرا ونعصد بالكثير ولكن هذا كله لا شيء . . لا وجود له الا في النادر من الحالات ، بل ان حالتى بالذات قد عولجت العلاج الذى اسموه « العلاج الاشتراكي » .

**الاستاذ :** وكيف حدث ذلك ؟

**الطالب :** كتبت الى رئاسة الجمهورية ، فأحالوا رسالتى الى وزارة الشئون الاجتماعية . . وبحثت حالتى وأرسلتنى الى معونة الشتاء ، ودون بذل أى جهد لبحث حالتى قررت ان تصرف لى مبلغ جنيهين .

**الاستاذ :** — متسائلاً — فى الشهر ؟

**الطالب :** فى الشهر . . ياريت . . انها جنيهان كل ثلاثة شهور . . ولو تدرى كم من جهد أبذله كى أحصل على الجنيهين فى كل مرة ، لأدركت ان العذاب الذى أحمله يساوى أضعاف هذا المبلغ .

**الاستاذ :** هذا وضع غريب ؟

**الطالب :** هذه الصورة الكريهة ادهشتك . . الا تسألنى كيف أعيش بعد هذا ؟ وكيف أواجه الحالة القاسية التى أعيشها ؟ لقد تسببت هذه الحالة فى أن أرسب السنة الاعدادية بعد ان كنت متفوقا ، واضطرت لاعادة السنة ، وها أنذا الآن أدخل السنة أولى — عمارة ولا يستطيع أن أتصور وأنا على أبواب امتحان آخر العام كيف يمكنى التغلب على الصعاب التى تواجهنى . ان الرحمة قد تلاشت من قلوب الكثيرين . . ولكن الثقة بالله أقوى من كل شيء .

**الاستاذ :** وهل درس العميد الحالة ؟

**الطالب :** يا استاذ ، ان العميد يستطيع ان يعد ، انى أعرف انكم مقيدون بالروتين ، ومقيدون فى تصرفاتكم . . ان شجاعة التصرف تحتاج الى علاج ، وهذا العلاج مازال ضائعاً ،

ومن الصعب العثور عليه . انه كالمعملة الصعبة التي يتحدثون عنها . . . . .  
أنتى أحب أن أقول شيئاً صريحاً أرجوك  
لاتمد يدك الى رحيك ، لن أقبل حسنة من أحد ، أن حقى فى  
مجتمعنا الاشتراكى يجب إعادة دراسته ، وان تقف الدولة  
من الحالات الكثيرة التى أواجهها ويواجهها غيرى من  
الطلاب موقفاً رحيماً ، فهذه الأموال التى تصرف فى نواح  
غير سليمة ، نحن أولى بها وأقول أولى بها لأنها تعدنا  
للمستقبل . تعدنا لممارسة مهنة البناء .

وأولى للدولة ألف مرة أن يكون لديها مهنيون قد خلت قلوبهم  
من الكراهية والحققد بدلاً من مهنيين ينظرون الى المجتمع  
نظرة لا انتماء فيها له ، ولا احساس فيه بالذين لأحد ، ان  
مثل هؤلاء سيكونون وبالا على المجتمع لا حداثاً له . ولعلك  
تسألنى عن الحل . . . . . وأنا أسأل كيف تسألنى هذا السؤال  
وعقلى مشرد ولست أدري ما اذا كنت سأجد لقمة تشبعنى  
وشركائى اذا عدت الى منزلى . . . . . عفواً الى حجرتى . . .  
اننا شعب تعلمنا « التواكل » ولكن ليس لهذا التواكل  
من حد . . . ؟ اسألنى وأنا أقول لك . . .

وترك الاستاذ الطالب . . تركه بلا سلام ولا كلام . . لم  
يكن قادراً على أن يقول كلمة طيبة . . نصيحة . . فكلتاها  
لا تصلحان . . وكلتاها دخان فى الهواء .

ولكن اليس هناك علاج لهذه الحالات ؟؟ ان الاستاذ قد  
بعث برسالة الى « صوت الجامعة » تحمل هذا الحوار .  
وتحمل فى نفس الوقت اسم الطالب وعنوانه . . فهل من  
رجل فى الجامعة ، أو فى الدولة تحركه الشفقة فيقول  
« ابحثوا محنة هذا الطالب ، وغيره من الذين يعيشون  
محنته ، ومحنة المجتمع » .

**الاستاذ :** انتهى حوار استاذ الهندسة مع تلميذه .

**الطالبة :** هذه حالة خاصة ، ولا دخل لها بمجانية التعليم . وهى

ايضا توجد في كل بلاد العالم . بما فيه ما يسمى العالم الحر .

**الاستاذ :** انها ليست حالة خاصة ، وانت تعلمين جيدا ان جامعات مصر مليئة بهذا النوع الساخت الذي حشر عقله بالاماني والوعود . . ثم ضلت هذه الاماني والوعود طريقها الى حياته لسنوات متصلة . والذي حدث بعد نشر هذا الحوار ان جاءني الطالب بمكتبي وقال ان عددا من اسساتذته قد سارع الى مساعدته ، ولكن ماذا عن الآخرين ، عن الالوف الذين يعيشون نفس وضعه وحالته ؟ وهكذا ترين ان معدن الشعب المصري هو معدن اصيل لا يفكر في نفسه . . ولو ان الذين بيدهم الامر فكروا اول ما فكروا في ان يكونوا آخر من يصلهم نعيم الاشتراكية ، ولو انهم كروا فيما سموه « القاعدة الشعبية العريضة » لدعبت انتحورة من ايمان الشعب وضاعفت من ثقته بنفسه . وهكذا نرى — مرة اخرى — ان العيب لم يكن في الاهداف . وانما هو في جعل هذه الاهداف شعارات براقية تغرى بالاستماع اليها والجرى وراءها . . ثم هي في النهاية تعطى القليل ، او لا تعطى شيئا ، وتظل املا للشعب علينا ان نحققه مهما يكن . وهو الآن يساوى اضعاف اضعاف ما كان عليه لو اننا بدانا بتخطيط وبصدق في النيات .

**الطالب :** ولكن لعلك لا تنكر فضل النظام في ارساء قواعد الصناعة المصرية ؟

**الاستاذ :** اما ان تسمى ذلك « ارساء لقواعد الصناعة » فتسمية غير صحيحة . . لان الصناعة بدأت من قبل ذلك بزمان طويل . واذا كنت درست تاريخ « طلعت حرب » لعرفت انه احد الذين اقاموا البناء الكبير .

والقول كذلك ان التصنيع ركيزة هامة لكل دولة تريد ان تنمو ويزداد اعتمادها على نفسها حقيقة لا تناقش . ولكن ماذا كان يتطلب تنفيذ هذا كله . هل كان لابد من ان تصرف

عشرات الملايين كى تنتج الصاروخ ، رغم علمنا بأننا مهما فعلنا فلن نستطيع أن نساير الدول الكبرى فى سرعة إنتاجها وتطويرها لصناعة الصواريخ العسكرية ؟ ثم هل تذكرون قصة إطلاق الصاروخ « الطائر » من مكان ما بالصحراء بعد انتهاء مرحلة تصنيعه ، هل تعرفون أين ذهب هذا الصاروخ بعد إطلاقه . . ان كان أحدكم يعرف هذا فليقل لنا . ومع هذا سنظل الحقيقة قائمة وهو ان إنتاج الظفر والناسور والقاهر الى آخر التسميات التى تعرفونها ، قد توقف بعد أن ذابت عشرات الملايين من الجنيهات ، وذهب بعضها الى جيوب الاثرياء .

ثم هل تذكرون مصانع الطائرات التى بشر بها «الاهرام» وجعلها مادة لدعاية كل صباح . . هل تعرفون كم صرف على هذا المصنع . . أرقام خيالية . . مئات الملايين من الجنيهات . . أين ذهبت ؟ وأين هى الطائرات المصنعة فى مصر . . وأين . . وأين . . كلها أسئلة تدور حول «الغاز» لم تجد حتى الآن من يحلها ؟

**الطالبة :** ولكن لو أننا نجحنا فى هذا لما مددنا يداً يوماً لطلب السلاح ؟

**الاستاذ :** لم يكن ممكناً ان ننجح ، لان هذا الانتاج الحربى يتطور بسرعة ، وتتفق عليه الدول الكبرى عشرات الملايين من الدولارات ، فهل كنا قادرين على مسايرة هذا الركب المجنون ؟ وهل كل دولة كبرى فى العالم تنتج الطائرات والصواريخ ؟ وهل كان ممكناً ان ندخل فى تسابق مع الدول بقدراتنا المحدودة جداً . . إمام ان الأمر كان كلاماً يصلح ان يقال فى الخطب وان نفخر قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ بأننا قد تحولنا الى دولة تصنع من الابرة الى الصاروخ . . وقد اخترت هذين المثليين الكبيرين مدخلا للصناعات الخفيفة التى تأثرت نوعيتها وأصبحت مفروضة على الشعب ولكنها فى نفس الوقت مرفوضة ، وبعد ان كان الهدف ان تتحول مصر الى دولة منتجة ومصدرة أصبحت منتجة ومستهلكة ، لم يكن هم الذين أخذوا مهمة التصنيع

على عاتقهم الا ان يقيموا المصنع وراء الآخر سعيًا وراء العمولات ، دون اعتماد على تخطيط سليم او درأنة إمكانية الاستمرار في التصنيع .. وكانت النتيجة في حالات كثيرة ان توقفت بعض هذه المصانع عن الانتاج لان «قطع الغيار» غير متوافرة ، ولان العملة الصعبة قد تبخرت .. وتسلمت الى حسابات الاثرياء الاشتراكيين الجدد في بنوك سويسرا وغيرها .

ان هذا الحوار قادنا الى بحث طويل .. وشاسق .. وعسير .. وأليم .. وتغطيته بأمانة ونزاهة تحتاج الى مجلدات .. فالسد العالي مشروع عظيم ، ولكن التحدى في تنفيذه والرغبة في الاسراع بتشبيده كي يكون هرما ثانياً ، لا يقل روعة عن اهرامات الفراعنة ، قد تسبب في انه جاء ناقصا الكثير ، وخلف وراءه آثارا خطيرة .. يسميها اذنين يدافعون عن السد بآثار جانبية .. ولكم أتمنى أن يكون كذلك .. ومع هذا قد انتقل أمر هذا السد الى لجنة فنية تدرسه وتقول رأيها .. ولعلها تفعل .

هل نمضى في الكلام عن كل الأمانى التى تعلق بها الشعب .. ومازال متعلقا حتى الآن ؟

**الطالب :** بل نفضل ان نتوقف عند هذا الحد .. لقد تفتحت أمامنا الكثير من الشغرات الكبيرة والصغيرة .. ونحن قادرون على ان ندرس ، وان نهىء الظروف التى تسمح بالترميم المؤقت .. الى ان يكون في مقدورنا ان ننجح في تبويب السلبيات .. وان نصارعها كي نجعل منها إيجابيات .

ليس هناك ما يفرض علينا اليأس بل ان الفترة الاخيرة من تاريخنا قد وضعت أمامنا تحديات داخلية كبرى ، وليس من المصلحة أن نضعف أمامها لأنها ليست من صنعنا . فنحن المورثة الشرعيون . والوارث لا يهرب من الالتزامات التى جاءت بها الحركة . حتى ولو رغب في ذلك .

## القسم الثالث



## الجزء الثالث الحاضر والمستقبل

كان الأستاذ يتطلع الى وجوه الحاضرين من الطلاب الذين جاءوا يساهمون في جلسة اليوم ويعود بذاكرته الى الايام الاولى التى بدأ فيها هذا الحوار . . ثم يجرى عملية مقارنة سريعة يخرج منها باطمئنان وثقة الى ان النفوس التى كانت ثائرة ضد ربط أى حوار بالماضى القريب أو البعيد . عاد اليها همدوءها ، وعادت اليها ثقتها بنفسها ، وأصبحت تحس انها قادرة على ان تفكر للحاضر والمستقبل وان يكون هذا التفكير منطلقا من مركز ثقة وقوة في العزيمة واصرار على ألا تتكرر أخطاء الماضى . .

هل كان مصيبا في استنتاجه ؟ هل كان مخطئا في حكمه وفيما حققه من نتائج ؟ هل كان مغاليا في تقدير قيمة النتيجة التى حققها الحوار ؟ . . هل تحققت نقطة بداية صالحة لأن تكون قاعدة انطلاق الى تدعيم الماضى وبناء مستقبل أفضل .

ولم تطل تساؤلات الاستاذ أو لعلها توقفت لان طالبا شاء ان يكون هو البادىء بالحوار .

**الطالب :** لقد تكلمنا — ولا أقول انتهينا من الكلام — عن الماضى القريب . أفلا نحاول ان نتكلم عن حاضرننا ؟ . .

**الأستاذ :** بالطبع يتحتم ان نتكلم في حاضرننا ، قبل ان ننطلق الى الكلام عن المستقبل ؟ . . فماذا تريد ان تثيره من نقاش حول هذا الحاضر . ؟

**الطالب :** انى أحب أولا ان أناقش وأقارن بين صحافة ما قبل التصحيح وصحافة ما بعد التصحيح ؟



**الاستاذ :** تقصد صحافة ما قبل ١٥ مايو ١٩٧١ وما بعده ؟

**الطالب :** نعم . واذا كنت قد اخترت الصحافة كنقطة بداية فذلك لانى أصبحت مقتنعا بأن لا قيام لدولة ما بكيان محترم مالم تكن صحافتها قادرة على التعبير عن شعبها . وقد كان جمال عبد الناصر موفقا — من وجهة نظره — فى أن يبدأ برنامجا سياسيا بتأميم الصحافة وجعلها اداة خاضعة له خضوعا تاما . ثم انطلق بعد ذلك فى تنفيذ برامجها بكافة انواعها المتعددة بعيدا عن رقابة الشعب .

**الاستاذ :** ولهذا كان اول ما فعلته حركة التصحيح ان رفعت الرقابة عن الصحافة ؟

**الطالب :** نعم رفعت الرقابة ولكن ظلت السيطرة الفردية قائمة ، اعنى ان رئيس الاتحاد الاشتراكي وهو فى وضعه الحالى رئيس الدولة أيضا قادر على أن يجرى فى الصحافة وفى الصحفيين ما يشاء من تنظيمات أو تنقلات بمعنى انه فى كل الحالات مازالت الدولة هى المسيطرة على اتجاهات الصحفيين وأفكارهم . وهذا بالطبع لا يوفر لهم حرية التحرك والتعبير ؟

**الاستاذ :** وماذا أيضا ؟

**الطالب :** هل تعنى بسؤالك أنى أغفلت الإشارة الى قيد آخر يتعلق بالصحافة . . ؟

**طالب آخر :** انى احس بأن المجلس الاعلى للصحافة يمثل اتجاها غير محقق لفكرته ؟

**الاستاذ :** لقد أردت أيضا ان نضم فكرة المجلس الاعلى للصحافة فى حوارنا حول حاضر ومستقبل الصحافة . وعلى العموم فان الذى يجب الاعتراف به — كبداية — للحوار ان الصحافة اليوم غير صحافة الامس . ولكنها بوضعها الحاضر لم تبلغ غاية المرام .

فان رفع الرقابة عن الصحف قد مهد لاعادة الحياة اليها .  
وأصبح ممكنا لرئيس الوزراء والوزراء والمسئولين في  
القطاعات العامة والشعبية ان يقرأوا الصحف في الصباح  
كما يقرأها الشعب ، وذلك يعنى انه يمكن ان يفاجأوا  
بنقد لأعمالهم وتصرفاتهم دون علم مسبق به ؟

**الطالبة : لا أفهم ما تعنى ؟**

**الاستاذ :** لقد كانت الرقابة حاجزا بين الصحافة وبين نقد  
المسئولين . وكان الصحفيون في كل الحالات يتصلون  
برؤساء الوزارات أو المسئولين ، ويقرأون لهم ما هو  
معد للنشر في اليوم التالي — رغم تفاهة هذا النقد وعدم  
جدواه ، ثم للخوف الذى كان مسيطرا على النفوس —  
ولم يكن أحد من هؤلاء يقبل ان تمس ذاته أو ان ينتقد  
تصرفا من تصرفاته . وكان الرقيب ينفذ التعليمات تنفيذا  
حرفيا ضمانا لوظيفته . ومن هنا كان المسئول الكبير . .  
والصغير ينام هادىء البال مطمئنا الى انه لا نقد ولا  
محاسبة لأى تصرف من تصرفاته . .

ومن هذا الواقع الذى عاينه الجهاز التنفيذى كله . .  
فانه عندما رفعت الرقابة عن الصحف وبدأ بعض  
الصحفيين يمارسون النقد « الخفيف » اهتز تفكير الوزراء  
واعتبروا هذا النقد خروجا على « النظام » .

ولعلكم تذكرون أول مواجهة من هذا النوع عندما كتب  
صاحبها عمود « دخان في الهواء » نقدا لرئيس الوزراء لانه  
ترك سكان القاهرة بلا ماء وذهب الى الاسكندرية — وكان  
ذلك في محاولة لاثارة موضوع حيوى من مخلفات اهمال  
الماضى القريب . . فقد غضب رئيس الوزراء وبادر مكتب  
ردا اتسم بالغضب ، ويذكر بعض الذين اجتمعوا به في  
ذلك اليوم انه لم يكن يتحدث الا عن وقاحة هذا الذى  
كتب ينتقده في الأخبار .

ونشرت الأخبار رد رئيس الوزراء فى أبرز مكان ثم عاد  
الصحفى فرد عليه وناقشه مناقشة كان المقصود منها

أساسا أن يوضح الصحفي لرئيس الوزراء أنه غير محصن  
ضد النقد وأن كل تصرفاته هي ملك الشعب .

وفهم المسئولون تدريجا أن الوضع قد بدأ في التغير وأنهم  
قد نزلوا الى مرتبة البشر وأصبح نقدهم مباحا . وحققهم في  
الرد مصونا .

على أن المهم في هذا كله هو أن الشعب نفسه كان يراقب  
هذا الاتجاه الصحفي الجديد . ولا يصدقه . بل ازدحم  
بريد الكتاب الصحفيين برسائل تهكمية ، ورسائل اتهام  
بأن ما جرى على صفحات الصحف ليس الا تمثيلا في  
تمثيل . وأن المقصود منه هو ايها الشعب بأن الصحافة  
حرة فعلا .

**طالب :** أظن أن الشعب لم يكن مخطئا في تصويره ؟

**الأستاذ :** تعنى أنك تتفق في أن ما جرى كان تمثيلية اتقن  
اخراجها ؟

**الطالب :** لا وإنما أعنى أنه إذا كان الوزراء يتصورون أنهم فوق  
النقد . فقد كان الشعب أيضا لا يتصور أن يعيش ليرى  
اليوم الذي ينتقد فيه الرؤساء والوزراء ؟

**الأستاذ :** هذا صحيح . بدليل أن فترة إعادة بعض ثقة الشعب  
في صحافته استغرقت وقتا طويلا وجهدا أكبر من  
الصحفيين ذاتهم ، على أنه عندما وضع أساس هذه الثقة  
بدأت الصحف المصرية تحقق ارتفاعا في أرقام التوزيع  
تأكيدا لهذه الحقيقة .

**طالب :** إذن فهو نوع من الرقابة المستترة ؟

**الاستاذ :** قد تكون التسمية قريبة من الواقع . وقد يحدث أن يتصل وزير الاعلام برئيس التحرير ليناقشه الرأي في بعض ما هو معد للنشر ، ولكنها في كل الحالات مناقشات لا تنتهي الى فرض رأى الوزير . . بل ان الصحفي يملك ان يرفض الأخذ برأى الوزير . .

**طالب آخر :** ولكن مكتب الصحافة ما زال قائما في وزارة الاعلام . وهو يملئ تعليمات معينة على رؤساء التحرير تتعلق بما لا يجوز نشره ؟

**الاستاذ :** يجب ألا ننسى أننا مازلنا في حالة حرب مع اسرائيل . واننا نمر بظروف بالغة الخطورة بالنسبة للاوضاع العربية ، وليس هناك ضرر من ان تشترك الدولة مع الصحافة في تكليف ما ينشر أو مالا ينشر من انباء أو تعليمات لها صلة بالموقفين العسكري والعربي . وقد كان هذا هو النظام المتبع خلال الحرب العالمية الثانية في اكبر دولة ديمقراطية واعنى بها بريطانيا .

**طالب :** وهل تعتبر هذه التعليمات ملزمة لرئيس التحرير ؟

**الاستاذ :** ان مسئولية الصحفي في هذه الحالات بالغة الخطورة . فانه يجب ان يكون متعاوناً مع الدولة في حماية جيشها وحماية أمنها الخارجى والداخلى . ولا أظن ان صحفياً يمكن أن يرفض تحمل هذه المسئولية كاملة بالتعاون مع الدولة . ولهذا لا أرى في قيام هذا النوع من التعاون ما يمس حرية الصحافة .

**طالب :** ألا يتضمن التعليمات منع نشر ما يمس أوضاعنا الداخلية ؟

**الاستاذ :** لا أظن ذلك . . وان كانت بعض العناصر الصحفية المسئولة تحاول ان تلعب دوراً في التخفيف من حدة النقد في بعض الحالات .

**طالب :** أى رقابة من الداخل . . ؟

**الأستاذ :** ربما تكون التسمية صحيحة الى حد ما . . ولكن .

**طالبة :** لماذا تحاول ان تأخذ موقف دفاع أو تبرير مما يجرى فى الصحافة حاليا ؟

**الأستاذ :** ( مبتسما ) انها ليست محاولة للدفاع أو التبرير وانما هى رغبة فى توضيح حقيقة لا مفر من مواجهتها ، وهى ان المرض الذى أصاب الصحافة مرض مستعص لا يعالج فى يوم او ليلة . كما ان حساسية المسئولين بالنسبة لنقد الصحافة مازال أيضا فى دور النقاهة . ولا بد من ايجاد تركيب دوائى ينقذ المريض ويشفى الحساسية .

**طالب :** وهل تراه تركيبا صعبا ؟

**الأستاذ :** أنا شخصيا أراه كذلك . وان كنت أؤمن بأن اكتشافه يحتاج الى بعض الوقت . ويلزمه كتلة صحفية متماسكة ويجب ألا نقف على ما تسبب فى نكبة الصحافة فى الماضى القريب يرجع الى أن الصحفيين سمحوا بأن تمزق صفوفهم ويفترق بينهم ، وقبلوا ان يتجمعوا فى قبضة واحدة ضربت بها مهنتهم فى صميمها . . وهذا مالا ينبغى ان يتكرر . .

**طالب :** وهل يعنى هذا انك مازلت تحس بأن النفوس الصحفية غير مهيأة لتكوين هذه الكتلة المتماسكة ؟

**الأستاذ :** نعم للأسف . فان الخوف مازال مسيطرا على نفوس الكثيرين . كما ان التطلع الى اجتلال مكان مرموق فى بلاط الرئاسة ما زال يراود البعض منا ، وهذا التطلع يتنافى مع حرية المهنة ، لأن الارتباط بهذا النوع من العلاقات يسحب من الصحفي حقه فى ممارسة واجبات مهنته كما يجب . . . وهذا هو ما يجعل المعادلة — حتى هذه اللحظة معادلة صعبة وان لم تكن مستحيلة الحل .

**طالب :** وهكذا مازالت الصورة غير واضحة المعالم .. أو اذا شئت الدقة فانه يبدو ان الظلام مازال مخيما على حاضر الصحافة وبالتالي مستقبلها .

**الاستاذ :** هذا غير صحيح .. ومادامت هناك بوادر تصحيح .. وان هذا التصحيح ماض في طريقه — مهما كان بطيئا — فان الامل قائم والظلام لا بد ان يتبدد .

**طالب :** ولكن كيف السبيل الى التعجيل بتحقيق وضع صحفى احسن ؟

**الاستاذ :** هذا تساؤل وجيه . وفي تصورى ان وضع صحافتنا يحتاج الى تجرد وتحرر من كل اطماع صحفية أو شخصية فالمريض يحتاج الى عناية كاملة اجماعية من كل العاملين في خدمته ورعايته ، وكل محاولة للتسلل من الاجماع تعنى نكسة — أو توقع نكسة — للمريض . ولا اظن ان صحفيا واحدا من المسكين بيد المريض لم يشعر خلال سنوات الماضى القريب بالمسرة والالم ازاء حجزه عن النطق أو ممارسة واجبة الصحفى كما يجب ، يمكن ان يسمح بتكرار المأساة مرة أخرى .

على ان هذا وحده ليس العلاج النهائى ، بل هو خطوة حيوية لأن المريض فى حاجة الى دم جديد يحل تدريجيا محل القديم ، فلسنا نضمن تخلص القدماء من الاطماع والغايات . وقد يكون من بيننا من يطمع فى ان يكون الصحفى الوحيد وان يكون هو المتحدث باسم الدولة لتفتح له بذلك خزائن الشهرة .. والدم الجديد الذى شهد المأسى التى ارتكبت فى حق الصحافة والصحفيين .. ولم تتوافر له كل الفرص التى ترفعه الى أعلى هو الطريق الى الحل الحاسم .

**طالب :** ولكن من يمنع هؤلاء الفرص التى تفتح لهم كل الابواب ؟

**الاستاذ :** ان بين قدامى الصحفيين من قاسى الأمرين ، ولا يتردد فى ان يقدم العون للشباب المبرأ من كل غرض والمستعد

لتجنيد نفسه في ميدان الخدمة الصحفية العامة ، ويقبل المهنة بكل ما فيها من متاعب وتضحيات وكفاح وعرق ان انخرط الفرد في سلك الجندية أو العسكرية يعني انه سيأتي اليوم الذي يقتل فيه أو يذبح — رغم ما في ذلك من قسوة على النفس — في سبيل الدفاع عن وطنه . ولا يفرق في نظري بين الجندي والصحفي . كلاهما يحمل في يده سلاحا . وكلاهما مرتبط أمام الشعب بعهد يقطعه على نفسه . . . وسلاح الصحفي هو قلمه المحرر من كل ضغط أو قيد وهو لا يحب ان يقبل التفريط في هذا السلاح . . . مهما تكن التضحيات ومهما ترتفع عوامل الاغراء .

هؤلاء المخضرمون مسنعدون لان يأخذوا بأيدي الشباب الى المقاعد الرئيسية وأن يمدوهم لا بالخبرة وحسدها ، بل يفرسوا في أنفسهم أيضا ما نطلق عليه اسم « شجاعة المواجهة » والتحذير مما وقع فيه أسلافهم من صحفبي الماضي القريب من خضوع واستسلام . . . وتسليم القلعة لمحتل غريب .

**طالب :** ولكن هل يصلح هذا الاتجاه مع وضع الصحافة الحالي . . ؟

**الأستاذ :** لابد — أيضا من خطوة أخرى ، فلا بأس من ان تبقى صحافة الاتحاد الاشتراكي كما هي قائمة تؤدي دورها السياسي والتوجيهي . ولكن علينا أن نمهد لإقيام صحافة أخرى تعبر عن كل الاتجاهات وكل الآراء ، وتضطدم بصحافة الاتحاد الاشتراكي فتجدد بذلك حيوية الصحافة الحرة .

**طالبة :** ولكن من يضمن ان تكون هذه الصحافة الجديدة مصرية خالصة . . . بمعنى الا يكون تمويلها من الخارج . كما هو الحال في صحف لبنان . وبذلك يعرض الشعب لتيارات تقوده مرة أخرى الى التمزق .

**الأستاذ :** من البدء أرفض رفضا تاما أن يشبه الصحفيون في مصر بالصحفيين في لبنان ، ثم ان الاتهامات القديمة بأن صحافة مصر كانت تقبل تمويلًا من الخارج اتهامات باطلة لم تثبت

على الإطلاق ، بل أستطيع أن أقرر أن تاريخ صحافة مصر على مدى عمرها الطويل كان أبيض ناصع البياض . وقد اخترعت هذه الاتهامات بقصد التمهيد لاجراءات تعسفية تتخذ ضد الصحافة .

ومع هذا لا بأس من الاتفاق على أن يكون ميزانيات الصحف الجديدة خاضعة لرقابه قضائية ، بمعنى أن يكون هناك جهاز مهمته التأكد من أن هذه الصحف تعتمد على نفسها ولا يرد لها أى عون من الخارج ، سواء أكان ذلك فى صورة أموال سائلة أو اعلانات أو اشتراكات أو ما الى ذلك من وسائل التمويل ، ولست أعتبر هذه الرقابة صورة من صور تدخل الدولة ، فما دام مورد الصحيفة سليما لا خوف من النتائج ، وبخاصة اذا كانت هذه الرقابة فى أيد قضائية لا تتأثر بمؤثر خارج عنها .

**طالب :** انك بهذا تطالب باحداث انقلاب صحفى ؟

**الأستاذ :** بل ادعو الى التمهيد لتحرر الصحفيين من سيطرة الدولة ، وتخلصهم من التهديد بلقمة العيش . أو بمعنى آخر نريد الاستفادة من أخطاء الماضى ، فיום يجد الصحفى أنه غير معرض لأن ينقل من مؤسسة صحفية الى أخرى كنوع من العقاب أو الترقية . ويوم يحس أن قلمه قادر على التحرك من موقع الى آخر صيانة لحريته من أن يعيث بها . . عند ذلك نحس أن حرية الصحافة أصبحت حقيقة مقبولة . . بدلا من أن تكون — كما هى — حقيقة مشكوكا فيها .

**الطالب :** ولكن هذه الصحف الجديدة . . من تمثل ؟

**الأستاذ :** هذا مدخل جديد الى نوعية التغيير الذى يجب أن نفكر فيها اذا كنا نتجه اليه الان . . أو نتجه اليه فيما بعد . . أو نبقى على ما نحن عليه .

**طالبة :** لا أفهم ما تعنى ؟



**الأستاذ :** أعنى الوضع السياسى الداخلى . وأعنى هل نبقى فى ظل نظام الحزب الواحد ، أم نتجه الى نظام الأحزاب ؟

**الطالب :** ألم تنته المناقشات التى أثرت فى المصحف حول هذا الموضوع الى رفض فكرة قيام الأحزاب ؟

**الأستاذ :** صحيح أن هناك مناقشة بدأت ، ولكنها لم تنته بالصورة السليمة . بل أقفل بابها ، ثم قيل أن الشعب ما زال متمسكا بنظام تحالف قوى الشعب العاملة ، وأنه لا مكان للأحزاب السياسية فى نظامنا العام ، ولقد اشتركت شخصيا فى هذا النقاش . وأبديت رأى فى أن تجربة الحزب الواحد التى بدأت بهيئة التحرير ثم الاتحاد القومى ثم الاتحاد الاشتراكى رقم ١ والاتحاد الاشتراكى رقم ٢ هذه التجربة وما تبعها من تجارب لم تأت بنتيجة . ولم تحقق أى نفع سياسى للدولة ، كذلك أبدى الكثيرون من أصحاب الرأى آراءهم ، ولكن من المؤكد أن النقاش لم يكتمل ، ثم أنه ليس صحيحا أن الشعب قال كلمته ورفض الأحزاب ، لأن الشعب لم يمنح الفرصة الحقيقية كى يقول كلمته . . . التى يؤمن بها .

**طالب :** ما الذى نستفيد من عودة الأحزاب ؟

**الأستاذ :** لم أقل بعودة الأحزاب . بل بقيام أحزاب جديدة تنبت فى جو واقعا الذى نعيش فيه . أى أننا نرفض كل قديم كما أننا نرفض كل ما أجرب وتكررت تجربته وكان فى مآله فاشلا ، ونظام الحزب الواحد يعنى قيام ديكتاتورية . أو على الأقل يترك احتمال استمرارها أو قيامها من جديد قائما ، حتى لو حسنت النيات وتوافرت الرغبات الطيبة . ومن هذا الواقع يكون كل جهد الشباب لبناء جديد عرضة لأن ينهار فى أى وقت وفى أية لحظة .

**طالب :** ولكن كيف تقوم أحزاب جديدة ؟ ومن يشكلها ؟

**الأستاذ :** لعلمكم نذكرون أن أهم ما اهتمت به ثورة ٢٣ يوليو هو

دراسة نظام حكم « سالازار ديكتاتور البرتغال » على أساس انه النظام الذى دام عشرات السنين .

ومع هذا سقط نظام سالازار وانتهى . فلماذا لا ننظر فى الأخذ بتجربة البرتغال الحالية . . ؟ لقد فتحت الأبواب لتكوين الأحزاب ، ولم تحدد عددها أو أهدافها . .

وتكونت الأحزاب الجادة وغير الجادة . ثم أعدت برامجها . وطرحتها على الشعب فى أول انتخابات جرت لتشكيل جمعية تأسيسية تضع للبلاد دستورا جديدا . . وقال الشعب كلمته فى التشكيل الحزبى ذاته ، فاختفت الأحزاب غير الجادة أو أصبحت صفرا . . وبقيت الأحزاب الجادة مرتبة على حسب ما فازت به من أصوات الشعب .

**طالب :** ولكن الصراع الذى جرى بعد ذلك بين هذه الأحزاب البرتغالية كاد يجر البلاد الى حرب أهلية ؟

**الأستاذ :** هذا يعطينا الفرصة فى أن ندرس ما أدى الى هذا الصراع ونحاول تجنبه ، وقد يكون استمرار التدخل العسكرى فى الأوضاع القائمة هناك سببا من الأسباب التى أدت اليه . وربما كان التمويل الخارجى هو الذى دفع أحزابا معينة هناك الى الإصرار على تحدى إرادة الأغلبية الشعبية الاشتراكية . . ربما . وربما هناك أسباب كثيرة تفتح لنا مجال الدراسة ، ونسترشد بها فى تجنب الوقوع فى نفس الخطأ . وحتى اذا افترضنا وقوعنا فى أخطاء عند بداية المحاولة الجديدة فلا يجب أن تحول دون الإقدام عليها .

**طالب :** ولكنك لم توضح بعد ما يمكن أن يتحقق من الفوائد عن طريق قيام الأحزاب السياسية ؟

**الأستاذ :** بالإضافة الى تخلص الشعب من حكم الفرد ، تتاح له فرص ممارسة سلطاته ، وتقوى هذه السلطات عن طريق

مجلس نيابى يجرى انتخابه فى جو الحرية ، هذا الى ان البرامج المتعددة تعطى فرصا أكثر لتحقيق خدمات أحسن كما تهيب مجال التسابق لخدمة الشعب بالطريقة التى تزيد من ثقته .

**طالبة :** ولكن البلاد جربت الحزبية .. وفشلت ؟

**الأستاذ :** القول بأنها فشلت غير سليم تماما . لأن حزب الأغلبية لم يمنح فرصة كاملة كى يحكم ، وما ذلك لأنه كانت هناك ديكتاتورية استعمارية ممثلة فى سلطة المندوب السامى البريطانى . وكانت الإرادة الشعبية تزور فى كل انتخابات تجرى اذا كانت نيات السلطات العليا هى إبعاد الأغلبية عن الحكم ، ولا أظن أن تزوير هذه الإرادة الشعبية قد زال فى أى فترة من فترات حياتنا السياسية حتى اللحظة . وظروفنا اليوم متغيرة . وهى لا تتطلب إلا أن تختار النظام الجمهورى الذى نرتضيه ، أهو نظام رئاسى أم غير رئاسى وهل نأخذ بالنظام الجمهورى الفرنسى والأمريكى أم نأخذ بالنظام الجمهورى الألمانى الغربى . هل يكون رئيس الجمهورية هو رأس الجهاز التنفيذى أو لا يكون ؟ فنحن هنا نحدد سلطات رئيس الجمهورية بل ونغير رئيس الجمهورية اذا انحاز رأى الشعب الى الحزب المخالف لرأيه ..

**طالب :** هذه النظم صالحة هناك لأن درجة تعليم الشعب عالية ؟

**الأستاذ :** دمك من هذا رأى الرجعى . ان شعب مصر وان لم يكن كله متعلما على درجة كبيرة من الوعى السياسى ، ولو ترك حرا لسمع أو ليقرا ان كان قادرا على القراءة أو ليقر بنفسه صلاحية الحاكم من عدم صلاحيته على أساس ما يعود عليه من خير لو ترك حرا فى هذا كله . وتوافرت له كل وسيلة تمكنه من تكوين رأيه .. لوضع فى مكانه الديمقراطى السليم .. ان الادعاء بأن الشعب جاهل أو غير متعلم ادعاء ديكتاتورى ، سواء صدر عن النظام الملكى القديم أو عن نظامنا الجمهورى الحديث ، وقد

آن الأوان كى يعطى الشعب فرصته ويثبت عكس ما الصق  
به من اتهام .

**طالب :** وماذا أيضا عن النظام الحزبى ؟

**الأستاذ :** أنه يتيح الفرصة لإجراء التغيير الكبير الذى يجب أن يتم  
على أيديكم . فأنتم فى حاجة الى وضع جديد . نظيف  
تتفاعلون معه ويتفاعل معكم ، ومصر فى حاجة الى الدم  
الجديد .. والنظام الحزبى هو سبيلكم الى هذا  
كله ..

**طالب :** أى أنك — مرة أخرى — تدعو الى قلب الأوضاع ..

**الأستاذ :** اذا ثبتت أن تسميه قلبا للأوضاع فأننت حصر . ولكن  
لا أسميه انقلابا ، فان الاشتراكية ستظل هى الأساس  
الذى تركز عليه الدولة ، وقطاع العمال سيجد فرصته  
فى أن يجمع طاقاته لخدمة الطبقة العاملة ، والفلاحون  
سيجدون من يعبر عنهم السعير الجساد . وبذلك يصبح  
تعريف الفلاح — الذى ما زلنا عاجزين عن تعريفه —  
مستمدا من واقعه ، فيختار من يمثله ويحسن تمثيله .  
ثم ألسنت فلاحا من صميم الريف .. فهل لى أن أسألك  
ماذا استفاد فلاح القرية المصرية من التمثيل النيابى الذى  
أعطى له وللعامل نصف مقاعد مجلس الشعب ؟ هل الريف  
الآن أحسن حالا من ماضيه .. أم انه ازداد سوءا ؟

**طالب :** وكيف يمكن أن يخدم النظام الحزبى الفلاح فى قريته ؟

**الأستاذ :** ولماذا لا يشكل الفلاحون حزبا له برامج وله أهداف وله  
غايات ؟ ألسنت فلاحا قادرا بعلمك أن تمثل قريتك أحسن  
تمثيل ؟ ألبس الأستاذ الجامعى فلاحا قادرا على أن يفعل  
نفس الشيء ؟ أليس الفلاح الذى يزرع حقله قادرا على أن  
يتحرر من سيطرة العمدة والمأمور ومشرف الجمعية  
التعاونية ويخترق الصفوف ليحتل مكانه عن جدارة فى المجلس  
النيابى .. أليس مجلس العموم البريطانى مليئا بالعمال

والفلاحين الذين جاءوا الى السلطة التشريعية بالارادة الشعبية . واستطاعوا أن يهزوا الحكومات . وأن يصلوا الى مراكز قيادية .

ان كل من يقول لك انك أقل من هؤلاء جميعا يقولون ذلك لأغراض في أنفسهم . أغراض يراد بها حصر السلطات في أيديهم ، وفرض وصايتهم على الشعب . . باسم الشعب لقد آن الأوان لرفع هذه الوصاية ، والاعتراف بأن الشعب لم يعد قاصراً .

**طالبة :** هل يسمح الأستاذ باعتراض . ان ما تقوله هو مثالية أو خيال لا أرى مجالاً لتحقيقه . . ؟

وساد صمت عميق في القاعة . . وأحس الأستاذ بأن الاعتراض يكاد يزعزع الثقة في الحاضرين ، فبادر يسأل الطالبة :

**الأستاذ :** وما هو وجه المثالية أو الخيال في هذا الذي أقوله . . ؟

**الطالبة :** هل تتصور امكانية تنازل أصحاب السلطة عن سلطاتهم بالسهولة التي تتكلم عنها ؟ ثم أليست هناك مراكز قوى تستفيد من بعض الأوضاع القائمة وليس من الهين عليها التنازل بسهولة عن سلطاتها وقوتها ؟

**الأستاذ :** الاجابة عن الشق الاول من السؤال هي أن نقنع أصحاب السلطة بأن التغيير أصبح ضرورة ، وأعني به التغيير في الأشخاص والوسائل ، حتى تأخذ أوضاعنا الاشتراكية امكنتها السلوكية ، اذ لا سبيل الى أحداث تغيير بوجود القديم . على أن هذا لا يعنى الاستغناء عن القديم بأكمله . بل يستغنى عن العناصر التي ساهمت في الأخطاء أو تخرجت في مدرسة وضع الماضي القريب برامجها المخربة .

واذا سألت من الذى يختار من القديم أحسنه ، كان جوابى هو الشعب الذى سيختار . والسبيل الى ذلك أن تتشكل من الان جماعات ندعو الي الإصلاح ، وتطالب باحداث التغيير عن طريق طرح آرائها فى الصحف وفى الندوات الجامعة ، وفى النقابات العمالية وغير العمالية . أو بعبارة أخرى . طرح بذرة الدعوة الى التغيير .

**طالبة :** ولكنك قلت انك تدعو الى ثورة ثالثة . .

**الأستاذ :** وهذا هو الطريق الذى اختاره لهذه الثورة . فليس بالضرورة أن تكون الثورة عسكرية دموية ، أو تركز على صراعات عقائدية ، بل يمكن أن تتم الثورة بغير هذا كله . بالكلمة والرأى والالاحاح والاقتناع .

**طالب :** هل يمكن أن يتم هذا أيضا عن طريق الاتحاد الاشتراكى بصورته الحالية . . ؟

**الأستاذ :** أشك كثيرا فى امكانية تحقق شئ ما عن طريق الاتحاد الاشتراكى ، وان كنت لا أرى مانعا من المحاولة . ومادامت هناك — كما يقال — منابر متعددة داخل هذا الحزب الواحد ، فليس ما يمنع أن تختبر هذه المنابر فى الدعوة الى التغيير وان كنت أشك فى فاعلية فكرة المنابر ؟

**طالبة :** ومن يضمن لنا الا يتسلل الى صفوفنا من يحاول تشويه الدعوة . . ؟

**الأستاذ :** ان التسلل يأتى أما بتحريض من الداخل . أى من الذين يحاربون اجراء أى تغيير دفاعا عن سلطاتهم وهؤلاء لن يستطيعوا مقاومة التيار الجارف المندفع صوب التغيير . وأما أن يأتى بتحريض من الخارج المستفيد من استمرار مجتمعنا بصورته المهتزة المضطربة ليسهل له ضربه عقائديا ، وهذا التسلل محكوم عليه بالفشل ، انه لا يقوى على مواجهة الواقع الدينى الذى يسيطر على فكر الشعب

وعقله . فالخوف من النسل ليس له ما يبرره ، وان كنت  
أرى أنه لابد من الاستعداد لمواجهة ما يسحق .

**طالب :** ولكن ألا ترى أن ورقة ٦ أكتوبر هي في حد ذاتها دعوة  
إلى التغيير الذي نطالب به ؟

**الأستاذ :** قد تكون ورقة أكتوبر عامرة بتصورات جديدة للمجتمع  
المصري حتى عام ٢٠٠٠ ، ولست أريد أن أضعها في مرتبة  
واحدة مع الميثاق وغيره من الأوراق التي كانت تعالج  
حالات طارئة بتخدير معين ، لأننى أرى أن ورقة أكتوبر  
جاءت بعد حدث كبير تحقق فيه لجيش مصر انجاز ضخم .  
ولكن مع هذا أراها ورقة جاءت وليدة فكر معين ، ثم  
طرحته على الشعب في استفتاء عام جاءت نتيجة الموافقة  
عليه ٩٩ر٩٥ ٪ ؟ فهل هذه النتيجة طبيعية ؟ وهل هضمت  
ورقة أكتوبر جيداً بعد أن نوقشت مناقشة جدية وعلى نطاق  
واسع ؟

**الطالب :** الواقع انى لم أقرأها جيداً . لأنى كنت في حاجة الى من  
يقرأها لى ، ويعقد مقارنة بينها وبين ما سبقها من مواثيق  
وبيانات ، ودعى الشعب الى ابداء رأيه فأمن بها ، كما  
قالت نتائج الاستفتاءات . . ثم لم يحسن بها أحد . . وأنا  
شخصياً لم أشارك في الاستفتاء ولم أقل لا أو نعم .

**طالب آخر :** هذا خطأ — وان كنت قد وقعت فيه أيضاً — أن  
نبتعد عن صندوق الرأى عندما ندعى الى ابداء الرأى ؟

**الأستاذ :** وهل جاء هذا نتيجة للنرد ؟

**الطالب :** بل جاء نتيجة أننا لم نفهم . . لقد كان المفروض أن يطرح  
« مشروع » ورقة ٦ أكتوبر للمناقشة العامة الحرة  
المفتوحة . على صفحات الصحف . وفي الراديو . وفي  
التلفزيون . وفي الجامعات والمعاهد والمؤسسات  
السياسية . ثم نجمع كل ما قيل في شأن هذا المشروع

فتقبل منها ما نراه جديرا بالقول لأنه استند الى اتجاه شعبي معقول . ونرفض ما نراه جديرا بالرفض . اما ان « تنزل » ورقة أكتوبر الى الشعب ويدعى لأن يقول « لا » أو نعم فهذا هو الاتجاه الخاطيء الذى يجب أن نعدل عنه .

ان الطريقة فى عرض هذه الموانيق والأوراق هى التى تجعلنا نبتعد عنها وننفر منها .

**الأستاذ :** هذا انجاه سليم يؤيد ما سبق أن قلته من أن تعدد الآراء والوسائل وتمثلها هنا الأحزاب ، هو سبيلنا الجديد ، بل أنه لكى نوضح سلامة نوايانا لا بأس أن نأخذ ورقة ٦ أكتوبر قاعدة انطلاق نحو الجديد الذى نريده . أو الهيكل السياسى الذى نسعى الى تشكيله .

**طالب :** انت لم ترد على الشرط الثانى من سؤالنا وهو خصاص بمراكز القوى الجديدة فانهما تستفيد من بعض الأوضاع القائمة وليس من الهين النزاع عن سلطاتها وقوتها بسرعة .

**الأستاذ :** نعم هناك ما يمكن تسميته بمراكز قوى .. ولكنها لا تتمتع بنفس السلطان الذى كان يتمتع به أصحاب مراكز القوى فى الماضى .

**طالب :** وما أدرانا .. لعلها تتحول تدريجا لتصبح فى نفس الوضع خاصة أن الصحافة لم تتعرض لها أو تحاول كسر شوكة قوتها ؟

**الأستاذ :** ان نجاح الحملات الصحفية على الفساد والعمولات سيؤدى حتما الى القضاء على هذه المراكز .

**طالبة :** لا أفهم ..

**الأستاذ :** ولكى تفهم يجب أن نتفق أولا على اختيار الزاوية الصحيحة التى ننظر منها الى حقيقة ما نسميه مراكز القوى .



وقد سبق أن اتفقنا على أن الحاكم في ظل أي نظام ، له مطلق الحق في أن يختار صنف الرجال الذين يكونون جهازه المقرب اليه ويضع فيهم كامل ثقته ، ويكونون هم حلقة الاتصال اليومية بينه وبين الأحداث الداخلية أو الخارجية . هذا هو حقه المطلق .

وهؤلاء الرجال هم الذين يستند إليهم إلى آرائهم في اتخاذ موقف معين أو قرار خاص . أو في الاستعداد لمواجهة الآخرين خارج هذه الحلقة الرئاسية الخاصة . . ومن هنا نرى أن نوايا الحاكم واتجاهاته المتأصلة في نفسه هي التي تقوده إلى اختيار نوع من الرجال الذين يكونون حوله حلقة قوية فإذا كانت نواياه الإصلاح واحترام إرادة الشعب والحرص على الحريات الفردية والعامّة ومكافحة الفساد ، وإذا حرص على أن يكون القدوة للجميع في الترفع من الصفائر وتجنب المتناقضات إذا كان هذا هو اتجاه الحاكم فإن اختيار نوعية رجاله يكون خاضعا لهذه الاعتبارات ، وإلا كان متناقضا مع طبيعته ونتيجة لذلك يظل في صراع مستمر — هو في غنى عنه — مع أقرب المقربين اليه ، وهو الأمر الذي يتنافى مع طبيعة الأمور . ومن هذا الواقع الذي لا يمكن أن نختلف فيه نسأل أنفسنا سؤالا هاما وهو : هل يعتبر الحاكم مسئولا عن كل ما ترتكبه هذه المراكز من آثام وأخطاء أم لا ؟

**طالب :** بالطبع يعتبر مسئولا .

**طالب آخر :** ولكن الا يمكن أن يكون الحاكم غير عالم فعلا بما يجري ؟

**الأستاذ :** هنا تكون المصيرية أعظم . لأن الحاكم لا يكون إذ ذاك سوى العوبة في يد قلة لها الحق — مطلق الحق — في أن تفعل ما تشاء ، وأن تخطيء كما تشاء ، وأن تنحرف بالجهاز الحاكم انحرافا خطيرا ثم ينعكس هذا الانحراف على كل أجهزة الدولة . وبذلك يكون كالاراجوز الذي تحركه يد المخرج وينطق بكلام يقوله غيره .

ومراكز القوى لا تنمو وتزداد قوتها وتتوغل في كل أعمال الدولة وتهرب من العقاب الا في النظم الديكتاتورية التي تسيطر على أجهزة الاعلام والرقابة الشعبية وتجعل الدولة قائمة على نظام بوليسي مرعب . أما في الدولة الديمقراطية فانها تمارس عملها بحذر شديد لأنها في كل الحالات ستكون أعمالها مكشوفة ومطروحة للمناقشة والمساءلة . فهي تمارس نفوذها ولكن بغير انحراف اذ تعلم ان انحرافها سيؤدي الى سحقها ، وهذا ما حدث بالنسبة لمراكز القوى التي احاطت بالرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون خلال فضيحة « ووترجيت » وانتهى الأمر بها الى طردها من البيت الأبيض ثم محاكمة أفرادها بعد ذلك والحكم بسجنهم .

وقد كان النظام الملكي في عهد فاروق يستند الى ديكتاتورية القصر . وكانت مراكز القوى تعكس شخصية الملك فاروق العابثة التافهة غير المثقفة ، فكان على رأسها محمد حسن خادمه الخاص الذي كان يعرض عليه الأوراق الرسمية . وكريم ثابت الصحفي اللبناني الأصل الذي كان يتباهى بوجاهته وصلاته بالدوائر الدبلوماسية ويشرب السيجار الهافانا ويتدخل في كل شأن من شئون الحكم ، وأنطون بولى سكرتيره المكلف بإعداد جو سهراته الحمراء الخاصة . ورغم هذه الديكتاتورية كانت الصحف المصرية وكذلك الأحزاب السياسية ، تنقد هذه الأوضاع بطرق مباشرة أو غير مباشرة بل كانت بعض الحكومات تطالب علنا بالتخلص من هذه العناصر . . صحيح أن الملك لم يقبل ولكن المهم هو أن الشعب كان قادرا على التعبير عن آماله علنا .

وقد كانت ثورة التصحيح في ١٥ مايو أول فرصة علنية تتاح فيها للشعب أن يقول كلمته في بعض مراكز القوى فكان سامى شرف واحدا منها وكان يقوم بالدور الذي قام به محمد حسن وعلى نطاق أوسع وأخطر . ومحمد حسنين هيسكل وكان يؤدي دور كريم ثابت فيتصل بالنسبوات الدبلوماسية الأجنبية ويشرب السيجار ويقوم بمهام من صميم اختصاص وزير الخارجية ، بل لقد جعل من مكتبه بالأهرام

مركز نشاط داخلي وخارجي ، وصار واضحا للجميع أن هذين الشخصين كانا من أقوى الشخصيات المصرية صلة بالحكم وأكثرهما اقترابا من الرئيس عبد الناصر ، ولم تتأثر علاقته بهما على المدى الطويل ، مما جعل الكتيرين يضعونهما في مكان المسؤولية الأولى عن كل ما كان يحدث في البلاد داخليا وخارجيا . وإلى جانب هذا كانا الشخصين — على ما أذكر — اللذين جاء ذكرهما في الكذب التي صدرت عن المخابرات السوفيتية والأمريكية ، وأكدت — كما ذكرنا في حوار سابق — أنها كانا على صلة بهما وإن كان كل منهما في معسكر بذاته ، غير أن هذا التأكيد يجب أن يؤخذ بحذر شديد ما دمنا لا نملك الدليل عليه . بل أفضل ألا نرتب على هذا الكلام الأجنبي أى نتائج .

**طالب :** ولكن محمد نجيب أول رئيس لجمهورية مصر ذكر شيئا عن شكوكه في صلات محمد حسنين هيكل بالمخابرات الأمريكية ، ودار نقاش حولها على صفحات الأهرام .

**الاستاذ :** نعم . ولو كنت مكان هيكل لما ترددت في مقاضاة محمد نجيب ، أما قوله أنه أخذ بنصيحة الدكتور محمود فوزى وأهل أمر المقاضاة فذلك ما لم أكن أحب أن يقوله محمد حسنين هيكل ، لأن حسم هذه الأمور عن طريق القضاء واجب على كل من يتهم بتهمة وخاصة إذا كانت التهمة تحمل في طياتها ما يوصف بالعمل الأجنبي . وعلى العموم يجب أن نتفق على الابتعاد — مؤقتا — عن هذه الزاوية ، وأن نعود إلى طرح تساؤلات أخرى وهي : هل كان هذا هو صنف الرجال الذين يصح أن تحكم بهم مصر ؟ هل خلت مصر من الرجال الجادين الذين يتحدث تاريخهم بالمواقف الوطنية الخالصة ؟ ويتحدث ماضيهم وحاضرهم عن كفاءة ممتازة وثقافة عالية ، وقدرة على فهم عقليات الجماهير والتعايش معها بحيث تكون منهم مراكز قوى حول الرئاسة وتكون دافعة لرئيس الجمهورية في الاتجاه الشعبى السليم . أى أن تكون قوتها معبأة لخدمة الشعب ؟

**طالب :** ألم تكن مجالس الوزراء مشكلة من كفاءات جامعية وقادرة على تحقيق هذا الذى نتكلم عنه ؟

**الأستاذ :** ربما كان هذا هو ظاهر الأشياء ، ولكن من كان يشكل الوزارات ، ومن كان يختار شخصياتها ؟ انها مراكز القوى التى نكلمنا عنها . ثم هل كان يمكن لها أن تختار الا وزراء من نوعية ندشابه مع نوعيتها وانجاهاتها ؟ وهل كان يمكن لها أن تختار وزراء يحرمون أنفسهم ويتمسكون بأرائهم ؟ وهل كان تعامل هؤلاء مع رئيس الجمهورية يتم بطريقة الاتصال المباشر بينه وبينهم أم أنه كان يتم عن طريق هذين المركزين الخطيرين ؟ ..

**طالب :** أى اننا ندور فى حلقة مفرغة ؟

**الأستاذ :** تماما ..

**الطالب :** وكيف نتخلص حاليا ومستقبلا من هذا النوع من المراكز ؟

**الأستاذ :** قد يكون صعبا التحول طفرة واحدة الى تسليط الاضواء كاملة على مراكز القوى الظاهرة والخفية . لأن هذا يتوقف الى حد كبير على شكل النظام الحاكم حاليا ومستقبلا ، وما دمنا نتطلع ونعتمد الا نسمح بتكرار الماضى فلا تعود الصحافة الى سابق خضوعها وأستسلامها . ويكون لنا النظام البرلمانى المستند الى غير الحزب الواحد . ويتمسك الوزراء بأن تكون لهم شخصيتهم القوية : ويقف الشعب من ذلك كله موقف الرقيب الصارم .. وفوق ذلك . يحرص رئيس الجمهورية على أن يحكم بهذه الأجهزة كلها ، لا بجهاز الذين حوله .. عندئذ يمكن أن تكون هذه نهاية ما نسميه مراكز القوى المستغلة والتى تسببت وتتسبب فى انهيار أى نظام .

وساد القاعدة صمت عميق ..

وطال الصمت بعض الوقت .. وكان الأستاذ سعيدا بهذا كله .. لأنه دليل الرضاء أو الارتياح أو على الأقل

علامة صحية على أن جلسات الحوار كلها قد أثمرت شيئاً يمكن أن يكون أساساً لتفكير أعمق وترتيب لمستقبل أحسن بل لعل الأستاذ كان مستريحاً إلى أنه أشعر طلبته بأن ممارسة « الديمقراطية الحققة » قادرة على أن تحقق النجاح الكبير بأقل التكاليف والخسائر . وأن الخروج عن خطها السليم يعنى التعثر وتراكم الخسائر والنكسات .

وقطعت هذا الصمت طالبة ، رأت الأستاذ يجمع أوراقه علامة على انتهاء الحوار ، فسألت : هل نستطيع أن نفهم من جلسات حوارنا أن سبيلنا إلى النجاح هو ممارسة الديمقراطية من جوانبها الواسعة وليس من زواياها الضيقة ؟

**الأستاذ :** هذا تعبير جميل . وفيه النغمة الكبيرة لهذا الجهد الذى بذلناه معاً فى حوار طويل . أنه حوار بين رجل مخضرم ، كنت ترفضون فى البداية أن يكون شريكاً لكم فى الرأى . ثم أخذتم بخاطرهم وقبلتم مناقشته . ولعلنى لا أكون قد حاولت أن أفرض عليكم رأياً . بل أملنى أن أكون قد مزجت رأى وخبرتى بأرائكم وأمانيتكم . لقد سلطنا الأضواء « بسرعة » ، على سنوات من ماضينا بما فيه من خسائر وبعض المكاسب ، والمطلوب منا أن نركز الأضواء « وبشدة » على كل مكسب جديد نحققه فنضيفه إلى تاريخنا الحديث . تاريخنا الذى أهملوا تقديمه اليكم ، وهو التاريخ الذى يؤكد أن الشعب المصرى كان دائماً سباقاً إلى التضحيات وسباقاً إلى الدفاع عن حرياته ودستوره فكان القتل من الأسباب والعمال والنساء يسقطون صرعى فى مواجهة المستعمر الداخلى والمستعمر الخارجى ، وهم يرددون « تحيا الحرية » ان جامعتكم قدمت الشهداء فى كل الأزمنة وعنابر العمال قدمت الشهداء فى كل الأزمنة وحقول الفلاحين قدمت الشهداء فى كل الأزمنة . لم تخل فترة من الشهداء الذين أمّنوا بالحرية وليس صحيحاً أن ثورة الشعب بدأت مع ثورة ٢٣ يوليو ، بل أن هذا أنكار لفضل وحق شهداء ثورة ١٩١٩ وما تلاها أو سبقها من ثورات شعبية متلاحقة .

ان علينا ان نسلط الأضواء على هذه الجوانب من تاريخنا ، وننطلق منها الى بناء هيكل جديد لدولة جديدة .  
نبنيه طوية طوية . وحجرا حجرا . ونساهم جميعا في وضع أسسه واقامة جدرانه . يجب ألا نسمح لأحد أن يضع الأساس ثم يدعونا الى المساهمة في عملية البناء كالأغنام ذلك لأن الأساس هو الأصل . وما دامت الشركة ستكون قائمة في بنائه ، فمن المؤكد أن الحرص على متانة البناء والتسابق الى المساهمة فيه ستكون منطلقة من حوافز شعبية اجماعية .

**الطالب :** وهل تعدنا أن يكون فشلنا أو نجاحنا في تحقيق هذا البناء مدخلا لحوار متصل . .

**الأستاذ :** أعدكم بذلك ، وان كنت أدعوكم الى الانطلاق نحو اجراء المزيد من الحوار في القرى والنجوع والمدن والمحافظات مع الذين يريدون أن تدعوهم الى تورثكم المقبلة . . ولتكن النتائج التي انتهينا اليها هي نقطة انطلاقكم .

انكم تنتظرون نتائج الامتحانات . . وقد أوشكت أن تعلن . .

**طالبة :** (مقاطعة ) ان الامتحان لم يعد يهمننا كثيرا . . ان امتحان الشعب هو الأهم . . ولا سبيل الى الاطمئنان الى أى امتحان الا اذا تحقق النجاح في بناء المستقبل .

**طالب آخر :** نختم هذا الجزء من حوارنا . . بدعاء . . «يارب نجح»؟





## فهرست

الموضوع	صفحة
اهـداء . . . . .	٥
مقدمة الكتاب . . . . .	٧
هذا الكتاب وهذا الكاتب . . . . .	٩

### القسم الأول :

مع مطلع الثورة الكبرى . . . . .	١٥
حوار .. الجيل القديم . . . . .	٢٥
ما تضمنه الكتاب الأسود . . . . .	٤٣
انذار للحاكم . . . . .	٦٠

### القسم الثاني :

بين الرفض .. والرفض . . . . .	٧١
من أين يبدأ الماضي ؟ . . . . .	٧٧
هل نحن في حاجة الى ثورة ثالثة ؟ . . . . .	٨١
نهاية الفرد . . . . .	٩٠
هل يمكن نقد الثوار ؟ . . . . .	٩٧
الخوف والتناق . . . . .	١٠٤
تخصص من الماضي . . . . .	١١٩
حوار حول الحراسيات . . . . .	١٣٨
الكرامة المصرية العائدة . . . . .	١٤٣
مشكلة الرجل . . . . .	١٥٧
الثراء الاشتراكي . . . . .	١٦٧
سر القرار رقم ١٣٥٠ . . . . .	١٨٤
كلام عن معركة ٥ يونيو . . . . .	٢١٦
حوار حول الاشتراكية . . . . .	٢٣٧

### القسم الثالث :

الحاضر والمستقبل . . . . .	٢٥١
فهرست . . . . .	٢٧٤









## هذا الكتاب

« حوار وراء الأسوار » يكشف عن الوقائع والمخالفات والانحراف والأسماء بعد بحث ودراسة واستقصاء .

والحوار ليس مستمداً من خيال . ولا يتناول حقبة واحدة من تاريخنا . بل إنه يبدأ مع بداية عام ١٩٤٣ عندما اهتزت مصر كلها - والعالم من بعدها - لكبر عمل سياسى سرى ظهر فى صورة « كتاب أسود » . وقاد الذين أعدوه وأخرجوه ووزعوه إلى المعتقلات . وفى معتقل ضاحية الزيتون بدأ حوار اشترك فيه الضابط الأسير والطيار والصحفي والمهندس والمحامي والأزهري والعامل الذين قضوا الليالى يحللون ويبحثون فيما يجب عمله إزاء الوقائع الجسيمة الخطيرة التى تضمنها هذا الكتاب . فإذا كانت نوعية الوقائع التى أزعجت الشعب فى ذلك الوقت وحركت الأحداث السياسية بسرعة ؟

وتمضى الشهور وتقوم ثورة يوليو ١٩٥٢ والتى ساهم فيها بعض الذين عاشوا وساهموا فى حوار معتقل الزيتون ، ثم لعبوا بعد ذلك دوراً أساسياً فى ثورة التصحيح فى مايو ١٩٧١ . ويتصل الحوار مع بداية هذا التاريخ . ولكنه يجرى بين فريقين مختلفين . فريق شباب ثورة ١٩٥٢ والذي يرفض الاعتراف بوجود أخطاء تحتاج إلى ثورة تصحيح ، وما ذلك إلا لأنه لم يكن يعلم الحقائق ، ويعيش بعضه الآخر ممزقا حائرا متسائلا : أين أنا . . . ومن أنا . . . وعلى الطرف الآخر من الحوار فريق الجيل الذى عاش ثورة ١٩٥٢ وما قبلها . .

وتختلف وجهات النظر وتحتد بين الفريقين ، ولكن حدة الخلاف تخف عند البعض وتتلاشى عند البعض الآخر مع المضى فى الحوار الشاق الطويل وعندما يواجه الكل بالوثائق والأدلة والأسماء التى تضع النقاط فوق الحروف .

ومن هذا المنطلق يبدأ القسم الثالث من الحوار بسؤال كبير : وماذا بعد ؟ ثم يمضى بعد ذلك ليحدد المتحاورون المتفقون - نسبياً - خطوطاً للمستقبل تحقق ثورة ثالثة . ثورة فكرية وخلقية تستند إلى صحافة حرة . . وتكون نقطة بداية جديدة تبنى بها مصر مستقبلها . .

الناشر :  
أحمد جوي

٤٠